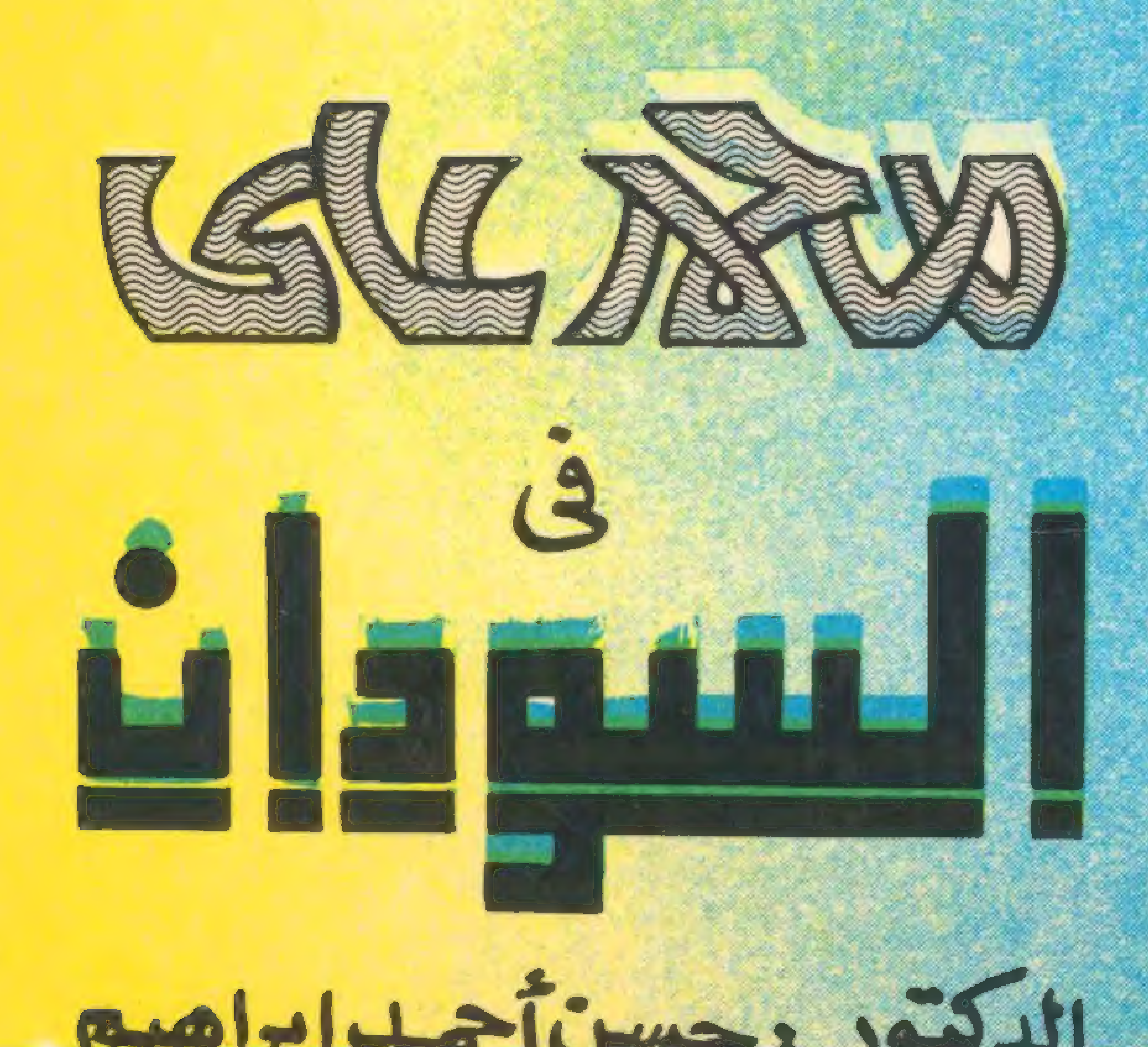
دار التأليف والترجمة والنشر
جامعة الخرطوم





محمد على فى السودان

الدكتور حسن أحمد ابراهيم


منتدى سور الأزبكية
WWW.BOOKS4ALL.NET

محمد علی فی السودان

(دراسة لاهداف الفتح التركی-المصری)

الدكتور حسن احمد ابراهيم

محمد على فى السودان

(دراسة لأهداف الفتح التركى ــ المصرى)

الدكتور حسن احمــد ابراهيم

الناشرون: دار التــأليف والترجمة والنشر
ص . ب: ٣٢١
جامعة الخـــرطوم

الطـابعـــون
دار الطبـــاعة
دار التأليف والترجمة والنشر
جامعة الخـــرطوم
ص . ب ٣٢١

الاهـــــداء ،

الي ذكرى والدى اهدى هذا الكتاب . .

« المؤلـــف »

اختصـــارات

م.ك.أ : مجلة كلية الآداب

SNR	:	**Sudan Notes and Records**
JRGS	:	**Journal of the Royal Geographical Society of London.**
BSOAS	:	**Bulletin of the School of Oriental and African Studies.**

تصـــــدير

هذا بحث عن اهداف فتح محمد علي للسودان، فرغت منه في صورته الاولى وقدمته رسالة لنيل درجة الماجستير من جامعة الخرطوم في سنة ١٩٦٥ فصادف قبولا من الممتحنين .

وبتشجيع من بعض الاصدقاء رأيت نشر هذا البحث حتى تعم الفائدة . وعند مراجعته ادخلت عليه بعض التعديلات حتى يستقيم والمستوى الذى وصلت اليه الدراسات في ميدانه خلال السبع سنوات الماضية .

عظيم شكرى للبروفسور مكي شبيكه الذى أشرف على هذا البحث والبروفســور رتشارد هل والدكتور محمد ابراهيم ابو سليم لمراجعتهما لصيغته النهائية وابدائهما بعض الملاحظات القيمة . واشكر البروفسور هلن ريفلين بجامعة ولاية نيويورك والدكتور يوسف فضل والأستاذ الشاطر البصيلي عبد الجليل لمساعدتهم لى . وشكرى لموظفي وموظفات دار الوثائق القومية التاريخية بالقاهرة وموظفي مكتبة جامعة الخرطوم أن وضعوا بين يدى كل ما احتجت اليه من وثائق ومراجع . وأخص بالشكر الدكتور عون الشريف قاسم لما بذله من جهد في قراءة مسودة هذا البحث والاستاذ عبد الماجد يوسف لاعداده فهرس هذا الكتاب .

د . حسن احمـــد ابراهيم

محمد على فى مصر قبل فتح السودان

ولد محمد على فى سنة ١٧٩٦ فى مدينة قوله من ثغور مقدونية، ورعاه حاكمها الذى زوجه لبنت صديق له، وأوكل له عددا من المهام الحربية كالقضاء على القرصان اليونانيين الذين هددوا الأمن فى المناطق القريبة من قوله فنجح فيها نجاحا باهرا واظهر شجاعة فائقة . عندئذ اختاره حاكم قوله نائبا لقائد الفصيلة المكونة من الجنود الارناؤد الذين ارسلوا مع بقية الجيش العثماني ضد الفرنسيين فى مصر . إلا أن على اغا، ابن حاكم قوله وقائد تلك الفصيلة، تنازل لمحمد على عن قيادتها لعدم رغبته فى الخدمة العسكرية .

بعد جلاء القوات الفرنسية عن مصر سنة ١٨٠١ والقوات الانجليزية سنة ١٨٠٣ تصارع الاتراك العثمانيون والمماليك للاستيلاء على السلطة فى مصر . ألا ان النضال السياسى لم ينته لمصلحة اى منهما وإنما اسفر على سيطرة محمد على على حكم مصر فى سنة ١٨٠٥ . وقد شعر محمد على منذ البداية أنه لن يستطيع القضاء على اعدائه مرة واحدة، فتعاون مع المماليك ضد الوالى التركى خسرو باشا . وعندما قضى عليه انقلب على المماليك فاستغل الخلاف بين قادتهم لتشتيت شملهم واضعاف قوتهم . ولعل محمد على قد احس انه لن يستطيع الاعتماد على الجنود الارناؤد الذين اشتهروا بالفتنة والتمرد، ولذلك تودد الى الشعب المصرى ووعد قادته ان يحكم بالعدل والمشورة مع رجال الدين اذا استولى على حكم مصر . والظاهر أن زعماء الشعب بقيادة عمر مكرم قد اقتنعوا بان محمد على هو الامل الوحيد لانقاذ البلاد من ظلم الاتراك فعينوه واليا على مصر سنة ١٨٠٥ . وعندما شعر السلطان العثماني بقوة مركز محمد على والتفاف الشعب المصرى حوله اضطر الى الاعتراف بولايته على مصر بموجب فرمان صدر فى ٩ يوليو سنة ١٨٠٥ .

لم يفقد اعداء محمد على الامل فى القضاء عليه والعودة الى حكم مصر،

فاخذوا يتربصون به من كل جانب. ولما كانت الطريقة التى جاء بها الى الحكم طريقة غير مألوفة سلبت السلطان العثماني من حقه التقليدى فى تعيين الولاة وعزلهم فى كافة انحاء الامبراطورية العثمانية . فقد كان من الطبيعى ان يعمل الباب العالى على عزل محمد على الذى ربما حاول الاستقلال بحكم مصر . اما المماليك فقد عملوا على استعادة حكمهم فى مصر، ووجدوا فى ذلك تأييدا ومساعدة فعالة من الانجليز الذين ظنوا أن صنائعهم المماليك خير من يحافظ على مصالح بريطانيا الحيوية فى مصر .

دبر الانجليز والسلطان العثماني مؤامرة في سنة ١٨٠٦ هدفت الى اقصاء محمد على عن ولاية مصر وتعيين الزعيم المملوكى محمد بك الالفى في مكانه . الا أن محمد على تضامن مع الشعب المصرى وقادته، واضطر السلطان العثماني الى التراجع ، فاصدر مرسوما جديدا متضمنا بقاء واستمرار محمد على على ولاية مصر « حيث أن الخاصة والعامة راضية باحكامه وعدله بشهادة العلماء وأشراف الناس (١) » .

ظنت الحكومة البريطانية فى سنة ١٨٠٧ أن فرنسا ربما حاولت مرة ثانية احتلال مصر ولذلك ارسلت حملة الى مصر بقيادة الجنرال فريزر لاحتلالها قبل استيلاء الفرنسيين عليها . سيطرت الحملة على الاسكندرية وتوجهت لاحتلال القاهرة فوجدت مقاومة من الشعب المصرى وهزمت فى عدة معارك اهمها رشيد والحماد . اخيرا اضطرت تطورات الموقف الدولى بريطانيا على سحب تلك الحملة، وبذلك تفادى محمد على خطرا كبيرا على حكمه .

بعد انتصاره على دسائس الباب العالى وانسحاب الحملة الانجليزية فكر محمد على جديا فى الانفراد بحكم مصر . ولتحقيق هذه الغاية كان لابد له من الخلاص من الزعامة الشعبية التى كانت بمثابة الرقيب على كل اعماله

---

(١) الرافعى : تاريخ الحركة القومية ، جـ ٣ ، ص ٣٤ .

والمماليك الذين مازالوا خطرا عليه رغم كل انتصاراته السابقة عليهم . لم يكسب زعماء الشعب المواطنين ولم يتمكنوا من تحقيق تلك الانتصارات الابوحدة كلمتهم ، ولكن بعد سيطرة محمد على على الحكم ظهرت بوادر خلاف حاد بينهم ،قضى على وحدتهم وسهل لمحمد على مهمة الخلاص من نفوذهم . وقد دب الحسد بصفة خاصة فى نفوس الكثير من الزعمـــاء على عمر مكرم الذى استطاع بنزاهته وعلو نفسه أن ينال مكانة سامية بين الاهالى وفى الدولة . استغل محمد على كراهية معظم الشيوخ لعمر مكرم فنفاه فى سنة ١٨٠٩ الى دمياط عندما احتج على ضريبة فرضتها الحكومة لمعالجة الازمة الاقتصادية الحادة فى ذلك الوقت . وبعد الخلاص منه تواطأ بقية زعماء الشعب مع محمد على وايدوا سياسته وباركوها،وبذلك تمكن من القضاء على الرقابة الشعبية . اما المماليك فقد استطاع محمد على القضاء عليهم فى مذبحة القلعة الشهيرة التى دبرها لهم فى ١٨١١ والتى قتل فيها وحدها اكثر من الف قتيل،ناهيك عن القتلى من المماليك فى المقاطعات المصرية الاخرى(١)

لقد كان محمد على «ميكافليا » فى تفكيره ،فهو قد عزم على الاستيلاء على حكم مصر والانفراد به،واتبع طرقا متعددة ووسائل شتى لتحقيق هذا الهدف. قد يدين الباحث بعض هذه الوسائل والطرق،الا أنه لابد له أن يشيد بحكمة محمد على ومقدرته السياسية والعسكرية التى ساعدته على الانفراد بحكم مصر وتحقيق بعض الانتصارات فى المجالين الداخلى والخارجى .

---

(1) Robinson : SNR 5 (1922), "The Mamelukes in the Sudan," P. 89.

السودان قبل فتح محمد على

منذ القرن التاسع الميلادى بدأت موجة الهجرات العربية الى السودان الشرقى – ونعنى به السودان الحالى ماعدا المديريات الجنوبية – وبلغت ذروتها فى منتصف القرن الرابع عشر عندما تدفق المهاجرون العرب فى اعداد كبيرة نحو مملكة المقره المسيحية،واستمروا جنوبا الى المنطقة الوسطى من حوض النيل وارض البطانة والجزيرة وبعضهم وصل الى سهول كردفان ودارفور . وقد اختلط العرب بالمجموعات الوطنية وبمرور الزمن تبوأوا المراكز القيادية فى المجتمع ونشروا الاسلام بين سكان البلاد . وعندما انتشرت الثقافة العربية ووضحت غلبة الاسلام ، ظهرت سلسلة من السلطنات الاسلامية فى السودان الشرقى فى الفترة بين منتصف القرن الخامس عشر واوائل القرن التاسع عشر (١) . واهم هذه الممالك هى مملكة الفونج « السلطنة الزرقاء» وسلطنة الفور،بينما شهد اقليم كردفان الواقع بينهما مولد مملكتين صغيرتين هما تقلى والمسبعات .

وفى اواسط القرن السابع عشر اسس سليمان سولونق الذى انحدر من الكيرا « فرع من قبيلة الكنجاره الفوراوية » مملكة دارفور،وظلت سلالة الكيرا تحكمها حتى قضى عليها الزبير باشا فى معركة منواشى سنة ١٨٧٤ . وبلغت سلطنة الفور اوج عظمتها فى عهد السلطان عبد الرحمن الرشيد الذى شجع فى اواخر القرن الثامن عشر الدناقلة والجعليين من سكان وادى النيل– خاصة العلماء و «الفقراء» منهم – على الهجرة الى دارفور حيث اشتغلوا بنشر تعاليم الدين والتجارة . وفى عهده زادت صلة دارفور بالعالم الخارجى،فاتصل بالسلطان العثماني وهنأ نابليون بونابرت عند انتصاره على المماليك فى مصر (٢) .

(١) يوسف فضل : مقدمة فى تاريخ الممالك الإسلامية ، ص ٧ – ٩ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٨١ – ٩٥ .

اجمع المؤرخون حتى عهد قريب على أن سقوط مملكة علوة المسيحية تم نتيجة اتفاق ثنائي بين الفونج والعبدلاب،ومن ثم تكونت مملكة الفونج الاسلامية التى سيطرت على الجزء الشمالى من السودان الشرقى من سنة ١٥٠٤ حتى ١٨٢١ . الا آن دراسات حديثة ابتدعها البروفسور هولت ترجح أن القبائل العربية بقيادة عبد الله جماع هى التى اسقطت سوبا عاصمة علوه (١) . وبعد هذا تمكن الفونج من هزيمة العبدلاب فى اربجى سنة ١٥٠٤ وبالتالى سيطروا على مملكة الفونج التى تربع على عرشها نحو خمس وعشرين سلطانا .

لم تكن سلطنة الفونج جسما واحدا متحدا وانما كانت مجموعة من الممالك والمشيخات منها ماخضع للفونج رأسا ومنها ماخضع لهم بواسطة العبدلاب . فالتى خضعت للفونج رأسا مشيخة خشم البحر ومشيخة الحمده ومملكة بنى عامر ومملكة الحلانقة . ودانت لهم بواسطة العبدلاب مشائخ متعددة نذكر منها ممالك الجعليين والميرفاب والرباطاب ومشيخات الشنابله والجموعية والحمده والمناصير . والسلطنة الزرقاء كانت ابعد ماتكون عن الحكومة المركزية،فليست هناك مؤسسات ادارية،ولم يتعد تدخل السلطان فى الشئون الداخلية للمملكات والمشايخ جباية الضرائب وتعيين زعيم او شيخ فى مكان المتوفى . وقد اعتمدت مملكة الفونج فى تنفيذ سياستها وتأديب القبائل المتمردة التى رفضت دفع الضرائب على جيش قوى مدرب أهم عناصره الخيالة (٢) .

اتفق الفونج والعبدلاب على تقسيم مملكة الفونج الى قسمين كبيرين، فاوكل حكم البلاد من اربجى شمالا حتى جبال فازوغلى جنوبا للفونج،بينما تركت ادارة المناطق من اربجى حتى الشلال الثالث للعبدلاب على أن يكون ذلك تحت سيادة الفونج . ووضح منذ البداية أن الفونج هم اصحاب الكلمة

(1) Holt : BSOAS 23 (1960), "A Sudanese Historical Legend" pp. 1–12.

(٢) يوسف فضل : مقدمة فى تاريخ الممالك الإسلامية ، ص ٧٤ .

العليا في السلطنة الزرقاء . فكان زعيمهم عمارة دونقس هـــو الملك الأعظم والمقدم على شيخ العبدلاب عبد الله جماع .

لم تكن العلاقات بين الحليفين كلها مودة وصفاء، بل أنها كثيرا ماساءت وتدهورت تدهورا ادى الى الحرب وسفك الدماء . ولعل هذا التنافس هو السبب الاساسي في ضعف فعالية المملكة واضمحلالها في آخر الامر . وقد كان للخلاف الحاد الذي نشب بينهما في ايام الملك عدلان ولد آيه «١٦٠٥—١٦١٢» اثر كبير في تحديد علاقاتهما. لانعرف بالتحديد اسباب هذا التنازع ، فقد ذكرت مصادر العبدلاب أنه نشب لاختلاف في بعض المسائل الدينية، ورجح كروفرد اسبابه الى خلاف بينهما حول تغير بعض العادات والتقاليد في سنار(١) . المهم أن هذا الخلاف بين الحليفين ادى بهما الى الصدام المسلح سنة «١٦١١—١٦١٢» في معركة كركوج الواقعة بالقرب من الجريف شرق والتي انتهت بهزيمة فادحة للعبدلاب قتل فيها شيخهم عجيب المانجلك . هرب اولاد الشيخ عجيب الى دنقلا ولكنهم عادوا الى مشيختهم اثر توسط من الشيخ ادريس ود الارباب . وبعد هذه المعركة الحاسمة تضعضع نفوذ شيوخ العبدلاب وقويت شوكة ملوك الفونج وظهر بينهم سلاطين مشهورين ذاع صيتهم خارج حدود البلاد .

ويعتبر عهد بادى ابودقن « ١٦٤٥—١٦٨٠» العصر الذهبي لمملكة الفونج ،وشهد توسعا كبيرا في كردفان عندما غزت جيوش الفونج مملكة تقلى الاسلامية واجزاء كبيرة من جبال النوبه بما فيها جبل الداير وبعض سهول كردفان . ترك الفونج ملك تقلى في منصبه بعد ان قبل دفع جزية سنوية لهم،وعهدوا الى الغديات حكم منطقتي جبل الداير وبعض سهول كردفان نيابة عنهم . وهكذا تحققت للفونج السيطرة على جبال النوبة حتى يضمنوا مصدرا ثابتا للرقيق . غير أن المسبعات — قبيلة فوراوية نافست الكيرا في عرش دارفور — حاولوا خلق مملكة لهم في كردفان ليتخذوها قاعدة

(1) Crawford : The Fung Kingdom, pp. 177.

للهجوم على دارفور . وعندما زاد نفوذهم هناك تدخل الفونج سنة ١٧٤٧ فهزموا مرتين، ولكنهم استطاعوا اخيرا بقيادة الشيخ محمد ابو لكيلك ـ زعيم الهمج ـ الانتصار على المسبعات . وظل ابو لكيلك حاكما على كردفان لمدة اربعة عشر عاما نجح فيها فى بناء جيش قوى اطمأن لولائه له [١] .

وقد اتسم النصف الاول من عهد السلطان بادى ابو شلوخ بالعدل والرخاء، واهم مايميزه هو انتصار جيوش الفونج بقيادة الامير خميس على جيوش الامبراطور الحبشى اياسو فى ٨ مارس ١٧٤٤ . وقد رفع هذا لانتصار الباهر على الاحباش المسيحيين من شأن سنار بين الاقطار الاسلامية، فقصدتها الوفود من الحجاز والهند والمغرب الاقصى . الا أن بادى قد استبد بالحكم في النصف الثاني من عهده ـ خاصة بعد وفاة وزيره العادل دوكه ـ فارتكب كثيرا من المظالم حتى أنه تجرأ وقتل العالم المشهور الخطيب عبد اللطيف . ثم أنه غير الكثير من القوانين والعادات المعروفة فى البلاد واهمل اعيان الفونج وقرب اليه النوبة فاقطعهم الاراضى الواسعة ليستعين بهم على اعدائه . ولما تمادى بادى فى جبروته اتفق «اهل الاصول» من الفونج مع ابي لكيلك على عزله . اضطرت هذه التطورات ابولكيلك لمغادرة كردفان والتوجه الى سنار حيث طرد السلطان بادى وعين ابنه ناصر ملكا من بعده . وبرحيل ابي لكيلك انهار ماحققه الفونج فى كردفان وقضت مملكة الفونج ايامها الأخيرة هناك فى صراع شديد مع المسبعات والفور لضمان نفوذها هناك . وقد تم النصر أخيراً للفور، وظلت كردفان تابعة لهم منذ انسحاب الفونج سنة ١٧٨٦ وحتى دخول الجيش التركى سنة ١٨٢١ [٢] .

وبانتهاء عهد الملك بادى ابوشلوخ انتهت سيطرة الفونج الفعلية على البلاد واصبح الحل والعقد بيد الهمج تحت زعامة ابولكيلك . والهمج مثلوا بقايا الشعوب الاصلية التى سكنت جنوب الجزيرة عند قيام مملكة الفونج،

---

(١) يوسف فضل : مقدمة فى تاريخ الممالك الإسلامية ، ص ٧٨ — ٧٩ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٧١ .

وظلوا نحو قرنين ونصف تحت حكم الفونج . ويقول البعض أنهم خليط من النوبة والعرب ، بينما تحدد بعض الروايات صلتهم بالعوضيه والجعليين .

وبما أن ابا لكيلك تمتع بشخصية قـوية — ولعله من اكفأ وأقـدر الشخصيات التى انجبها السودان(١)— فقد استطاع خلال الاربعة عشر عاما التى استولى فيها على حكم سلطنة الفونج أن يحافظ على وحدتها وامنها وأن يقيم فيها جهازا حربيا ممتازا . وفوق هذا فقد احسن معاملة رعاياه فازال المظالم واقام العدل فى البلاد . الا أنه بعد وفاته انعدمت الشخصية القوية التى تستطيع المحافظة على النظام،واصبحت البلاد مسرحا للفتن لمدة استمرت نحو خمس واربعين عاما . ولعل السبب الرئيسى لهذا التدهور هو أن ابا لكيلك قضى على « مجلس الشورى » ، ذلك الجهاز التقليدى الذى تكون من زعماء الفونج وكبارهم،وكان مسئولا عن خلع السلطان « اذا تنكب الطريق أو اصبح متهتكا خليعا »(٢) .

لم يكن الخلاف بين الهمج خلافا حول المبادئ،وانما كان حول السلطة بين ابناء العم من الهمج واحيانا بين الاخوان . وقد ظهرت بوادره منذ وفاة ابى لكيلك سنة ١٧٧٦ فى عهد خليفته وابن اخيه الشيخ بادى بن رجب حيث ثار ضده ابناء ابو لكيلك بالتعاون مع عدلان ملك الفونج والشيخ محمد الامين مسمار شيخ العبدلاب وقد استمر هذا الصراع بين الهمج طوال مدة سيطرتهم على البلاد حتى أن الواحد منهم ماكان يصل الى الحكم إلا « على دماء بنى عمومته »(٣) . وقد وضح هذا جليا فى اواخر ايام سلطنة الفونج عندما قتل الشيخ محمد عدلان — ثامن وزراء الهمج وآخرهم — سنة ١٨٠٩ جميع ابناء الوزير الهمجى السابق حسن ود رجب حتى يستطيع أن ينفرد بالسلطة . وقد اشترك العبدلاب فى جزء من هذا الصراع مع الفونج ضد الهمج .

(1) MacMichael : A History of the Arabs, vol. I, P. 411.

(٢) شبيكه : مملكة الفونج الإسلامية ، ص ١٠٢ .

(٣) شبيكة : السودان فى قرن ، ص ٣ .

وهكذا نتيجة لتدهور سلطات الملك والخلافات الحادة بين زعماء الهمج ضعفت السلطة المركزية فى البلاد وبالتالى انهدت اركان سلطة الفونج وتعرض امنها ووحدتها الى اخطار بالغة . وقد تميزت اواخر ايام الفونج بالمناوشات والخلافات الحادة بين الممالك والمشيخات من جهة وبينها وبين السلطة المركزية من جهة اخرى . وقد استغلت الممالك والمشيخات ضعف السلطة المركزية فاستقل كثير منها عن سلطان سنار استقلالا لحقبة محدودة او استقلالا امتد حتى الفتح المصرى . وكان الشايقية اول من تمرد على الفونج فى النصف الثاني من القرن السابع عشر وفرضوا سيادتهم على دنقلا باسرها . وقد تمكن العبدلاب بقيادة شيخهم محمد الامين وبتأييد من سلطان سنار عدلان من تحقيق قدر كبير من الاستقلال بعد أن هزموا الهمج وقتلوا زعيمهم بادى ود رجب سنة ١٧٨٠ ، كما صار الشكرية اعظم قوة فى البطانة .

وقد انتهت فترة الاضطراب والفوضى هذه بحملة اسماعيل كامل بن محمد على عند فتحه للسودان سنة ١٨٢١ .

الفصل الاول

أسباب فتح محمد على للسودان

أسباب فتح محمد على للسودان

يحدثنا التاريخ أن معظم السلاطين والملوك الذين استقلوا بحكم مصر منذ اقدم العصور فكروا فى امتداد ملكهم جنوبا نحو السودان . فالفراعنة منذ الأسر الاولى بدأوا اتصالاتهم مع السودان واستمرت تلك الاتصالات فى عهد الدولة المصرية القديمة والدولة الوسطى الا أنها اخذت شكلا جادا فى الدولة المصرية الحديثة حيث ارسل معظم فراعنتها جيوشا بقصد احتلال السودان وضمه للممتلكات المصرية . ويمكننا أن نعتبر أن الفتح الحقيقى للسودان بدأ فى عهد تحتمس الاول . احد فراعنة تلك الدولة ، إذ أنه قاد جيشا فى السنة الثانية من حكمه وتوجه جنوبا فاتحا البلاد حتى جزيرة تومبس جنوبي الشلال الثالث حيث ترك هناك لوحة مشهورة تعرف باسم «لوحة تومبس» . ولم تفتر العلاقات بين القطرين الا منذ أن تعاقب على حكم مصر شعوب اتتها غازية وجعلتها ولاية ضمن امبراطورية أخرى . هكذا كان الحال فى عهود الفرس واليونان والرومان والاتراك اخيرا (١) .

لذلك لم يكن من الشاذ ولا المستغرب أن يفكر محمد على ، وهو الذى اتي الى الحكم بعد فترة ضعف لاقى فيها المصريون كل انواع الذل والهوان ، اقول لم يكن مستغربا أن يفكر فى التوسع جنوبا نحو السودان، خاصة وأنه اراد أن تكون لمصر بقيادته شخصية مستقلة . ولولا أن الحت تركيا على الباشا بتجريد جيش لاخضاع الوهابيين ربما كان « فتح السودان اول حروبه بعد

(١) بعد فتح مصر سنة ١٥١٧ تقدم السلطان سليم إلى سواكن ومصوع فامتلكهما ودخل الحبشة بقصد الزحف على سنار . خاطب سليم عمارة دنقس ودعاه إلى الطاعة، الا أن عمارة أجابه بما مفاده : «انى لا أعلم ما الذى يحملك على حربى وإمتلاك بلادى فان كان لأجل تأييد دين الإسلام فانى أنا وأهل مملكتى عرب تدين بدين الله ورسوله وان كان الغرض مادى فأعلم أن أكثر أهل مملكتى عرب بادية وقد هاجروا إلى تلك البلاد فى طلب الرزق ولا شيء عندهم تجمع منه جزية سنوية » . أخيرا عدل السلطان سليم عن غزو سنار . شقير : ج ٢، ص ٧٣ .

رد الغزوة الانجليزية ([1])» سنة ١٨٠٧ . هذا وقد كان الوفد الذى ارسله محمد على سنة ١٨١٢ الى سلطان سنار دليلا قاطعا على اهتمامه بالسودان . فبالرغم من أن السبب الرسمى لهذا الوفد كان تحريض حكومة سنار لطرد المماليك الذين لجأوا من مصر للسودان ، الا أن الباشا اراد به فى المقام الاول «الاستطلاع على احوال البلاد ومايلزم من الجيوش لفتحها([2])» . وبعد التقرير الذى رفعه ذلك الوفد لمحمد على موضحا فيه ضعف مملكة سنار العسكرية وعدم وحدتها السياسية ([3]) قوى عزمه فسافر فى سنة ١٢٣٥ « ١٨١٩ — ١٨٢٠» الى صعيد مصر ليجهز للحملة التى قرر ارسالها الى السودان ([4]) .

اعترف كل من المؤرخين الاوربين «دودويل» "Dodwell" ([5]) و« ديهيرين » "Deherain" ([6]) أن الحصول على العبيد والتنقيب عن المعادن كانا اهم سببين للفتح ، الا أنهما لم يحددا ايهما كان اهم من الآخر . ولكن بالرجوع الى الوثائق يتضح لنا بما لايدع مجالا للشك أن الحصول على العبيد كان اهم بكثير من التنقيب عن الذهب والمعادن الأخرى . ففى رسالة الى

---

(١) الرافعى : تاريخ الحركة القومية ، جـ ٣ ، ص ٧٣ .

(٢) شقير : جـ ٣ ، ص ٢ .

(3) Holt : A Modern History P. 36.

(٤) يذكر الجبرتى ان الا راء إختلفت حول أغراض هذه الرحلة فيقول : « .. وكان الناس قدتقولوا على ذهابه إلى قبلى أقاويل منها أنه يريد التجريد على بواقى المصريين المنقطعين بدنقلا فانهم إستفحل أمرهم واستكثروا من شراء العبيد وصنع البارود والمدافع وغير ذلك ، ومنها أنه يريد التجريد أيضا وأخذ بلاد دارفور والنوبه ويمهد طريق الوصول اليها . ومنها أنهم قالوا إنه ظهر بتلك البلاد معدن الذهب والفضة والرصاص والزمرد وأن ذهابه للكشف من ذلك وإمتحانه وعمل معدله ومقدار ما يصرف عليه حتى يستخرج صافيه .. » .

الجبرتى : جـ ٤ ، ص ٣٠٥ .

إلا أنه يبدو أن الباشا أراد بهذه الزيارة أولا وقبل كل شىء تجهيز حملة لفتح السودان والدليل على هذا أنها ارسلت بعد عام واحد من هذه الزيارة .

(5) Dodwell : The Founder, P. 50

(6) Deherain : Le Soudan Egyptien, pp. 27-28.

الدفتردار قال الباشا : «وان لاتكون هذه المسائل والوسائل[1] باعثا على اضاعة الوقت دون ايفاء مهمة جلب العبيد أو سببا لتجويزكم البطء والتكاسل فى صرف مافى الطاقة فى سبيل تحقيق هذه المهمة [2]» . وفى رسالة أخرى الى ابنه اسماعيل قال محمد على : « . . . المقصود الاصلى من هذه التكلفات الكثيرة والمتاعب الشاقة ليس جمع المال كما كتبنا اليكم ذلك مرة بعد أخرى، بل الحصول على عدد كبير من العبيد الذين يصلحون لاعمالنا ويجدرون بقضاء مصالحنا [3] » .

لم يكن الحصول على العبيد اهم من التنقيب عن الذهب والمعادن الاخرى فحسب بل أنه كان اهم اسباب الفتح جميعا . فهاهو الباشا يقول فى رسالة الى ابنه ابراهيم باشا «حيث أن الاهم والالزم لنا هو الحصول على العبيد واقدم جميع الأمور هو اعداد العبيد من كردفان او موردفان[4]، وافيناكم بهذا الاشعار تكرارا لأجل التأكيد، وأن كان هذا النظر مستقرا فى ذهنكم[5]». ويقول فى رسالة أخرى لأبنه ابراهيم : «وجلب السودانيين هو غاية المـــراد ونتيجة المقصود مهما كانت الصورة التى يجلبون بها من اوطانهم [6] » . ويقول الباشا فى رسالة الى عبدى اغا حاكم دنقلا : «ولما كان المراد من تحمل هذه النفقات ومن ايفادى الى تلك الجهات امثالكم الحاذقين الذين احبهم والذين سبقت لى الاستفادة كثيرا من جهودهم منحصرا من حيث النتيجة والثمرة فى مجئ ماسيأتي من السودانيين على الوجه المطلوب [7] » .

---

(١) من أول الرسالة نفهم أنه يقصد بها التنقيب عن الحديد والمعادن الأخرى .

(٢) دفتر ١٠ معيه تركى ، ترجمة المكاتبة رقم ٢٤ بتاريخ ٣ صفر سنة ١٢٣٧ .

(٣) دفتر ١٠ معيه تركى ، ترجمة المكاتبة رقم ٣٢٥ بتاريخ ١٠ ذى القعدة سنة ١٢٣٧ .

(٤) ربما كانت موردفان مطابقة لكردفان .

(٥) دفتر ٧ معيه تركى ، ترجمة المكاتبة رقم ٣٠٠ ص ١٧٧ بتاريخ ١٩ ذى الحجة سنة ١٢٣٦.

(٦) دفتر ١٠ معيه تركى ، ترجمة المكاتبة رقم ١٧ بتاريخ ٢٧ محرم سنة ١٢٣٧ .

(٧) دفتر ١٠ معيه تركى ، ترجمة المكاتبة رقم ١٦ بتاريخ ٢٧ محرم سنة ١٢٣٧ .

بل ان الباشا قال فى رسالة أخرى الى عبدى اغا : «إن غرضنا الوحيد من انتداب نجلنا اسمعيل باشا الى ديار السودان البعيدة وايفاد ولدنا الدفتردار الى بلاد كوردفان بهذه الاستعدادات والتكلفات الكثيرة معززين بسواد من الجنود ومزودين بكثير من المهمات هو الاهتداء الى طريقة جلب هؤلاء العبيد المطلوبين لدينا كما ان المقصود من ارسالكم الى دنقلا وارسال محو بك الى بربره هو رغبتنا فى العبيد الذين نملكهم بمساعى المشار اليهم بدون أن يمسهم تلف . . . (1) » .

ما أن استولى محمد على على حكم مصر فى سنة ١٨٠٥ ، إلا وفكر فى تأسيس دولة قوية ذات عز ومنعة (2) . فخطط المشاريع للنهوض بها فى مختلف المجالات الزراعية والصناعية والعلمية والعمرانية . لم تنته اطماع محمد على بتأسيس دولة قوية فى مصر بل لعله امل فى توسيع رقعة بلاده بالاستيلاء على الامبراطورية العثمانية نفسها (3). لاشك أنمثل هذه المشاريع لن تخرج الى حيز الوجود ولن تصبح حقيقة واقعة الا اذا توفر المال الوفير لتنفيذها . و بما ان حكم الاتراك والمماليك استنزف خيرات مصر وتركها من افقر الولايات العثمانية ، كان لابد للباشا من ايجاد مصدر جديد لاعداد المال اللازم لتنفيذ تلك المشاريع . وهكذا فقد كان البحث والتنقيب عن المعادن فى السودان هو السبب الثاني الذى دفع الباشا لفتح السودان .

ويتضح اهمية البحث عن المعادن من رسالة ارسلها الباشا الى الدفتردار قال فيها : « . . فاعز مطلوبنا ان تبذلوا بعد اطلاعكم انتم ايضا على هذا الشأن مايقتضيه غيرتكم فى أن تحققوا من الآن وتستوثقوا من المحال التى يوجد فيها جوهر المعدن المذكور(4) قويا وبمقادير وافية مباركة،وأن تدبروا

(١) دفتر ١٠ معيه تركى ، ترجمة الوثيقة ٣٤٢ بتاريخ ١٩ ذى القعده سنة ١٢٣٧ .

(٣) شبيكة : السودان فى قرن ، ص ١٢ .

(3) Dodwell : The Founder, P. 50.

(٤) من أول الرسالة نعرف أنه يقصد الحديد .

وتهيئوا الاسباب اللازمة التى تستوجبها سهولة استخراجه وصوغه وبذلك تشمرون عن ساق الجد والحمية لصنعه عند وصول الاسطوات المذكورين اليكم . وأن لاتدخروا وسعا فى معرفة المحال التى يؤمل وجود سائر المعادن الأخرى ايضا فيها بالبحث والتحرى عنها واستكشافها ولافى امر اعلامنا بما حصلتم عليه من العلم بشأنها . . . (١) » .

تحدث الكثير من الرحالة الاوربيين الذين زاروا السودان فى القرنين السابع عشر والثامن عشر عن امكانيات السودان الاقتصادية ووفرة منتوجاته كالصمغ والعاج وسن الفيل وجلود المواشى . من هؤلاء الرحالة جاك فرنسوا بونسيه « ١٦٩٨—١٧٠٠» وكرمب البافارى « ١٧٠١—١٧٠٢» ودى ثواردى رول (٢) وجيمس بروس الاسكتلندى والرحالة السويسرى بركهارت «١٨١٣ — ١٨١٥»(٣) . وبالاضافة الى احاديث هؤلاء الرحالة تحدث قناصل الدول الاجنبية فى تقاريرهم التى بعثوا بها لحكوماتهم عن فوائد التجارة مع السودان (٤) . لاشك أن عاهل مصر قد عرف اهمية وفوائد التجارة مع السودان من محادثاته مع هؤلاء القناصل ومن مقابلاته لرجال القوافل .

الا أن العلاقات التجارية بين مصر والسودان قد تدهورت الى درجة بعيدة قبل الفتح «المصرى» للسودان . فبما أن السودان لم يخضع آنذاك لقوة سياسية موحدة فقد كان من الطبيعى فى هذه الظروف أن يشتد نشاط اللصوص وقطاع الطرق . ففى الشرق كانت قبائل العبابدة والحلانقة وبنى عامر تهاجم القوافل بين شاطئ البحر والنيل ، وفى الغرب تعرضت قوافل كردفان لسطو قبائل البقارة والكبابيش بينما كان الشايقية مصدر رعب وفزع للجلابين

---

(١) دفتر ١٠ معيه تركى ، ترجمة المكاتبة رقم ٢٤ بتاريخ ٣ صفر سنة ١٢٣٧ .

(٢) قتل دى رول فى سنة ١٧٠٥ بمؤامرة إشترك فيها سلطان سنار . وقد كان مقتله إيذانا باغلاق الطريق إلى السودان فى وجه الرحالة إغلاقا يكاد يكون تاما إستمر حوالى سبعين عاما إلى أن استطاع جيمس بروس زيارة الحبشة وسنار (١٧٧٠ — ١٧٧٣) .
مقار : البكباشى المصرى ، ص ١٨ .

(٣) المصدر السابق ، ص ١٨ .

(٤) شكرى : بناء دولة ، ص ٦١٨ .

في الشمال[1] . ومما زاد الطين بلة الضرائب الفادحة التي فرضها ملوك وشيوخ السودان والهدايا الكثيرة التي الحوا في طلبها من التجار حتى أن القوافل التجارية كانت تختار الطرق الصحراوية البعيدة عن شاطئ النيل لتفادي هذه الأتاوات . وقد ذكر الرحالة بركهارت أنه قد سمع عن تاجر مصري زار شندي – قبل ثمان أو عشر سنين من زيارته لها – مصطحبا معه عشرين راحلة محملة . توفي ذلك التاجر هناك فما كان من ملك شندي الا أن استولى على جميع امواله وممتلكاته[2] .

في هذه الظروف القاسية كان من الصعب على أي تاجر مصري التوجه جنوبا نحو السودان دون أن يعرض نفسه وامواله لاخطار داهمة . ولذلك قلّت رؤوس الاموال المصرية المستثمرة في التجارة مع السودان ، « قدرها بركهارت عند زيارته للسودان بستين أو ثمانين الف ريال» [3] . وتحولت معظم متاجر السودان الى سواكن ومصوع حتى كاد أن ينقطع ورودها الى مصر [4] .

لاعادة العلاقات التجارية بين البلدين كان على الباشا اولا وقبل كل شئ أن يؤمن طرق القوافل التجارية بأن يعيد الأمن والسلام في ربوع البلاد . ولتحقيق هذه الغاية كان لابد من اخضاع ملوك وامراء السودان لحكم الباشا. ولذلك ارسل حملته لفتح السودان وضمه الى ممتلكاته .

كان لايمكن لعاهل مصر أن يعتمد على الجنود الارناؤد في جيشه النظامي الحديث وذلك لأنهم « فطروا على حب الشغب والنفور من النظام والرغبة عن الطاعة[5] » . فقد كان مسلكهم من أهم اسباب اخلال الامن في اوائل عهد محمد علي خاصة مابين عامي «١٨٠٥–١٨١١» اذ أنهم كثيرا

---

(١) شكري : الحكم المصري ، ص ١٣.

(2) Burckhardt : Travels in Nubia, P. 274.

(٣) المصدر السابق ، ص ٢٧٤ .

(٤) الرافعي : تاريخ الحركة القومية ، ج ٣ ، ص ١٥٩ .

(٥) المصدر السابق ، ص ٣٦٣ .

ماهجموا على الاهالى الابرياء فسرقوهم ونهبوهم واستباحوا عروضهم . وعندما قرر محمد على فى سنة ١٨١٣ وضع اسس جديدة باحصاء وتسجيل اسماء كل الجنود الذين عملوا تحت خدمته ، تمرد قواد الجنود الارناؤد وحرضوا جنودهم على الثورة مما اضطر ابنه ابراهيم الى فصل الكثير من اولئك القواد (١) .

وبجانب هذا كله فقد كان هؤلاء الجنود الباشبوزق يعملون فى جيش محمد على بعقود شهرية دفعت لهم بموجبها مرتبات أكبر بكثير من المرتبات التى دفعت لغيرهم من الجنود (٢) . فالجنود الارناؤد الذين ارسلوا لحملة السودان دفعت لهم مرتبات ستة اشهر مقدما لفتح البلاد حتى دنقلا . ولعل الباشا قد اتفق معهم فى بادئ الامر للعمل معه حتى فتح دنقلا فقط اما لانه خشى أن لايجد جنودا يعملون معه فى حرب ابعد من هذه أو لأنه اراد أن يوهم الرأى العام بأن الحملة لن تذهب ابعد من دنقلا . وبعد الاستيلاء على دنقلا اغرى الباشا هؤلاء الجنود بالاستمرار فى فتح البلاد حتى سنار ، فقبلوا ذلك لكسب المزيد من المال بعد أن تأكدوا من النصر على اعدائهم (٣) .

لتكوين الجيش النظامى الحديث كان لابد للباشا من أن يتخلص من هؤلاء الجنود الارناؤد . لم يرد محمد على ، فى رأى نعوم شقير ، الخلاص منهم عن طريقة الغدر والقهر وفاء منه لهؤلاء الجنود « الذين ساعدوه وشدوا من أزره فى تثبيت اقدامه فى مصر (٤) » . الا أنه يبدو أن محمد على لم يحجم عن الغدر بهؤلاء وفاء منه وتقديرا لخدماتهم وإنما خوفا من أن يؤدى ذلك الى ثورة فى جميع انحاء البلاد، خاصة وأن الاهالى اعترضوا على سياسته التى أدت الى ضبط ارزاقهم « وقياس الاراضى وقطع المعايش (٥) » . لذلك

(1) Douin : Historie, P. 66.

(٢) المصدر السابق ، ص ٦٦ .

(3) Waddington : Journal of a Visit, P. 92.

(٤) شقير : ج ٣ ، ص ٢ .

(٥) الجبرتى : ج ٤ ، ص ٢٢٥ .

كان لابد للباشا من اتباع الحكمة للخلاص من هؤلاء الجنود .

بدأ محمد علي في الخلاص منهم تدريجيا وبطرق متعددة، فأرسل بعضهم لحرب الوهابيين وأخرون في حملاته المتعددة ضد بكوات المماليك (١) ، كما نفى أكثر عناصرهم شغبا خارج القاهرة . هذا وإن نفى الجند خارج القاهرة لم يكن امرا سهلا، اذ أنه كثيرا مارفض قادتهم الخروج من القاهرة التي وجدوا فيها المجد والعزة . ففي سنة ١٨٠٧ مثلا رفض رجب اغا الارنئودي — احد قادة الجند — تنفيذ اوامر محمد علي بمغادرة القاهرة وحشد جنوده ضد قوات الحكومة(٢) . وللقضاء على البقية الباقية منهم ارسل الباشا حملته الى السودان . وعلى الرغم من الامتيازات التي اعطاها الباشا لاولئك الجنود فقد تمرد بعضهم في اسيوط حتى أن محمد علي ارسل مندوبا خاصا للقبض عليهم واعادتهم الى القاهرة . وقد هدد الباشا قواد اولئك الجنود بالعقاب الصارم إن توانوا في القبض على اولئك المتمردين بقوله : « واما اذا لم تمسكوا هؤلاء المجترئين على تلك الحالة ولم ترسلوهم لنا فيلزم أن تعلموا اني اعاقبكم على ذلك » (٣) .

بعد مذبحة القلعة هربت فلول المماليك الى اسنا حيث اعتصموا هناك بالجبال التي سكنها العبابدة والبشاريين الذين اساءوا معاملتهم فنهبوا اموالهم وقتلوا بعضهم . وقد ساءت احوال اولئك المماليك حتى أن بعضهم لم يجد العلف لخيولهم، فاضطروا الى اطعامها بسعف النخيل(٤) . غير أن محمد علي مازال خائفا منهم، فارسل ابنه ابراهيم باشا على رأس جيش للقضاء عليهم . دبر ابراهيم باشا خطة للقضاء عليهم فأرسل اليهم يؤمنهم ويقطع اليهم اوثق العهود اذا نزلوا من الجبل ويتعهد بتقليدهم وظائف في حكومة محمد علي تتفق ومراتبهم . لم يستفد المماليك من الدرس الذي لقنه لهم الباشا في مذبحة

(١) شكري : بناء دولة ، ص ١٩٢ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٩٤ .

(٣) دفتر ٧ معيه تركي ، ترجمة المكاتبة رقم ١٠٩ بتاريخ ٢١ ربيع الأول سنة ١٢٣٦ .

(4) Burckhardt : Travels in Nubia, P. 12.

القلعة، فنزلوا كلهم ماعدا ثلاثين فقط وجاءوا الى معسكر ابراهيم . إلا أنه غدر بهم، وامر جنوده بذبحهم، فذبحوا عن بكرة ابيهم ماعدا مملوكين فرنسيين اجابة لرغبة طبيب ابراهيم بك(1) . فى هذه الظروف القاسية لم يجد بقية المماليك مخرجا سوى التوجه جنوبا نحو السودان واستقروا فى دار الشايقية حيث استقبلهم كبير الشايقية محمود العادلانابي ، الذى رحب بهم وأكرمهم ، الا أنهم بعد شهر من اقامتهم غدروا بمضيفهم فقتلوه مع نفر من حاشيته وانتشروا بعد ذلك فى دار الشايقية فدمروا ممتلكاتهم واستولوا على الخراج ، ومنذ ذلك الوقت نشب صراع عنيف بين الجانبين لم يسفر عن نتيجة حاسمة وانتهى باتفاق سمح بمقتضاه للمماليك بالاستقرار فى ارقو واعطائهم جميع الشاطئ الممتد من خندق الى حنك. اختار المماليك مراقه عاصمة لبلادهم، واستمروا فى دنقله الى أن قضت عليهم حملة اسماعيل (2) .

زيادة على المحن والكوارث التى تعرض لها المماليك فى مصر فقد واجهوا فى السودان مصاعب جمة واهوالا اضعفتهم وضعضعت قوتهم . ففى حروبهم المتواصلة مع الشايقية فقدوا كثيرا من خيرة رجالهم وخيولهم ، كما تعرضوا لامراض متعددة كالحمى التى كانت تنتشر عادة فى دنقلا فى الصيف وتقضى على الكثير من الاهالى (3) . وبسبب هذه الامراض وتقدم السن فقد المماليك فى سنة ١٢٣١ « ١٨١٥–١٨١٦ » بعض زعمائهم مثل عثمان بك حسن وسليم اغا واحمد شويكار (4) ، كما فقدوا فى سنة ١٢٣٢ « ١٨١٦–١٨١٧ » زعيمهم ابراهيم بك الكبير (5) . هذا وقد كان للخلافات

---

(١) المصدر السابق، ص ١٢ .

(٢) شقير : جـ ٢ ، ص ١٠٦ .

(3) Burckhardt : Travels in Nubia, P. 68.

(٤) الجبرتى : جـ ٤ ، ص ٢٤٦ .

(٥) المصدر السابق ، ص ٢٧٩ .

الحادة التى نشبت بين زعمائهم فى السودان خاصة بين عبد الرحمن وابراهيم بك (١) اثر كبير فى اضعافهم .

لم يتحمل بعض المماليك الحياة القاسية فى دنقلا ولم يجدوا مخرجا سوى الاتصال بالباشا فى مصر طالبين الأمان والسماح لهم بالعودة الى مصر . ففى سنة «١٨٢١» أرسل جماعة منهم مندوبا عنهم اسمه سليم كاشف الى محمد على « يستعطفونه ويسألون فضله ويرجون مراحمه بأن ينعم لهم بالأمان على نفوسهم ويأذن لهم بالانتقال من دنقله الى جهة من اراضى مصر يقيمون فيها ايضا ويتعيشون فيها بأقل العيش تحت امانه — ويدفعون مايجب عليهم من الخراج الذى يقرره عليهم ولايتعدون مراسمه واوامره (٢) ». وقد ذكر الجبرتي أن الباشا قد قابل هذا المندوب ووافق على اعطاء المماليك الامان بشروط معينة اذا اخلوا بأى واحد منها يصبح الاتفاق معهم لاغيا .وبمقتضى هذا الاتفاق تعهد المماليك بارسال مندوب عنهم قبل رحيلهم من دنقلا الى محمد على ليخبره بحركتهم وانتقالهم، كما وافق محمد على على ارسال مندوب عنه لمقابلتهم فى صعيد مصر وتقديم كل مايحتاجون اليه من مأكل وملبس . وعند وصول المماليك الى مصر لن تقطع لهم اراضى فى اى جهة من الجهات،بل سيضم الخبراء واصحاب الكفاءات منهم الى خدمة محمد على كأن يعينوا رؤساء على العساكر ويقدم العون للعجزة والضعفاء منهم . اما إذا طالب المماليك بأن تقطع لهم الاراضى او اعطائهم اى شئ ملكوه فى الماضى فسيعتبر الامان الذى اعطى لهم لاغيا(٣) . وعندما علم المماليك فى شوال سنة ١٢٣٥ « يوليو — اغسطس سنة ١٨٢٠» بالحملة التى قرر محمد

(١) بينما قبل أبراهيم بك فى سنة ١٨١٢ التعاون مع محمود كاشف المحس للقضاء على الملك طمبل ؛ رفض عبد الرحمن بك محاربة رجل قوى مثل طمبل . ونسبة للخلافات بين هذين الزعيمين لم يستطع المماليك مواصلة إنتصاراتهم على الشايقية وإحراز نصر حاسم عليهم .
Waddington : Journal of a Visit, P. 22-26.

(٢) الجبرتى جـ ٤ ، ص ٢٤٦ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٢٤٦ — ٤٧ .

على ارسالها للسودان جاء خمسة وعشرون منهم الى الجيزة وطلبوا الامان من محمد على فاعطى لهم ، كما جاء فى نفس السنة ابن الزعيم المملوكى على بك ايوب طالبا الامان لابيه(1) . وفى اوائل شهر ربيع الاول سنة ١٢٣٦ « ديسمبر سنة ١٨٢٠ » جاء عشرة من المماليك طالبين الامان من محمد على وهم فى «حالة رثة وضعف وضيم واحتياج (2) » وتبعهم فى اواخر شهر رجب سنة ١٢٣٦ « ابريل– مايو ١٨٢١ » جماعة من المماليك بينهم الزعيم محمد الالفى (3) .

بَيْدَ أنه رغم سوء احوال المماليك وتضعضع قوتهم فى السودان فقد كان الامل فى العودة الى مصر مايزال يراودهم لاستعادة مجدهم الضائع هناك . فقد قيل أن الزعيم المملوكى عثمان بك لم يقتنع بالاقامة فى الدر عاصمة النوبة ، وانما اقسم أن لايحلق شعر رأسه إلا بعد العودة للقاهرة منتصرا (4) .

حقا أنه نظرا لقوة محمد على فى مصر من جهة ولضعف المماليك من جهة اخرى (5) فقد كان من الصعب عليهم أن يهجموا بمفردهم على مصر ويستعيدوا حكمهم هناك . الا أنهم ربما فكروا فى الاستيلاء على احد موانى البحر الاحمر كصوع ومن هناك يعززون قوتهم بامداد من رقيق جورجيا (6) وبذلك يقوى مركزهم ويشكلون خطرا على الباشا فى مصر .

شعر محمد على منذ البداية بخطر المماليك عليه وعلى حكمه فى مصر ، فاتخذ اجراءات حاسمة للقضاء عليهم . فهو قد أمر بمنع بيع البارود فى الصعيد

---

(١) عندما جاء الأمان لعلى بك أيوب وتأهب للرحيل حقد عليه المماليك وقتلوه .

المصدر السابق ، ص ٣١٠ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٣١٧ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٣١٨ .

(٤) مقار : أحوال السودان الإقتصادية ، ص ٣٥ .

(٥) عدد المماليك فى السودان عندما تقدم الجيش الفاتح لفتحه ، فى رأى البروفسير شبيكة ، لم يتعد الثلاثمائة .

شبيكة : السودان فى قرن ، ص ١٦ .

(6) Burckhardt : Travels in Nubia, P. 67.

حتى لايتسرب اليهم فى دنقلا ، كما أنه فرض عقوبات صارمة على كل المصريين الذين ثبت تعاونهم مع المماليك(١) . وفوق هذا كله فقد كان احد اسباب فتح الباشا للسودان فى سنة ١٨٢١ هو القضاء على البقية الباقية من المماليك . وزعم هولت أن القضاء على المماليك كان أهم أسباب الفتح جميعا (٢)، غير أن هـذا لم يكن الا سببا ثانويا للفتح الذى اريد به فى المقام الاول ـ كما اوضحت من قبل ـ تحقيق اغراض أخرى .

بعد أن عرفنا أسباب الفتح يجدر بي أن اتعرض بالنقد والتحليل لبعض الاسباب الأخرى التى ذكرت لفتح محمد على للسودان . فقد زعم بعض المؤرخين المصريين أن محمد على لم يقصد بذلك الفتح استغلال موارد السودان وخيراته ، وإنما كان يهدف لخير ورفاهية السودان ومصر معا . فالدكتور محمد فؤاد شكرى ادعى أن الباشا لم يرد بفتحه للسودان « استعباد اهله واسترقاقهم ،ولم يدخل فى نطاق تفكيره استغلال موارد السودان لفائدة مصر . بل أن المصلحة السياسية العليا واكرم الدوافع الإنسانية هى التى املت على الباشا ضرورة العمل على ضم شطرى الوادى فى نطاق واحد فى ظل حكومة رشيدة موحدة تعمل على رفاهية السودانيين والمصريين معا(٣)» . والاستاذ محمد احمد الجابرى يقول : « لم تكن الاسباب التى اقضت فى جوهرها الى ضم السودان لمصر طلب المنفعة أو مجرد التجارة أو السيطرة أو الشهوة أو الاستغلال ، بل كانت للروابط الطبيعية والحيوية والقومية والسياسية وروابط اللغة والدين والدم هى الاسباب التى دفعت محمد على دفعا لفتح السودان

---

(١) مقار : أحوال السودان الإقتصادية ، ص ٣٧ . ذكر مقارأن الباشا أمر فىسنة ١٨١٥ بقطع رأس زعيم أحدى قبائل الصعيد لتعاونه مع المماليك .

(2) Holt : A Modern History, P. 35.

(٣) شكرى : الحكم المصرى ، ص ٢٣ .

فى نفس هذا المصدر وفى صفحتى ١٨ — ١٩ يناقض شكرى نفسه ويعترف بأن الباشا قد ذهب لتحقيق أغراض معينة فيقول مثلا : « من المقطوع به ان الحصول على الرقيق كان من أهم أسباب الفتح » .

والحاقه بالملاكه المصرية (١) ».

وقد ذهب اولئك المؤرخون الى ابعد من هذا، فادعوا أن فتح السودان تم «بناء على رغبة أهله أنفسهم (٢) » والحجة التى اوردوها لتأييد هذا الزعم هى أنه بعد انتشار الفوضى والفساد فى ربوع السودان فى اواخر عهد دولة الفونج لجأ بعض الزعماء السودانيين الى محمد على طالبين منه مساعدتهم لاصلاح احوال بلادهم والقضاء على الفتن والحروب الداخلية فيها لأنه ، على حد قول الجابرى ، « ليس للسودان مدخل ولامخرج خلاف مصر ، فهى حصن السودان الذى يحتمى فيه المحتاجون ويلجئون اليه هربا من طغيان الطغاة وعسف المتعسفين (٣) ».

من المؤكد أن بعض الزعماء السودانيين ذهبوا لمصر وطلبوا من محمد على أن يعد جيشا لفتح السودان . من هؤلاء : ادريس ود ناصر من البيت السنارى ونصر الدين ملك الميرفاب، الذى طرد من الحكم بعد أن كان مسئولا عنه لمدة اربعين عاما ، وبشير ود عقيد احد زعماء الجعليين وغيرهم. الا أن هؤلاء الزعماء ، فى رأيى ، لم يستنجدوا بمحمد على لتحقيق مصالح البلاد العليا وانقاذها من الفوضى وانما فعلوا ذلك لتحقيق مطامع واغراض شخصية . فبشير ود عقيد مثلا هرب الى القاهرة بعد أن ضيق سلطان سنار عليه وارسل رسلا خلفه على اثر وشاية من الملك نمر ليتعقبوه ويقتلوه (٤) . ونصر الدين غادر بلاده للاستنجاد بعاهل مصر ضد منافسه فى

---

(١) الجابرى : فى شأن الله ، ص ١٨ .
(٢) حسين : تطور السودان ، ص ٦ .
(٣) الجابرى : فى شأن الله ، ص ١٩ .
(٤) فوزى : السودان بين يدى غردون وكتشنر ، ج ١ ، ص ٥٩ .

الحكم على ود تمساح[1] ، وطمبل بن الزبير ذهب الى مصر متلمسا مددا من الجند والعتاد ليحارب اعداءه المماليك[2] ، وابو مدين كان مطالبا بعرش دارفور من منافسه محمد الفضل سلطان دارفور ، كما طلب ود هاشم معونة الباشا ضد اعدائه في كردفان. وهكذا فيما أن هؤلاء الزعماء ذهبوا الى مصر مستنجدين بمحمد على لتحقيق مآرب شخصية، فهم لم يمثلوا الا أنفسهم، ولذلك لايمكن ان نقبل الزعم القائل بأن فتح السودان تم بناء على رغبة اهله .

وفى الواقع أن أولئك المؤرخين ارادوا بمثل هذه المزاعم خدمة أغراض سياسية معينة . فهم ارادوا اظهار مصر بالحرص الدائم على مصالح السودان وبالتالى خدمة الدعوة للوحدة بين مصر والسودان التى كانت ترمى اليها مصر وبعض الأحزاب السودانية فى الأربعينات واوائل الخمسينيات . وبتمجيد محمد على واظهاره بمظهر القائد العظيم الذى سعى بكل الطرق لخدمة الشعبين المصرى والسوداني ، ربما اراد اولئك المؤرخون ايضا كسب ثقة وعطف ملك مصر ،إذ أن اسرة محمد على كانت حتى ذلك الوقت مسيطرة على حكم مصر .

يعتقد بعض المؤرخين العرب والاوربيين[3] إن محمد على كان يرمى الى تكوين امبراطورية عربية تضم كل البلدان العربية . فإذا ثبت هذا الرأى فهذا يعنى أن فتح السودان كان مرحلة من مراحل تكوين هذه الامبراطورية.

---

(١) بعد إنتصار جيوش الفتح إنتقمت الحكومة المصرية لنصر الدين من منافسه على ود تمساح ذ أنه كان أول من شنق فى بربر بعد الفتح المصرى. وقد كافا محمد على نصر الدين على خدماته وولا ئه بأن أمر فى سنة ١٨٣١ باعادته من مصر وأمر على اغا مأمور بربر بتخصيص « مرتب خمسمائة قرش له على حسن خدمته » دفتر رقم ٤٢ معيه تركى ، ملخص الوثيقة التركية رقم ٣٦١ بتاريخ ٢٣ شعبان سنة ١٢٤٦ .

(2) Burckhardt : Travels in Nubia, P. 66

(٣) من هؤلاء الرافعى (تاريخ الحركة القومية ، جـ ٣ ، ص ٢٣٢) وعبد الرحمن زكى (أعلام الجيش ، جـ ١ ، ص ٦ – ٧) Edwin de Leon, (Egypt, P. 38)

وقد كان بالمرستون ، الذى عين فى سنة ١٨٣٠ وزيرا للخارجية فى انجلترا ، أول من ادعى أن محمد على اراد بفتوحاته تكوين امبراطورية عربية تضم كل البلاد التى تتحدث اللغة العربية . فبعد فتوحاته لمصر والحجاز والسودان وسوريا ، لم يبق له ، كما اعتقد بالمرستون ، ليكون الامبراطورية العربية الافتح الخليج الفارسى وجنوب الجزيرة العربية والعراق(١) . ويتضح من رسائل بالمرستون أنه كان يؤمن ايمانا قاطعا بان محمد على كان يسعى لتكوين هذه الامبراطورية العربية . فقد قال فى احدى رسائله الى ويليام كامبل سفير انجلترا فى كابل : « وكان قصده « اى محمد على » تأليف مملكة عربية لجميع بلاد العرب (٢) » . ويقول ايضا فى رسالة أخرى فى ١١ مارس سنة ١٨٣٣ للوزير البريطاني فى نابلى : « إن خطة محمد على الحقيقية ترمى الى تأسيس دولة عربية تضم جميع البلدان التى يتكلم اهلها العربية (٣) » .

لم يؤيد عبدالرحمن زكى هذا الرأى فحسب بل أنه اعتقد أن محمد على كان كبير الامل فى نجاح هذا المشروع اذ أنه لم يتوقع معارضة من تركيا أو فرنسا او النمسا. فتركيا كانت مشغولة باحوالها الداخلية والازمات المتلاحقة التى اضعفت قوتها ، وفرنسا ، كما توقع محمد على ، كانت ستؤيده اذ أن نجاح هذا المشروع يعنى أن محمد على سيقف حجر عثرة فى طريق عدوتها انجلترا الى الهند . اما النمسا فقد ايدت هذه الفكرة وشجع احد ساستها الكونت بروكش اوستين — الذى وفد الى القاهرة فى مهمة خاصة — محمد علـى للاستمرار فى تكوين هذه الامبراطورية . وقد زعم عبد الرحمن زكى أن الباشا فشل فى تحقيق هذا المشروع لسببين هما معارضة السياسة الانجليزية — خاصة بالمرستون — لهذه الفكرة ، ولأن الوعى العربي لم يكن قد استيقظ بعد فى البلاد العربية التى كانت حتى ذلك الوقت مسرحا للفتن والقلاقل(٤) .

---

(1) Dodwell : The Founder, P. 125.

(٢) زكى : أعلام الجيش ، جـ ١ ، ص ٥ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٨ .

(٤) المصدر السابق ، ص ٥ .

الا أنه يبدو أن فتح السـودان لم يكن مرحلة من مراحل تكوين الامبراطورية العربيـة اذ أن هذه الفكرة لم تظهر الا بعد فتح سـورية ، اى بعد أن تم فتح السودان وسيطرت عليه الجيوش الفاتحة سيطرة تامة . وبالاضافة الى هذا يبدو أن محمد على لم يفكر اطلاقا فى تكوين امبراطورية عربية. فهو قد نظر الى الجنس العربي على أنه جنس حقير ، والى الشعب العربي على أنه شعب متأخر لن يتطور الا بعد زمن طويل وبعد انتشار التعليم والثقافة (١). والباشا كان حريصا على الاحتفاظ بالطابع التركى لحكومته فلغة البلاد الرسمية هي التركية ، والمناصب العليا فى الجيش والادارة كانت وقفا على الاتراك وغيرهم من الاجانب (٢) .

وزيادة على عدم ثقة الباشا فى العرب فقد كانت هناك صعوبات عملية جعلته لايفكر اطلاقا فى تكوين امبراطورية عربية . فعلى الرغم من أن معظم الشعوب العربية دانت آنذاك بدين واحد وتحدثت بلغة واحدة الا أنها كانت مختلفة اختلافا تاما فى العادات والتقاليد والافكار ، مما جعل مهمة التوحيد بينها مهمة صعبة شاقة وبعيدة المنال .

وهكذا يبدو أن الباشا لم يرد بفتوحاته تكوين امبراطورية عربية ، ولعله اراد احتلال تلك البلاد لاهميتها الاستراتيجية وليشتهر ويذيع صوته فى بلاد المسلمين ويصبح قائد الاسلام الاول (٣) .

والواقع أن فكرة احياء القومية العربية وتكوين امبراطورية عربية لم تكن فكرة محمد على، ويبدو أنها كانت مسيطرة على ذهن ابنه ابراهيم باشا . فهو ، على الرغم من اصله التركى ، احتقر الاتراك ومجد العرب ورفع من

---

(1) Dodwell : Founder, P. 256.

(٢) فى عهد سعيد أوكلت بعض المناصب العالية فى الجيش والإدارة للمصريين ، الا أن الخديوى إسماعيل وتوفيق عادا مرة أخرى لسياسة محمد على فكانت هذه المناصب فى عهديهما وقفا على الأتراك والشراكسة مما أدى إلى التذمر بين صفوف الضباط وكان من أهم أسباب الثورة العرابية .

الرافعى : الثورة العرابية ، ص ٦٣ — ٦٤ .

(3) Dodwell : The Founder, PP. 127-28.

شأنهم . وفى رد على سؤال لاحد جنوده عن السر وراء احتقاره للاتراك اجاب ابراهيم باشا بقوله . كما ذكره لنا الرافعى نقلا عن كتاب « مهمة البارون ليو الكونت » : « أنا لست تركيا فإني جئت مصر صبيا، ومنذ ذلك قد مصرتني بشمسها وغيرت من دمي وجعلته عربيا (١) » . وبعد مقابلة بين البارون ليو الكونت وابراهيم سنة ١٨٣٣ بالاناضول . قال البارون « إن ابراهيم باشا يجاهر علنا بأنه ينوى احياء القومية العربية واعطاء العرب حقوقهم واسناد المناصب اليهم سواء فى الادارة ام فى الجيش وأن يجعل منهم شعبا مستقلا ويشركهم فى ادارة الشئون المالية ويعودهم سلطة الحكم كمايحتملون تكاليفه . . (٢) » . وفى رد على سؤال للمسيو كادلفين وبارو اثناء حصار عكا عن المدى الذى ستصل اليه فتوحاته اذا استولى على عكا اجاب ابراهيم بقوله ، « الى مدى مايتكلم الناس واتفاهم واياهم باللسان العربي (٣) » .

وفريق آخر من المؤرخين زعم أن اكتشاف منابع النيل والاستيلاء عليه كان « من اهم البواعث التى حفزت محمد على الى فتح السودان »(٤). فالباشا فى نظرهم اراد باكتشاف منابع النيل ومعرفة اسباب فيضانه والشعوب التى تقطن على ضفافه تأدية خدمة جليلة للعلم والمعرفة . وكان لابد للباشا فى رأيهم من أن يعمل للاستيلاء على منابع النيل خوفا من ان تستولى عليها دولة معادية مما سيعرض كيان مصر وامنها لاخطار بالغة . وقد زعم شكرى أن الاحباش كثيرا مافكروا فى «تحويل مجرى النيل بعد خروج النهر من منابعه فى الحبشة بأن يحتفروا قناة كبيرة تذهب بمياه صوب الشرق بدلا من جريانها فى النيل الازرق والعطبرة وتلك الروافد التى تروى سنار والجزيرة»(٥).

---

(١) الرافعى : تاريخ الحركة القومية ، جـ ٣ ، ص ٢٣٢ نقلا عن كتاب مهمة البارون ليو الكونت ، ص ٢٤٨ — ٤٩ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٤٨ — ٤٩ .

(٣) المصدر السابق ، ٢٣٢ نقلا عن كادلفين وبارو : حرب مصر ضد الباب العالى فى سوريا والأناضول سنة ١٨٣١ — ١٨٣٣ ، ص ٤١٢ .

(٤) المصدر السابق ، ص ١٥٩ .

(٥) شكرى : م ك أ ، ٨ ، ١٩٤٦ ، « رحلة محمد على » ، ص ٢٨ .

الا أننا برجوعنا الى الوثائق لانجد اى اشارة الى أن اكتشاف منابع النيل كان احد اسباب الغزو المصرى للسودان . ويبدو أنه لم توجد آنذاك اى اسباب ملحة تجعل الباشا يفكر فى اكتشاف منابع النيل او الاستيلاء عليه ؛ فالتدخل الاوربي والصراع بين الدول الاستعمارية للاستيلاء على منابع النيل لم يكن قد بدأ بعد .

لم يهتم الرأى العام الأوربي بافريقيا والكشف عن مجاهلها وخاصة الكشف عن منابع النيل الاستوائية إلا بعد الحقائق والاخبار التى نشرها الرحالة الذين زاروا السودان بعد الفتح المصرى. وقد لاحظ محمد على أنه منذ حوالى سنة ١٨٣٦ بدأ اهتمام قناصل الدول الأوربية يتحول من التجارة فى النيل الى مسألة اكتشاف منابع النيل الأبيض . ولعل الباشا قد ظن خطأ أن السر وراء هذا التحول والاهتمام البالغ بمنابع النيل هو امكانية وجود كميات كبيرة من المعادن فى تلك المنطقة الواقعة فى خط عرض واحد مع امريكا التى اكتشفت فيها من قبل كميات هائلة من المعادن . وجد هذا الأهتمام صداه عند محمد على فأرسل فى سنة ١٨٣٩ اولى حملات سليم قبودان للكشف عن منابع النيل والبحث عن المعادن(١) . وهكذا فإن الباشا لم يهتم باكتشاف منابع النيل الا بعد حوالى عشرين سنة من الفتح ، مما يرجح أن هذا السبب لم يكن من الاسباب المباشرة التى دفعته لارسال حملته الشهيرة لفتح السودان سنة ١٨٢١ .

(1) Hill : Egypt in the Sudan, P. 32.

الفصل الثاني

محمد علي وجلب العبيد من السودان

محمد على وجلب العبيد من السودان

حرص محمد على على جلب أكبر قدر من الزنوج السودانيين الى مصر

ما أن سيطرت الجيوش الفاتحة على اقليمى سنار وكردفان حتى اظهر محمد على اهتماما بالغا بامر العبيد وحرص على جلب أكبر عدد منهم الى مصر . فهو لم يكتف بارسال الرسالة تلو الأخرى للمسئولين فى السودان ليبذلوا كل جهدهم لأداء هذه المهمة، بل أنه منذ البداية أكد لهم أن ارسال الجنود اليهم من مصر مرتبط ارتباطا وثيقا بما يرسلون من العبيد . ففى رسالة وجهها الى ابنه ابراهيم باشا قال« . . . فلترسلوا انتم من هنالك ثلاثة آلاف اسود متماسك الاعضاء صالح لعملنا وخدمتنا نرسل لكم من هنا الف جندى فى مقابلهم (١) » ، كما أنه قال فى رسالة أخرى للدفتردار ، « من البديهى أن الظروف تحتم وجود المشاة والفرسان على الوجه المرفوع . فإن كنتم ترسلون لنا الف واحد من العبيد الموجودين لديكم فإننا نلحقهم بالمدربين، ونرسل لكم اربعمائة عسكرى من العسكر الذين تريدونهم بدلا عنهم، وإن ارسلتم لنا الفى عبد فإننا نرسل لكم ثمانمائة ، وقد كتبنا لكم هذا من باب التذكار (٢) » .

الاتجار فى الرقيق معروف فى السودان منذ ازمان بعيدة ، فقد درج كثير من النخاسين على ارسال الرقيق السودانى لبيعه فى الأسواق الخارجية كالقاهرة والحجاز وطرابلس . وللهيمنة على مصادر الرقيق فى السودان لسد مطالب الجندية وغيرها من الاغراض كان لابد لمحمد على من أن يتخذ اجراءات حاسمة لمنع تصدير الرقيق السودانى الى الخارج . فمنذ بداية عهده فى السودان اصدر اوامره الحازمة المشددة الى حاكم دنقلا لمنع تجار الرقيق من تصدير الرقيق السودانى الى مصر ، اما بحجزهم فى دنقلا أو بردهم من

---

(١) دفتر ١٠ معيه تركى : ترجمة المكاتبة رقم ٦٤ بتاريخ ٢٣ ربيع أول ١٢٣٧ .

(٢) دفتر ١٠ معيه تركى ، ترجمة المكاتبة رقم ٢١٨ بتاريخ ٢٢ رجب سنة ١٢٣٧ .

حيث اتوا[1] . الا أن هذه السياسة لم تأت بالفائدة المرجوة ، إذ تسلل عدد كبير من اولئك النخاسين الى مصر ، مما اضطر الباشا الى اصدار توجيهاته بشراء العبيد الذكور منهم الذين تتراوح اعمارهم بين الخامسة عشر والعشرين على أن يسمح لهم بالتوجه مع باقى رقيقهم الى مصر [2] .

أكدت الوثائق وكتابات الرحالة أن الغزوات المسلحة كانت اهم الوسائل التى اتبعها محمد على للحصول على العبيد . فقد عمل الباشا على توفير كافة مستلزماتها من جبخانة وجنود وفرسان ومشاة . فما أن اشتكى الدفتردار من قلة الجبخانة والمشاة والفرسان حتى تم اعدادها وارسالها له ، كما أنه اصدر اوامره بارسال اثنين من قواد جنود المشاة — حسن اغا وابراهيم اغا الكورجهلى — واحد قواد الفرسان — حسن اغا القبريسلى — لمساعدة الدفتردار فى غزو العبيد وجلبهم الى مصر [3] . غير أن محمد على رفض اقتراح الدفتردار بتخصيص مبلغ معين للجنود مقابل العبيد والجوارى الذين اسروهم فى الغزوات بقوله : «كما أني لم انظر بعين الرضا والقبول الى مسألة اعطاء شئ للعسكر على كل اسير يأخذونه ، بل قلت له لما كان الغرض من مهمة العساكر الذاهبين بمعيته منحصرا فى ايفاء خدمة اخذ الرقيق الاسود فإن اعطاءهم شيئا على كل رأس من الأسرى مناف لاصل مهمتهم ، مخالف لاساس ماموريتهم ، وبناء عليه فشئ من هذا لايكون ولاينبغى أن يكون. [4]» . ورغبة فى مساعدة الحكمدار خورشيد فى مهمة صيد الرقيق استجاب محمد على لطلبه بزيادة اربعمائة جندى لكل من الخمس أورط الموجودة آنذاك فى السودان [5] .

---

(١) دفتر ١٠ معيه تركى ، ترجمة المكاتبة رقم ٥١ بتاريخ ١٥ ربيع الأول سنة ١٢٣٧ .
(٢) دفتر ١٠ معيه تركى ، ترجمة الوثيقة رقم ١٦١ بتاريخ ٤ جمادى الثانية سنة ١٢٣٧ .
(٣) دفتر ١٠ معيه تركى ، ترجمة المكاتبة رقم ٤٨ ص ٣٠ بتاريخ ١٥ ربيع الأول سنة ١٢٣٧ .
(٤) دفتر ١٠ معيه تركى ، ترجمة الوثيقة رقم ٥٧ ص ٣٦ بتاريخ ٢٣ رجب سنة ١٢٣٧ .
(٥) دفتر ٧٨ معيه تركى ، ترجمة الوثيقة رقم ٣٤٧ بتاريخ ١٢ ربيع الأول سنة ١٢٥٢ .

بجانب اصطياد الرقيق عن طريق الغزوات وبشرائهم من تجار الرقيق فقد صرح الباشا منذ اوائل عهده في السودان للمسئولين بأخذ العبيد الذكور الاقوياء الاصحاء على حساب الفردة(١) على أن لايأخذوا النسوة والصبيان الا اذا كان بالامكان استبدالهم بامثال اولئك العبيد(٢) . وتطبيقا لهذه السياسة فقد اخذ اسماعيل باشا فى سنة ١٢٣٧ «١٨٢١–١٨٢٢» تسعمائة عبدا بدلا عن الضرائب المفروضة على اهالى سنار (٣) .

كما استعان محمد على بزعماء البلاد واعيانها لحفظ الامن وجمع الضرائب من الاهالى فقد استعان بهم ايضا فى جلب الزنوج من مختلف السودان . فهاهى حكومة الباشا قد كلفت ادريس ود عدلان وابوروف وابو سن شيخ الشكرية ، والشيخ احمد ابوجن شيخ رفاعة الشرق لمدها بالعبيد الاقوياء الصالحين للجندية . وللتأكد من لياقة اولئك العبيد عينت الحكومة اطباء للكشف عليهم ورفضت استلام أى عبد غير لائق للجندية . وقد فرضت الحكومة رقابة صارمة على هؤلاء الاطباء وتعرض كل من تهاون فيهم الى عقاب صارم ، ففى عهد ابوودان مثلا قبض على طبيب يدعى « Tupetto » وفصل من الخدمة بعد أن ثبتت ادانته (٤) .

وقد استشارت الحكومة ايضا هؤلاء الزعماء فى أحسن الطرق لجلب العبيد . فعندما اقترح خورشيد فى سنة ١٨٣٦ تجنيد الاهالى فى الجيش اعترض عبد القادر ود الزين شيخ مشائخ عموم سنار على هذه الفكرة خشية « تشتيت الأهالى وخراب البلاد (٥) » اقتنع خورشيد بهذا الرأى فصرف النظر عن تجنيد الأهالى واستقر الرأى على أن يفرض على كل مديرية عدد معلوم من العبيد يعهد الى شيوخ البلاد بجمعه وتسليمه للحكومة .

(١) دفتر ١٠ معيه تركى ، ترجمة الوثيقة رقم ١٥٩ بتاريخ ٣ جمادى الثانية سنة ١٢٣٧ .
(٢) دفتر ١٠ معيه تركى ، ترجمة الوثيقة رقم ٢٤١ بتاريخ ٨ شعبان سنة ١٢٣٧ .
(٣) دفتر ١٠ معيه تركى ، ترجمة الوثيقة رقم ٣٢٥ بتاريخ ١٠ ذى الحجة سنة ١٢٣٧ .
(4) Hill : Egypt in the Sudan
(٥) شقير : ج ٣ ، ص ٢٢ .

وبجانب العبيد الذين تحصلت عليهم حكومة محمد على من سناروكردفان فقد حرص الباشا ايضا على استيراد الرقيق من دارفور التى عرفت من ازمان بعيدة بأنها مورد من اهم موارد الرقيق . ولكن اذا كان محمد على حريصا على جلب العبيد من هناك فلماذا لم يسمح لجيوش الدفتردار بالتوجه غربا لاحتلال دارفور ؟ يبدو أن الباشا قد صرف النظر مؤقتا عن فتح دارفور لاسباب ملحة هامة . فيما أن اقاليم سنار وكردفان وفازوغلى اقاليم واسعة الارجاء مترامية الاطراف فربما رأى محمد على أن تبذل الحكومة كل جهدها فى استتباب الأمن فيها وتأكيد سلطان الحكومة عليها[1] . ثم أن حكومة محمد على كانت مشغولة آنذاك فى اخماد الثورات فى كريت وبلاد المورة وغيرها من الجهات التى تمردت على السلطان العثماني ، ولذلك كان من الطبيعى أن لايفكر الباشا فى فتح جبهة قتال جديدة فى دارفور خاصة وأنها اقليم واسع الارجاء يحتاج الى اعداد كبيرة من العساكر لفتحه وتنظيم ادارته[2] .

هذا لايعنى أن محمد على كان قد صرف النظر نهائيا عن فتح دارفور ، بل لعله رأى أنه من السهل على جيوشه أن تفتح ذلك الأقليم « بعد مرور مدة من الزمان[3] » يكون فيها الامن والسلام قد استتب فى الاقاليم التى استولت عليها الحكومة . وقد اهتم الباشا باتخاذ خطوات متعددة لتسهيل مهمة فتح ذلك الاقليم . فهو قد امر باعتقال كل الاشخاص المتهمين بالتجسس لحساب سلطان دارفور ، فعندما علم مثلا أن شخصا يدعى احمد شوشه ابن عم الملك نمر متهما بالتجسس على مصر واقليمى سنار وكردفان لصالح سلطان دارفور امر البك الكتخدا[4] باعتقاله فورا[5] ، كما أن الباشا منع تصدير

(١) دفتر ٧ معيه تركى ، ترجمة المكاتبة رقم ٢٩٢ بتاريخ ٥ ذى القعده سنة ١٢٣٧ .

(٢) دفتر ٧ معيه تركى ، ترجمة الوثيقة رقم ٣٠٠ ص ١٧٧ بتاريخ ٥ ذى القعده سنة ١٢٣٧

(٣) دفتر ١٠ معيه تركى ، ترجمة الوثيقة رقم ٢٣ ص ١٦ بتاريخ ٣ صفر سنة ١٢٣٧ .

(٤) وظيفة بمثابة رئيس الوزراء .

(٥) دفتر ١٨ معيه تركى ، ملخص ترجمة الوثيقة التركية رقم ٦١٦ بتاريخ ٩ ربيع الثانى سنة ١٢٤٠ .

السلاح النارى الى دارفور وامر باعدام أى تاجر ثبتت ادانته بهذه التهمة (١) . لم يكتف محمد على بهذه الخطوات بل أنه حاول كسب ود اعداء سلطان دارفور الذين هربوا من جبروته . فكما قرب اليه ابا مدين الذى التجأ اليه فى مصر ، امر رستم بك حاكم كردفان بتخصيص مرتب لمحمد نجل السلطان ابن الفقيه ابن عم سلطان دارفور الذى التجأ بكردفان لأنه ، كما قال محمد على ، «منظور منه خدمة فى المستقبل(٢)» .

ولما كان الباشا حريصا على جلب العبيد بكثرة من دارفور ، كحرصه على جلبهم من اقليمى سنار وكردفان ، كان لايمكن له أن ينتظر الى أن يتم فتح ذلك الاقليم ويدخل فى حظيرة حكومته ، بل كان عليه أن يتخذ كافة الوسائل الممكنة لتحقيق ذلك الغرض . ولذلك فقد حاول منذ اوائل عهده محاولة جادة لعقد اتفاق مع سلطان دارفور بخصوص جلب العبيد من هناك وارسل احد مماليكه الى دارفور خصيصا لهذا الغرض (٣) . ولما كان حسن العلاقات مع سلطان دارفور شرطا رئيسيا لتسهيل استيراد الرقيق من تلك الاصقاع الى مصر ، فقد بذل محمد على جهدا كبيرا لتحقيق هذا الغرض . فهو قد أمر البك الكتخدا فى سنة ١٢٤٢ «١٨٢٦–١٨٢٧» باكرام واحترام كل رسل السلطان الموفدين من طرفه الى مصر (٤) ، كما امر فى نفس العام مأمور أسيوط بمنع « مشائخ عربان عمائم وجهينه المقيمين ببنى عدى من التسلط على البلاد التى تحت ملك دارفور »(٥) . وعندما طلبت منه القنصلية الفرنسية الاتصال بوكيل سلطان دارفور فى اسيوط لاسترداد واحد واربعين

---

(١) دفتر ٦٠ معيه تركى ، ترجمة المكاتبة رقم ١٩٣ بتاريخ ٢٩ ذى الحجة سنة ١٢٥٠ .

(٢) دفتر ٢٦ معيه تركى ، ملخص الوثيقة التركية رقم ٣٤٦ بتاريخ ٢٠ صفر سنة ١٢٤٤ .

(٣) دفتر صادر المعيه رقم ١٠ ، وثيقة رقم ٢١١ بتاريخ غرة رجب سنة ١٢٣٧ .

(٤) دفتر ٧٣٤ ديوان الخديوى تركى ، ملحق الوثيقة رقم ٢١١ ص ٧٦ بتاريخ ٦ رمضان سنة ١٢٤٢ .

(٥) دفتر رقم ٧٣٤ ديوان الخديوى التركى ، ترجمة الوثيقة ١٢٢ ص ٤٨ بتاريخ غرة شعبان سنة ١٢٤٢ .

رأسا من الرقيق أخذها السلطان محمد الفضل ودردوق احد ملوك دارفور ، رفض محمد على اجابة هذا الالتماس معتذرا بأن دارفور ليست تحت ادارته ونصح قنصل فرنسا بالاتصال بسلطان دارفور مباشرة (١) .

ولم يكتف عاهل مصر بالاتصالات الرسمية مع سلطان دارفور بل أنه عمل على شراء العبيد المستوردين من دارفور من النخاسين الآتين من تلك الجهات . فمنذ بداية عهده اصدر اوامرا واضحة صريحة الى الدفتردار بعدم السماح لاولئك التجار بتصدير العبيد الذين تتراوح اعمارهم بين الخامسة عشر والعشرين ، على أن يقوم بشرائهم منهم اما نقدا أو بمبادلتهم بالجوارى(٢).

محمد على يعمل على وصول العبيد سالمين الى مصر :

اظهر الباشا اهتماما كبيرا وحرصا بالغا بأمر سلامة وصول العبيد المرسلين من كافة بقاع السودان الى المعسكر الذى انشئ لتدريبهم فى اسوان . فما ان وصلته الانباء بهلاك اعداد كبيرة منهم فى الطريق حتى اصدر توجيهاته الى البك الكتخذا باتخاذ كافة الوسائل الممكنة لضمان سلامتهم واستشارة اعضاء المجلس «توطئة للوصول الى احسن الطرق المؤدية الى هذه الغاية»(٣) .

على أن محمد على لم يترك هذه المهمة العاجلة الهامة للبك الكتخذا وحده ، بل عمل من جانبه على اتخاذ كافة الوسائل الممكنة لتفادى هلاكهم فى الطريق. فعندما علم أن تغير الجو لعب دورا هاما فى هلاك بعض من العبيد من سكان الجبال اصدر اوامره الى مدير بلاد السودان باستبدال سكان الجبال بسكان السهول لانهم اكثر تأقلما على جو مصر ، أو يبقيهم عنده مدة من الزمن حتى

---

(١) دفتر ٦٦ معيه تركى ، ترجمة الأمر رقم ٤٥٤ بتاريخ ٧ جمادى الأولى سنة ١٢٥١ .

(٢) دفتر ١٠ معيه تركى ، ترجمة المكاتبة رقم ٢١٩ بتاريخ ٢٢ رجب سنة ١٢٣٧ . وجه محمد على الدفتردار بان لا يتعرض لما مع هؤلاء التجار من نساء وصبيان وشيوخ وتجارة بل يسمح لهم بالتوجه نحو مصر.

(٣) دفتر ١٦ معيه تركى ، ترجمة المكاتبة رقم ١١٧ بتاريخ ٥ جمادى الاولى سنة ١٢٣٧ .

يتأقلموا على الطقس الجديد وبعد ذلك يرسلهم الى مصر [1] .

وبما أن ارسال العبيد من سنار الى مصر سيرا على الاقدام طوال هذه الرحلة الطويلة الشاقة عرض الكثيرين منهم للهلاك ، فقد اقترح والى جده ، ابراهيم باشا ، صناعة نوع معين من النقورات كتلك التى صنعت بوادى ابريم ليرحل عليها العبيد من بربر الى وادى حلفا . صادف هذا الاقتراح هوى فى نفس محمد على ،فاصدر امرا عاجلا الى عبدى اغا حاكم دنقله عينه بمقتضاه ماموراً لانشاء تلك النقورات [2] وامره بالبدء فوراً فى صناعتها [3]. وقد استجاب كل من عبدى اغا ومحمد بك حاكم بربر لنداءات الباشا، فتعهدا ببذل كل جهدهما لصناعة النقورات اللازمة اذا توفرت لهم المواد والآلات [4] .

وقد عمل عاهل مصر من جانبه على توفير كل الاحتياجات اللازمة لهذه الصناعة فارسل الى محافظ ابريم يامره باعداد العمال والصناع المهره كالنجارين والنشارين [5] الى جهات ابريم واسوان على أن يقوم محمد بك ناظر مصلحتى اسنا واسوان بارسالهم فوراً الى دنقلا . ولترغيب هؤلاء الصناع والعمال على العمل بالسودان ولتشجيعهم على انجاز هذه المهمة التى اوكلت اليهم بكل تفان واخلاص رتبت لهم مرتبات شهرية قدرها عشرون قرشا للصانع وعشرة قروش للعامل [6] . الا أنه لم يتيسر ارسال كل العدد المطلوب من مصر ، فصدرت الاوامر لحاكمى دنقلا وبربر باكمال النقص من جهاتهم . اما المواد والالات اللازمة لهذه الصناعة من حديد ومسامير ومناشير فقد اعدها محمد بك وارسلها الى دنقلا على ظهر جمال استوردت

(١) سجل رقم ٢٢٠ عابدين ، ترجمة المكاتبة رقم ٦٥ بتاريخ ٥ محرم سنة ١٢٥٢ .

(٢) دفتر ٩ معيه تركى ، ترجمة الإراده رقم ١٠٦ بتاريخ ٨ محرم سنة ١٢٣٧ .

(٣) دفتر ٩ معيه تركى ، ترجمة الإراده رقم ٨٨ ص ٣٢ بتاريخ ٢٦ محرم سنة ١٢٣٧ .

(٤) دفتر رقم ٩ معيه تركى ، ترجمة الإراده رقم ٢٦٥ بتاريخ ١٢ ربيع الاخر سنة ١٢٣٧

(٥) دفتر رقم ٩ معيه تركى ، ترجمة الأمر ٩٤ ص ٣٤ بتاريخ ٢٧ محرم بسنة ١٢٣٧ .

(٦) دفتر رقم ١٠ معيه تركى ، ترجمة الأمر ١٦٤ بتاريخ ٦ جمادى الثانية سنة ١٢٣٧ .

من جهات جرجا خصيصا لهذا الغرض(١) . ولتسهيل مهمة نقل العبيد اصدر الباشا اوامره بتوزيع تلك النقورات بعد اتمام صناعتها على الشلالات الموجودة في اقاليم بربر ورباطاب وشندى كما عين قائمقام للاشراف عليها(٢) .

كما اعتاد المسؤولون في سنار على ارسال غزوات لجلب العبيد من مناطق جنوبي سنار . فقد درجت السلطات المسئولة فى كردفان ايضا على ارسال الغزوات المسلحة الى بلاد الشلك . الا أن ترحيل العبيد من هناك الى كردفان ومنها الى دنقلا لتصديرهم الى مصر قد عرض الكثيرين منهم للهلاك لطول المسافة ومشاق الطريق(٣) . لهذا ، وتفاديا لهذه الرحلة الطويلة الشاقة ، اقترح الدفتردار نقلهم من بلاد الشلك الى حلفاية ومن هناك يصدروا الى وادى حلفا فمصر(٤) . غير أن تصديرهم من حلفاية الى دنقلا احتاج الى اعداد النقورات اللازمة . لذلك ، وكما انشئت ترسانة لبناء تلك النقورات فى جهات دنقلا وبربر ، فقد قرر محمد على انشاء واحده أخرى فى حلفاية فاصدر توجيهاته الى حاكم حلفاية بجلب الأخشاب اللازمة من الجهات التى حوله ، كما امر عبدى اغا بارسال النجارين والحدادين الى حلفاية فور انتهائه من العدد اللازم من النقورات فى دنقلا (٥) .

---

(١) دفتر ٩ معيه تركى ، ترجمة الإراده رقم ٢٦٥ بتاريخ ١٢ ربيع الآخر سنة ١٢٣٧ . للإسراع فى إعداد تلك الجمال أمر محمد على متصرف جرجا « ببذل السعى والغيره فى الحصول على عدد كاف من البعير . »
الوثيقة السابقة .

(٢) دفتر ١٠ معيه تركى ، ترجمة الأمر رقم ١٤ ص ٧ بتاريخ ٢٧ محرم سنة ١٢٣٧ .

(٣) المسافة بين كردفان ودنقلا وحدها تستغرق خمسة عشر يوما ، دفتر ٩ معيه تركى ، ترجمة الإراده رقم ٢٦٥ بتاريخ ١٢ ربيع الأول سنة ١٢٣٧ .

(٤) دفتر ١٠ معيه تركى ، ترجمة الأمر رقم ٢١٨ بتاريخ ٢٢ رجب سنة ١٢٣٧ .

(٥) الوثيقة السابقة .

بناء على توجيهات الباشا أرسل عبدى أغا عشرين من الصناع مع المعدات اللازمة الإخرى إلى حلفاية. دفتر ١٠ معيه تركى ، ترجمة الوثيقة رقم ٢٨٣ بتاريخ ٩ شوال سنة ١٢٣٧

على أن صناعة النقورات لم تكن الطريقة الوحيدة التى اقترحها الباشا لترحيل العبيد المجلوبين من السودان. بل أنه حاول ايضا ترحيلهم بالجمال. فهاهو قد استفسر منذ اوائل عهده بالسودان من محو بك حاكم بربر عن مدى امكانية استخدام البشاريين لنقل العبيد من بربر الى وادى حلفا بالجمال مقابل اجر قليل الى أن يتم اعداد النقورات اللازمة لهذا الغرض (١) ، كما أنه قبل اقتراح عثمان بك حاكم سنار وكردفان باعداد الفى جمل وتسليمها الى شيخى العبابده، خليفة وجبران، ليقوما بدورهما بنقل الرقيق من سنار حتى حلفا (٢) . الا أنه نسبة لقلة الكميات الموجودة من الجمال فى مصر من جهة ولاحتياج محمد على لها من جهة اخرى فقد اعتذر الباشا عن اعدادها واصدر اوامره لعثمان بك باعداد ذلك العدد من الجمال ياخذها بدلاً عن الضرائب ومن ثم بيعها للشيخين المذكورين بثمن مناسب على أن يسددا ثمنها تدريجيا من اجرة نقل الرقيق (٣) .

وكما اهتم محمد على بضمان سلامة العبيد المستوردين من كافة مناطق السودان طوال رحلتهم الى وادى حلفا ، فقد بذل ايضا مجهودات كبيرة للعناية بهم من وادى حلفا حتى اسوان . فها هو قد اصدر اوامره للبك الكتخدا باتخاذ كافة الوسائل الممكنة لضمان سلامتهم طوال هذه الرحلة (٤) ، كما أنه حث عمر اغا المشرف على شئون الرقيق باسوان بالعمل على توفير كافة مستلزماتهم والعناية بهم «حتى لايموت منهم أى فرد (٥)» . ولم يكتف الباشا بهذه التوجيهات بل أنه عين عمر اغا محافظ قنا مشرفا عليهم طوال

---

(١) دفتر ١٠ معيه تركى ، ترجمة الأمر رقم ٤٣ ص ٢٩ بتاريخ ٤ ربيع الأول سنة ١٢٣٧

(٢) دفتر ١٦ معيه تركى ، ترجمة المكاتبة رقم ٣٩٦ بتاريخ ٦ ربيع الأول سنة ١٢٤٠ .

(٣) دفتر ١٦ معيه تركى ، ترجمة المكاتبة رقم ٣٩٧ بتاريخ ٩ ربيع الأول سنة ١٢٤٠ .

(٤) دفتر ١٦ معيه تركى ملخص الوثيقة التركية رقم ٥٧٢ بتاريخ ١٧ ربيع الأول سنة ١٢٤٠ .

(٥) دفتر ١٦ معيه تركى ، ترجمة الوثيقة رقم ١٢٣ بتاريخ ٨ جمادى الأول سنة ١٢٣٩ .

هذه الرحلة[1]. اما القوت اللازم لهؤلاء العبيد فكان على عمر اغا أن يجهزه لهم من وادى حلفا اما بشرائه نقدا او باستدانته من الاهالى[2].

وقد كان عدم توفر مياه الشرب خاصة فى صحراء العتمور من اهم العقبات التى اعترضت سبيل ارسال العبيد الى مصر وادت الى هلاك بعضهم. بالرغم من صعوبة حفر الابار فى منطقة صحراء العتمور الجبلية إلا أن محمد على بذل مجهودا كبيرا لتسهيل حفرها، فارسل الصناع والبارود كما أنه عين احد رجال دولته، علو اغا، للاشراف على هذه المهمة.[3]

حقا أن جيوش محمد على استطاعت الاستيلاء على السودان دون مقاومة قوية من جانب السودانيين. الا أن هذا لايعنى أنها كبحت جماح القبائل السودانية واخضعتها خضوعا تاما للحكم الجديد. فكثير من هذه القبائل لم يكتف بالهجوم على القوافل التجارية، بل أنها درجت على الاعتداء على العبيد المرسلين من قبل المسئولين فى السودان الى مصر. فقبائل البقارة والمجانيين والكبابيش هجمت احيانا على العبيد المرسلين من قبل الحكومة فى كردفان الى مصر واستولت على بعضهم[4].

حاول الباشا تذليل هذه العقبة بشتى الوسائل والطرق، فمثلا عندما اشتد خطر الكبابيش على عبيد الحكومة وقويت غاراتهم عليها حاول محمد على استمالة هذه القبيلة، فأرسل رسالة الى شيخها الشيخ سالم اعطاه فيها الامان، كما أمر الدفتردار بالتودد اليه ليكسبه الى جانب الحكومة[5].

---

(١) كان على عمر اغا أن يسافر فورا إلى وادى حلفا على أن يعين مندوبا عنه ليصرف ادارة شئون محافظته إلى أن ينتهى من هذه المهمة التى أوكلت اليه.

(٢) دفتر ١٦ معيه تركى ترجمة الأمر رقم ١٨٤ بتاريخ ١٩ جمادى الثانية سنة ١٢٣٩.

(٣) دفتر ٩ معيه تركى، ترجمة الأمر رقم ٤٨٩ بتاريخ ٢ شعبان سنة ١٢٣٧.

(٤) دفتر ١٠ معيه تركى، ترجمة المكاتبة رقم ٤٨ ص ٣٠ بتاريخ ١٥ ربيع الأول سنة ١٢٣٧.

(٥) دفتر ١٠ معيه تركى، ترجمة المكاتبة رقم ٤٨ ص ٣٠ بتاريخ ١٥ ربيع الأول سنة ١٢٣٧.

وبجانب هذه الوسائل السلمية التى اتبعها لصد غارات العصابات واللصوص وقطاع الطرق ، راى الباشا ضروره تكوين قوة مسلحة لحراسة العبيد اثناء طريقهم الى مصر ؛ فأمر محمد بك باعداد مائتى نفر من هجانة العبابدة وارسالهم الى الدفتردار لاستخدامهم فى حراسة العبيد المرسلين من كردفان لمصر (١) . الا أن محمد بك فشل فى اقناع شيوخ العبابدة باعداد اولئك الهجانة من بينهم بالرغم من أنه استعمل معهم اسلوب الترغيب تارة والتهديد تارة أخرى ، فصرف النظر عنهم وامر الباشا باعداد مائة من فرسان عرب الاقاليم الوسطى ليؤدوا تلك المهمة تحت اشراف حاكم دنقله(٢) .

محمد على والعناية بالزنوج السودانيين فى معسكر اسوان :

لاشك أن استيراد اعداد كبيرة من الزنوج السودانيين لايكفى وحده لنجاح تجربة محمد على فى تجنيد اولئك السود فى جيشه. فبما أن الرغبة اساس لكل عمل ناجح ، فقد تحتّم على الباشا أن يبذل كل جهده لترغيب المجندين السودانيين فى هذه الحياة الجديدة . وفى الواقع أن الباشا قد اهتم منذ البداية اهتماما واضحا بتحبيب حياة الجندية لاولئك الزنوج بأن عمل على الأعتناء بهم فى معسكر اسوان وتوفير كافة سبل الراحة لهم هناك .

اهتّم الباشا بادارة معسكر اسوان وحرص على تعيين رجال اكفاء وثق فيهم وفى اخلاصهم للاشراف على المجندين الجدد والعمل على توفير كافة احتياجاتهم . وعندما عين محمد بك ماموراً على جهات اسنا واسوان ، لم يقصد الباشا التخلص منه، وانما فعل ذلك لثقته فيه وفى اخلاصه كما قال فى رسالة وجهها له : « . . . . . فوالله يا اخى إني لم ارسلك هنا لكوني سئمت منك، ولامن غضبي عليك، ولكنني ارسلتك لكونك معتمدى ومختارى وصديقى الوفى (٣) ». وبما أن الباشا لم يثق فى اخلاص وولاء كل وكلائه وموظفيه،

(١) دفتر ٩ معيه تركى ، ترجمة المكاتبة رقم ٣٦٧ بتاريخ ٩ جمادى الاخره سنة ١٢٣٩ .

(٢) دفتر ١٠ معيه تركى ، ترجمة المكاتبة رقم ٢٢٣ بتاريخ ٢٢ رجب سنة ١٢٣٧.

(٣) دفتر ٩ معيه تركى ، ترجمة المكاتبة رقم ١٠٥ ص ٣٦ بتاريخ ٢٧ محرم سنة ١٢٣٧ .

فقد اصر على استمرار محمد بك فى الاشراف على المعسكر بالرغم من تقدم سنه حتى يضمن حسن ادارة ذلك المعسكر [1] . كما أنه ترك له السلطة الكاملة المستقلة للاشراف عليه . وحث جميع الضباط فى اسوان على اطاعة أوامره وحذرهم من مخالفته قيد شعره [2] .

ولترغيب المجندين السودانيين فى حياتهم الجديدة كان على محمد على أن يعمل على استقرارهم واسكانهم ببناء الثكنات اللازمة لهم فى اسوان . وبما أن بناء هذه الثكنات واعدادها يستغرق وقتا طويلا ، فقد ارسل محمد على خمسمائة خيمة لايوائهم الى أن تجهز لهم الثكنات[3] . الا أنه نسبة لعصيان أهالى صوليجه وجامليجه وابيصاره ورعايا بعض الجزر الأخرى فى بلاد الاناضول فقد اصبح من الصعب استيراد الأخشاب من هناك الى مصر « على الوجه الذى كان يرد عليه سابقا[4] » وبالتالى اصبح من العسير على الباشا اعداد الكميات اللازمة من الاخشاب لبناء تلك الثكنات . لذلك قرر عاهل مصر الالتجاء نحو دنقلا لجلب الاخشاب من هناك فارسل « خمسة عشر نجارا ومائتا بلطه[5] » الى حاكم دنقلا وامره ببذل كل جهده لترغيب اهالى دنقلا لقطع اكبر كمية ممكنة من الأخشاب[6] وارسالها بالنيل الى اسوان حيث عين هناك احمد باشا متصرف جرجا مسئولا عنها . هذا وقد ارسل محمد على من جانبه الاسطوات اللازمين لبناء تلك الثكنات وحث

---

(١) دفتر ١٠ معيه تركى ، ترجمة المكاتبة ١٤٧ بتاريخ ٢٥ جمادى الاولى سنة ١٢٣٧ .

(٢) دفتر ٩ معيه تركى ، ترجمة المكاتبة رقم ٣٠٧ ص ١٠٠ بتاريخ ٢ جمادى الاولى سنة ١٢٣٧ .

(٣) دفتر ٦ معيه تركى ، ترجمة المكاتبة رقم ٧٦٨ ص ٣١١ بتاريخ ٢٧ ذى الحجة سنة ١٢٣٦ .

(٤) دفتر ١٠ معيه تركى ، ترجمة المكاتبة رقم ١١ بتاريخ ١٢ محرم سنة ١٢٣٧ .

(٥) دفتر ١٠ معيه تركى ، ترجمة المكاتبة رقم ١٠ ص ٥ بتاريخ ١٢ محرم سنة ١٢٣٧ .

(٦) بقطع تلك الأخشاب وبيعها للحكومة أتيحت لأهالى دنقلا وسيلة جديدة لكسب عيشهم. دفتر ١٠ معيه تركى ، ترجمة المكاتبة رقم ١١ بتاريخ ١٢ محرم سنة ١٢٣٧ .

محمد بك يبذل كل جهده لاتمامها فى اقرب فرصة ممكنة(١) .

وقد عمل محمد على على تهيئة الجو الصالح للمجندين الجدد وتوفير كافة احتياجاتهم حتى يعملوا بكل اخلاص وتفان . فعندما اقتنع بأن قماش البفته المستورد من اسيوط ردئ «غير موافق للمعدل(٢)» ولايصلح لصناعة قمصان الجنـــود أمر بالكف عن صناعتها منه وارسل الى حاكم الاقاليم الوسطى ، خليل بك ، ليعد الف مقطع او اكثر من قماش الزعبوط المنسوج من الخيط المغزول من الصوف الابيض وارسالها الى محمد بك ليصنع منها قمصان الجند(٣) بطريقة توافق قوامهم وابدانهم(٤) . وعندما علم الباشا أن القمصان الحجازيه التى صنعت بمعرفة الكتخدا سليمان بك لاتساعدالجنود على التدريب لضيق اكمامها وافق على اقتراح محمد بك بصنع نوع آخر أجود وانسب تاركا له حرية اختيار ذلك النوع الجديد (٥) . ولتوفير الاحذية اللازمة للمجندين الجدد اصدر الباشا اوامره الى البك الكتخدا بتعيين«اسطى » وعدد من المساعدين لصناعتها(٦).

ولتوفير الطعام الكافى للمجندين الجدد امر الباشا متصرف جرجا بتشغيل جميع الافران لاعداد البقسماط اللازم لهم(٧) على أن يعطوا لحما وارزا مرتين فى الاسبوع ، ويرتب لكل واحد منهم ثمانية قروش شهريا(٨). وقد اهتم الباشا ايضا بصحتهم فعين، الدكتور يوسب بمرتب شهرى قدره الف قرش لتطعيمهم ضد الجـــدرى ، كما أنه عـين عددا آخر من الاطباء

---

(١) دفتر رقم ٦ معيه تركى ، ترجمة المكاتبة رقم ١٦ ص ٥ بتاريخ ٦ محرم سنة ١٢٣٦ .

(٢) دفتر ١٠ معيه تركى ، ترجمة المكاتبة رقم ١٢٣ بتاريخ ٤ جمادى الأولى سنة ١٢٣٧ .

(٣) دفتر ١٠ معيه تركى ، ترجمة المكاتبة رقم ٢٦٨ بتاريخ ٨ رمضان سنة ١٢٣٧ .

(٤) دفتر ١٠ معيه تركى ، ترجمة المكاتبة رقم ١٧٤ بتاريخ ٢٥ جمادى الثانية سنة ١٢٣٧.

(٥) دفتر ٩ معيه تركى ، ترجمة المكاتبة رقم ١٠٦ بتاريخ ٢٨ محرم سنة ١٢٣٧ .

(٦) دفتر ٦ معيه تركى ، ترجمة المكاتبة رقم ٥٦٢ بتاريخ ١٧ شوال سنة ١٢٣٦ .

(٧) دفتر ١٦ معيه تركى ، ترجمة المكاتبة رقم ١٢٥ بتاريخ ٨ جمادى الاولى سنة ١٢٣٩ .

(٨) دفتر ١٠ معيه تركى ، ترجمة المكاتبة رقم ١٧٤ بتاريخ ٢٥ جمادى الأولى سنة ١٢٣٧.

كالدكتور دوساب ووسّن لمعالجتهم من كافة الامراض الأخرى(١).
ولتوفير الدواء اللازم في معسكر اسوان اصدر الباشا توجيهاته الى جواني رئيس الاطباء باعداد جميع الادوية اللازمة وارسالها الى هناك(٢) .

المجهودات التي بذلها المسؤولون في السودان لجلب العبيد :

والآن وبعد أن عرفنا أن جلب العبيد كان اهم اسباب الفتح جميعا وبعد أن رأينا مدى حرص محمد على على وصول اكبر قدر منهم سالمين الى معسكر اسوان ، لابد لنا من اعطاء صورة سريعة للمجهودات التي بذلت لتحقيق هذه الغاية .

اهتمت الحكومة باعداد الغزوات التى درج حكمدارو وموظفو الباشا على ارسالها لصيد الزنوج السودانيين وتجهيزها تجهيزا تاما . وقد ذكر الرحالة « بالم » أن الحملة المجهزة الواحدة كانت تتكون عادة من الف الى الفين من القوات المنظمة ومن اربعمائة الى ثمانمائة من المغاربة المسلحين بالبنادق والمسدسات مع ثلاثمائة الى الف من الاهالى المشاة المزودين بالسهام والدروع وثلاثمائة الى خمسمائة آخرين مسلحين وراكبين على ظهور دوابهم (٣) .

على أن الحكومة كانت ترسل هذه الغزوات سنويا وفى فصل الجفاف من الابيض والخرطوم وسنار الى ثلاث مناطق رئيسية : جبال النوبة جنوبي كردفان واوطان الشلك على ضفاف النيل الابيض وجبال الفونج (٤) . وقد زعم الاستاذ محمد فؤاد شكرى أن انتشار تجارة الرقيق فى السودان قبل الفتح المصرى ادى الى انتشار الفوضى في ربوعه (٥) ، غير أننى ارى أن

---

(١) دفتر ٩ معيه تركى ، ترجمة المكاتبة رقم ٣٦٠ ص ١١٤ بتاريخ ٦ جمادى الآخر سنة ١٢٣٧ .

(٢) دفتر ١٠ معيه تركى ، ترجمة المكاتبة رقم ٢٠٤ بتاريخ ١٥ رجب سنة ١٢٣٧ .

(3) Pallme : Travelsin Kordofan, P. 309

(4) Shukry : Khedive Ismail P. 74.

(٥) شكرى : الحكم المصرى ، ص ١٢ — ١٣ .

هذه التجارة كانت معروفة آنذاك فى حدود ضيقة ومشروعة ، لها نظمها وقوانينها . فهى اذا لم تكن سببا لاضطراب الامن بل أن السبب الرئيسى لذلك هو تلك الغزوات المسلحة التى ارسلها محمد على لاصطياد الرقيق .

ومنذ اوائل الفتح ظهر اهتمام المسئولين فى السودان بجلب العبيد من السودان . فما أن استتب الامن فى سنار حتى ارسل اسماعيل باشا سرية قوية الى جبل تابي قرب سنار بقيادة قوجه احمد اغا(1) عادت بالف وتسعمائة من الزنوج ارسلها اسماعيل الى مصر مع سليم اغا(2) . وبعد هزيمة المقدوم مسلم فى كردفان استولى الدفتردار منه على الف ومائتى عبد وجاريه وأرسل منهم ثمانمائة الى دنقلا ليرسلوا من هناك الى مصر (3) . الا أن الباشا لم يقتنع بتلك المجهودات التى قام بها ابنه إسماعيل وصهره الدفتردار ،فارسل ابنه ابراهيم باشا للاتفاق مع اخيه فى احسن الطرق فى ارسال الغزوات وجلب المردان الصالحين للعسكرية الى مصر . ولثقة الباشا فى ابنه قاهر الوهابيين جعله المسئول الاول عن ادارة البلاد وتنظيم الغزوات وطلب من ابنه اسماعيل اطاعته بقوله :«وابذل كل سعى وجد فى اتباع راى حضرة ولدنا صاحب العطوفه ابراهيم باشا والى جده خصوصا فى امر جلب ماهو مأمول جلبه من السودانيين على الوجه المطلوب(4) . وما أن وصل ابراهيم باشا الى سنار فى ٢٥ محرم ١٢٣٧ (5) «٢٣ أكتوبر سنة ١٨٢١» حتى اتفق مع اخيه للقيام بحملتين قويتين ، الاولى بقيادة ابراهيم لتتجه نحو بلاد الدنكا والبحر الابيض ، والثانية بقيادة اسماعيل لتتجه نحو جبال الصعيد . امل الاخوان فى جمع عشرة الاف من العبيد وأرسالهم الى مصر فورا ، على أن يستمر الغزو لجمع

(١) شبيكه : السودان فى قرن ، ص ٢٨ .
(٢) دفتر ٦ معيه تركى ، ترجمة المكاتبة رقم ٦٤٧ ، بتاريخ ١٤ ذى القعدة سنة ١٢٣٦ .
(٣) دفتر ١٠ معيه تركى ، ترجمة المكاتبة رقم ٤٩ بتاريخ ١٥ ربيع الأول سنة ١٢٣٧ .
(٤) دفتر ١٠ معيه تركى ، ترجمة المكاتبة رقم ٣٩ ص ٢٥ بتاريخ ٤ ربيع الأول ١٢٣٧ .
(٥) دفتر ١٠ معية تركى ، ترجمة المكاتبة رقم ٥٦ ص ٣٥ بتاريخ ٢٣ ربيع الأول سنة ١٢٣٧ .

اربعين الفا. الا أن أمالهما ذهبت ادراج الرياح. اذ اشتدت العله وسط الجزيرة على ابراهيم فعاد الى مصر دون ان يحقق اى نجاح يذكر [1] . كما فشل اسماعيل فى مهمته اذ لم يأت بأكثر من ٤٧٧ زنجى يصلح للجندية ، ومابقى من النساء والاطفال [2]، وقد اضطر اسماعيل للعودة الى سنار على اثر الثورة التى اندلعت هناك احتجاجا على الضرائب الباهظة التى فرضها المباشر حنا الطويل .

وبالرغم من هذا الفشل الذريع أستمر المسؤولون تحت الحاح محمد على فى مجهوداتهم لارسال العبيد الى مصر ،فارسل اسماعيل فى اواخر سنة ١٢٣٧ « ١٨٢٢ » تسعمائة عبدا اصحاء اشداء على حساب الفرده [3]. وبعد مقتل اسماعيل [4] واصل الدفتردار تلك المجهودات وبلغ مجموع العبيد الذين ارسلهم الى دنقلا ليرسلوا من هناك لمصر منذ جمادى الاول سنة ١٢٣٩ « يناير سنة ١٨٢٤ » حتى شوال سنة ١٢٣٩ « مايو ١٨٢٤ » اربعة الآف عبد [5] .

---

(١) ذكر هل (Hill : Egypt in the Sudan, P. 48) أن أبراهيم إضطر للعودة إلى مصر لإصابته بداء الدستناريا . الا أننا بالرجوع إلى الوثائق نعرف انه أصيب بالناسور . دفتر ١٠ معيه تركى ، ترجمة المكاتبة رقم ١٢٥ بتاريخ ١٤ جمادى الا ولى سنة ١٢٣٧ .

(٢) شيكه : السودان فى قرن ص ٣١ .

(٣) دفتر ١٠ معيه تركى ، ترجمة المكاتبة رقم ٣٢٥ بتاريخ ١٠ ذو القعدة سنة ١٢٣٧.

(٤) يدعى الاستاذ الشاطر البصيلى أن المماليك هم الذين دبروا مقتل إسماعيل زاعما إن استخدام خطة الغدر التى دبرت لإغتياله لم يكن معروفا فى السودان آنذاك، كما أن المماليك هم أصحاب المصلحة الحقيقية لإغتياله نسبة للعداء المستحكم بينهم وبين محمد على .

البصيلى : معالم تاريخ ، ص ١٣٤ .

رغم ان الوثائق لا تنير الطريق أمامنا فى هذا الموضوع الهام فهى تتركنا وقد غادر إسماعيل ود مدنى وتنتقل بنا فجأة إلى حملات الدفتردار الإنتقامية ، فقد أكد لنا الكثير من الرحالة الذين زاروا السودان فى عهد محمد على أن اسماعيل قتل بمؤامرة دبرها نمر زعيم الجعليين .

(٥) دفتر ١٤ معيه تركى ، ترجمة المكاتبة رقم ٤٢٤ بتاريخ ١٧ شوال سنة ١٢٣٩ .

وقد شهد عهد الحكمدار خورشيد اهتماما ملحوظا بامر تنظيم الغزوات وارسالها لقنص الرقيق . فعندما استلم مقاليد الحكم فى سنة ١٨٢٦ ارسل غزوة لبلاد الشلك . كما قاد فى نفس السنة حملة صغيرة أخرى سارت على النيل الأزرق حتى وصلت جهات «ود العباس» وعادت الى الخرطوم بعد أن استولى خورشيد على كمية من العبيد باعها نيابة عن الحكومة (١) . وفى سنة ١٨٢٧م قاد خورشيد حملة أخرى الى بلاد الدنكا على ضفاف النيل الابيض ،واستطاع بمساعدة الشيخ سليمان ابي روف ، من شيوخ عربان رفاعة ،الوصول حتى نهر سوباط ،وعاد من هناك بعد غياب ثلاثة اشهر ، كان نتيجتها اعتقال خمسمائة من زنوج الدينكا (٢) . وفى سنة ١٨٢٨ قاد خورشيد غزوة أخرى نحو بلاد الانقسنا لجلب العبيد من هناك(٣) . كما شهد عام ١٨٣٠ حملة أخرى قادها خورشيد الى بلاد الشلك وعاد من هناك بمائتين من الأسرى (٤) . وفيما بين عامى ١٨٣١ و ١٨٣٢ قاد خورشيد اكبر قوة تستعمل فى الغزوات حتى ذلك الوقت . ستة آلاف جندى : نحو بلاد التاكة بهدف الحصول على كميات ضخمة من الماشية والعبيد . إلا أن تلك الحملة تعرضت لخسارات فادحة اذ فقدت الف وخمسمائة من رجالها ورجع خورشيد ببقية جنوده دون أن يحقق آماله(٥) . وفى سنة ١٨٣٢ غزا خورشيد بلاد فازوغلى غزوة ناجحة جلب بعدها اعدادا كبيرة من الرقيق(٦).

وقد أعد رستم بك حاكم كردفان فى عهد الحكمدار خورشيد بعض

(1) Hill : On the Frontiers, P. 7.

(٢) المصدر السابق ، ص ٤ — ٥ .

(3) Hill : Egypt in the Sudan, P. 63.

(4) Hill : On the Frontiers, PP. 12-13.

السبب الرسمى الذى برر به خورشيد هذا الهجوم على بلاد الشلك هو معاقبة قبائلها لا عتداءاتها المتكررة على العرب الذين سكنوا بالقرب منهم .

Hill : Egypt in the Sudan, P. 63.

(5) Hill : On the Frontiers, p. 13.

(٦) المصدر السابق ، ص ٧ .

الغزوات لصيد العبيد . ففى الخامس من شهر شعبان سنة ١٢٤٥ . « ٣٠ يناير سنة ١٨٣٠ » قاد حملة لغزو الزنوج فى جبالهم بالقرب من كردفان . بعد قتال عنيف بين الجانبين استمر لمدة سبعة ايام استطاع رستم بك الانتصار على الاهالى فغنم اموالهم واملاكهم واسر منهم الفا واربعمائة اسيرا اختار منهم « الفا من صغيرى السن المقتدرين وأرسلهم مع مصطفى اغا بيكباشى الاورطه السادسة الى المحروسة . . (١) » . وقاد رستم ايضا فى سنة ١٢٤٨ « ١٨٣٢ — ١٨٣٣ » حملة أخرى الى جبال الزنوج فتكت بهم واسر منهم الفا وخمسمائة عبد (٢) .

الا أننا اذا القينا نظرة فاحصة على الوثائق لرأينا أن اهتمام الباشا بامر الرقيق قد قل كثيرا بعد عهد حكمدارية خورشيد . فعندما زار السودان سنة ١٨٣٩ لم يرد بهذه الزيارة تطوير وسائل قنص الرقيق وحث المسئولين على جلب أكبر قدر منهم وانما زاره لتفقد اعمال التنقيب عن الذهب فى فازوغلى. ثم أن معظم الرسائل التى ارسلها للحكمداريين وغيرهم لم تعط اهتماما كبيرا ، كما كان الحال فى اوائل عهده ، بمسألة العبيد ، وإنما حثهم فيها ، خاصة فى اواخر عهده ، على الاهتمام بحاصلات السودان ومنتوجاته كالصمغ والماشية وارسالها الى مصر . فالباشا وجه المنظم احمد باشا المنكلى ببذل كل جهده بارسال اكبر كمية من الماشية بقوله : « . . . وأن تبدى أمر هذه الماشية على سائر الامور وإياك التهاون فيه . . . (٣) » . وعندما علم أن الماشية السودانية تصل لمصر ضعيفة هزيلة لأن مدير بربر لايهتم بتجهيز العلف لها ، كتب اليه لافتا نظره للاهتمام بهذا الامر وحذره من الاهمال فيه بقوله : « والحذر أن اسمع عنك أن المواشى تمر من مديريتك فى محطاتها من غير علف (٤) » .

---

(١) الوقائع المصرية ، عدد رقم ٩١ بتاريخ الثلاثاء ١٥ محرم سنة ١٢٤٦ .

(٢) الوقائع المصرية ، عدد رقم ٣٨٨ بتاريخ السبت ٣ محرم سنة ١٢٤٨ .

(٣) دفتر رقم ٣٧٨ معيه تركى ، وثيقة رقم ٢١٢ بتاريخ ١١ رمضان سنة ١٢٦٠ .

(٤) دفتر رقم ٤٠٨ صادر ديوان المعيه ، ترجمة المكاتبة التركية رقم ٣٩٩ بتاريخ ٨ ربيع الأول سنة ١٢٦٣ .

وقد اهتم الباشا ايضا باستيراد الصمغ خاصة من كردفان ، فارسل الرسالة تلو الأخرى للمسئولين هناك للاهتمام بامره . ففى رسالة وجهها لمدير كردفان سنة ١٢٦٢ «١٨٤٥-١٨٤٦» قال له : «واجمع الصمغ بكثرة فى هذه السنة وارسله متتابعا(١)» . وعندما علم ان الصمغ يهرب لجهات سواكن ومصوع كتب الى حكمدار السودان قائلا : «بما أنه بلغ سمو الخديوى (٢) أن الصمغ يهرب لجهات سواكن ومصوع فقد كتبنا لكم بتاريخ ١٢ شوال سنة ١٢٦٢ بان تصادروا الصمغ المهرب والدابة التى تحمله . . . وأن تعنوا كل العناية بعدم تهريب الصمغ (٣)» .

لمعرفة اسباب هذا التحول فى سياسة محمد على لابد لنا من دراسة الاغراض التى اراد الباشا استخدام اولئك السود فيها والنجاح الذى احرزه فى هذا الشأن . هذا ما سأحاوله فى الفصل القادم .

(١) دفتر ٢٩٣ صادر ديوان المعيه ، وثيقة رقم ٦٦٤ بتاريخ ١٧ ربيع الآخره سنة ١٢٦٢ .
(٢) بالرغم من ان لقب خديوى لم يعط رسميا الا لاسماعيل وأحفاده الا أنه أطلق أحيانا على محمد على فى المكاتبات الرسمية .
(٣) دفتر رقم ٤٢٣ صادر المعيه السنيه ، ترجمة المكاتبة التركية رقم ١٦٧٤ بتاريخ ٢٢ صفر سنة ١٢٦٣ .

الفصل الثالث

الاغراض التى استخدم فيها العبيد المجلوبون من السودان

الأغراض التى استخدم فيها العبيد المجلوبون من السودان

تجنيد الزنوج السودانيين فى جيش محمد على

اقتنع محمد على منذ استيلائه على حكم مصر بضرورة تكوين جيش نظامى حديث يحمى به مركزه فى الداخل ويبنى به الامبراطورية التى حلم بها. وقد كان الجيش اهم مشاريع محمد على جميعا، اذ أن معظم المنشآت التى انشأها هدفت لخدمة الجيش واستكمال حاجاته. فالباشا قد اقام المدارس الملكية والحربية لتخريج الضباط وارسل البعثات الى اوربا لاعداد العلماء والمهندسين والاساتذة «ممن يتصلون عن بعد أو قرب بالأداه الحربية»(1).

عندما اقدم محمد على فى سنة ١٨١٩ على تكوين جيشه النظامى، لم يشأ استقدام الضباط والمعلمين اللازمين لتدريبه من تركيا حتى لايثير شبهات الباب العالى من جهة، ولأن الجيش العثماني لم يكن آنذاك فى حالة تسمح بارسالهم من جهة أخرى. لذلك اتجه الباشا نحو فرنسا التى اراد كثير من ضباطها العمل فى الدول الناهضة، اذ انهم اصبحوا عاطلين بعد هزيمة نابليون سنة ١٨١٥ فى معركة ونزلو الشهيرة. ألحق محمد على بعضهم بخدمته تحت قيادة الكولنيل سيف الذى وفد الى مصر سنة ١٨١٩، والذى كان له الفضل الاول فى معاونة محمد على فى تأسيس الجيش المصرى على النظام الحديث(2). ولاعداد الضباط الأكفاء للجيش الجديد ارسل الباشا الفا من مماليكه ومماليك بعض رجال دولته ليعلمهم الكولنيل سيف فنون الحرب فى اسوان التى اختارها الباشا لتدريب النواة الاولى لجيشه لبعدها عن القاهرة وخلوها من الملاهى وقربها من السودان «وذلك القطر الذى ينتظر أن يكون اهم مراكز التجنيد للجيش الجديد»(3).

---

(1) الرافعى : تاريخ الحركة القومية، جـ ٣، ص ٢٥٣.

(2) اعتنق سيف الدين الاسلامى وعرف فيما بعد باسم سليمان باشا الفرنساوى.

(3) شكرى : بناء دولة، ص ١٥١.

وعندما اراد الباشا حشد الجنود لجيشه الحديث لم يفكر فى بادئ الامر فى تجنيد المصريين ، اذ أنه ربما اعتقد أنهم لايصلحون لذلك «لطول ماتقادم عليهم من عصور الاستبداد التى اورثتهم الجبن والكذب والعجز والمذلة(١)». كما أنه خشى أن يؤدى ذلك الى حرمان مصر من قيامهم على الزراعة فتسوء احوال البلاد الاقتصادية . وبما أن المصريين لم يعتادوا التجنيد فى عهد المماليك فيبدو أن الباشا لم يرد أن يفاجئهم به حتى لايثير هياجهم وتمردهم . وهكذا فقد اتجه الباشا نحو السودان آملا أن يجلب من هناك مايحتاج اليه من العبيد ليجندهم فى جيشه .

بما أن السودانيين عرفوا بالطاعة والصبر والقناعة والبسالة فى القتال ، فقد حاول كثير من الحكام الذين حكموا مصر جلبهم من بلادهم وتجنيدهم فى جيوشهم . فقد كان احمد بن طولون اول من استخدمهم فى الجيش الطولوني حتى أن عددهم بلغ اربعين الفا(٢) ، كما استمر تجنيدهم فى جيش الاخشيديين خاصة فى عهد كافور (٣) وزادت اعدادهم فى عهد الفاطميين لاسيما فى عهد المستنصر بالله(٤) اذ بلغ عددهم خمسين الفا(٥) . وما أن استولى نابليون على حكم مصر حتى فكر فى تجنيدهم فى جيشه، فأرسل فى سنة ١٧٩٩ خطابا الى السلطان عبد الرحمن سلطان دارفور جاء فيه : « . . والآن طلبى اليكم أن ترسلوا لى مع اول قافلة الف عبد من الأشداء المتجاوزين

---

(١) مرى : صفحة من تاريخ ص ٢٩ .

(٢) مسعد : الإسلام والنوبة ، ص ١٣٨ نقلا عن المقريزى : المواعظ والاعتبار جـ ١ ، ص ٩٤. إهتم ابن طولون بهولاء العبيد فاقطعهم إقطاعا خاصا عرف باسمهم وعين حاجبا لصرف جراياتهم (المصدر السابق ص ١٣٨ نقلا عن المقريزى : المواعظ والاعتبار جـ ١ ، ص ٣١٥)

(٣) المصدر السابق ص ١٣٩ نقلا عن المقريزى : المواعظ والاعتبار جـ ١ ، ص ٩٤ .

(٤) شجعت والدة المستنصر ، وهى سودانية الأصل ، إبنها على جلب المزيد من أبناء جلدتها . مسعد : الاسلام والنوبة ص ١٣٩ .

(٥) المصدر السابق ، ص ١٣٩ نقلا عن المقريزى : المواعظ والاعتبار ، جـ ١ ، ص ٩٤ .

الستة عشر من العمر ، اذ مرادى أن ابتاعهم لنفسى ([1])» . لهذا لم يكن من الشاذ ولا المستغرب أن يتجه عاهل مصر جنوبا لجلب الزنوج السودانيين لتجنيدهم فى جيشه .

لقد أمل محمد على فى جمع وتجنيد اعداد كبيرة من السود قدرها «هل» بعشرين الفا ([2]) ، بينما رأى مؤلفو كتاب «بناء دولة محمد على» أن العدد الذى اريد تجنيده لم يقل عن ثلاثين الفا أو اربعين([3]) . الا أن الآمال والاحلام شئ، والحقيقة والواقع شئ آخر . فالباشا قد فشل فى تجنيد تلك الأعداد الضخمة التى طمع فى جلبها من السودان لاسباب متعددة .

أولا : سوء وفساد الإداريين :

بما إن الإدارة القوية الحازمة كانت شرطا رئيسيا لتحقيق أغراض محمد على فى السودان([4])،وبما أن مثل هذه الإدارة لن تتحقق الا اذا اوكل أمرها لموظفين أكفاء ، فقد بذل الباشا مجهودا كبيرا لتعيين أشخاص أكفاء للعمل فى السودان. فما أن تم فتح البلاد حتى أرسل الباشا إبنه أبراهيم لمساعدة أخيه فى هذا الشأن ، كما أنه إهتم ، خاصة بعد حملات الدفتردار الإنتقامية وبعد سياسة التعسف والإرهاب التى أشاعها خلفه عثمان بك ([5]) ، بتعيين حكمدارين مخلصين للعمل بالسودان . وعند زيارته للسودان([6]) لاحظ الباشا « أن البلاد ينقصها الكثير من الكتاب الأكفاء الذين فى مقدورهم مواجهة الأمور والأحوال الطارئة ومعالجتها ([7]) » فأرسل إلى القاهرة

---

(١) شقير : جـ ٢ ، ص ١٢٣ .

(2) Hill : Egypt in the Sudan, P. 25.

(٣) شكرى : بناء دولة ، ص ١٥٢ .

(٤) شبيكه : السودان فى قرن ص ٣٨ .

(٥) تولى عثمان بك جركس ادارة إقليم السودان فى الفترة ما بين أكتوبر ١٨٢٤ إلى أبريل ١٨٢٦ .

(٦) انظر ص . ١٠٧ ــ ١٦٠ .

(٧) دفتر ٢٨٠ شورى المعاونة ملكيه ، وثيقة رقم ٢١ بتاريخ ١١ محرم ١٢٥٥ .

مستعجلا إرسال عدد منهم للخدمة في السودان . ولتنظيم العمل في السودان أصدر مجلس العموم في ٢٢ محرم سنة ١٢٦٤ « ٣٠ ديسمبر ١٨٤٧ » لائحة نصت على أن من يخدم في دنقلا يبقى فيها ثماني سنوات وفي الخرطوم ست سنوات ،وفي كل من سنار وفازوغلي والتاكه أربع سنوات. ولا يصح لأي موظف مغادرة مقر خدمته الا إذا حضر من يحل محله: ولا يسمح له بالذهاب إلى مصر أثناء تلك المدة الا بشهادة طبية تمتحن صحتها في القاهرة ويعاقب الطبيب والموظف اذا ثبتت اللياقة الطبية . واذا ألف الموظف الإقامة في مركز خدمته وطلب البقاء وكانت الشهادة في عمله مرضية فله أن يبقى مدة أخرى (١) .

ولترغيب الموظفين للعمل بالسودان فقد منحهم الباشا بعض الإمتيازات فوافق على زيادة مرتباتهم (٢) وأمر أحيانا بصرفها لهم مقدما من خزينة القاهرة (٣) ، كما أنه أعفاهم من دفع الضرائب (٤) . هذا وقد فرض محمد على رقابة صارمة على سلوك موظفيه ، فكثيرا ما اساء الموظفين الذين أخطأوا وهددهم بالعقاب الصارم اذا تكررت أخطاؤهم ، كما أنه أرسل الجواسيس إلى مختلف أنحاء البلاد لمراقبة سلوكهم ورفع تقارير عنهم إلى الجهات المختصة (٥) . وقد إهتم الباشا بالتحقيق في التهم التي وجهت اليهم فأرسل

(١) محفظه رقم ١٣ أوامر لديوان الجهادية ، ترجمة الوثيقة رقم ٤٤ بتاريخ ٢٧ محرم سنة ١٢٦٤ .

(2) Hill : Egypt in the Sudan, P. 37.

عارض الباشا في بادىء الأمر زيادة تلك المرتبات بحجة ان مستوى المعيشة منخفض في السودان ، الا أنه عاد ووافق على زيادتها .

(٣) دفتر ٢٨٩ شورى المعاونه تركي ، ملخص ترجمة المكاتبة التركية رقم ٨٧٣ بتاريخ ٢٨ محرم سنة ١٢٥٩ .

(٤) محفظة ١ مجلس ملكية تركي ، ترجمة الوثيقة رقم ١٤٦ ورقة ١٤٦ بتاريخ ١٥ ذى القعده سنة ١٢٥٠ .

(5) Pallme : Travels in Kordofan, P. 31.

الا أن معظم هؤلاء الجواسيس كانوا في حاجة إلى رقيب عليهم اذ أنهم كثيرا ما إستغلوا سلطاتهم وطالبوا الحكام والموظفين بالهدايا والرشوة والا فربما الحقوا بهم أضرارا بليغة .

المحتقين من مصر . وسمح أخيرا لحكمدارى السودان بتكوين لجـان للتحقيق ([1]) . ولردع المخطئين منهم فقد عاقبهم محمد على عقابا صارما إمتد أحيانا إلى السجن أو الفصل النهائى من الخدمة . فقد فصل مثلا مأمور دنقله فى سنة ١٢٥٠ « ١٨٣٤ — ١٨٣٥ » من منصبه لأنه إرتكب الكثير من الأخطاء والأعمال الرديئه ([2]) .

الا أنه يبدو أن معظم المصريين لم يرغبوا فى مغادرة بلادهم للعمل بالسودان ([3]) لتعلقهم بديارهم وأهلهم من جهة ولخوفهم من الأمراض المنتشرة فى السودان من جهة أخرى . لذلك فإن بعضا منهم إنتحل الأعذار لتأخير مجيئه للسودان، فعندما أختير المعلم بشاره فى سنة ١٢٤٥ « ١٨٢٩ — ١٨٣٠ » للعمل فى السودان تهرب من السفر بأن كان « يقدم كل يوم للمجلس تقريرا يتعلل به عن الرواح ويثقل على المجلس بقصد تعويق ذهابه فى الوقت المقرر ([4]) » ، وفريق آخر هرب قبل وصوله إلى مكان مأموريته تارة ([5]) وبعد وصوله اليها تارة أخرى ([6]) .

وهكذا فإن الذين جاءوا للخدمة لم يأتوا عن طيب خاطر وإنما إضطروا للمجيء تحت تهديدات محمد على بنزع ميدالياتهم ([7]) وفصلهم من خدمة

(1) Hill : Egypt in the Sudan, P. 44.

(٢) محفظة رقم ١ مجلس ملكية تركى ، ترجمة الوثيقة ٧٥ بتاريخ ١٧ شعبان سنة ١٢٥٠.

(٣) هنالك عدد قليل جدا من الموظفين المصريين الذين رغبوا فى العمل فى السودان . فمثلا من مكاتبة موجهة من الديوان الخديوى إلى مدير كردفان نعرف أن شخصا يسمى دور كلى محمد اغا فصل من الخدمة فى كردفان لمرضه ، الا أنه التمس السماح له بالاستمرار فى عمله . دفتر ٨٤/٦٣ ديوان الجهادية عربى صادر ، الوثيقة ١٦ ص ١٠٢ بتاريخ ١٠ جمادى الاولى سنة ١٢٦٣ .

(٤) دفتر ٧٥٩ ديوان الخديوى ، وثيقة رقم ٢٣ بتاريخ ١٣ رجب سنة ١٢٤٥ .

(٥) دفتر ٩٢/ ٥١٧ ديوان الخديوى عربى وارد جـ ١ الوثيقة رقم ٤ ص ١٥٢ بتاريخ ٢٥ صفر سنة ١٢٦٢ .

(٦) دفتر ١٣ ديوان الخديوى عربى وارد جـ ٢ ، وثيقة ١٢ ص ٥٠ بتاريخ ١٢ ربيع أول سنة ١٢٦٤ .

(7) Hill : Egypt in the Sudan, P. 37.

الحكومة فصلا نهائيا . فعندما إعتذر مثلا شخص يدعى عبد الحى أفندى فى سنة ١٢٥٥ « ١٨٣٩ — ١٨٤٠ » عن السفر للخدمة فى السودان أمر الباشا بفصله فورا (١) . لهذا لم يكن غريبا أن يهمل هؤلاء إدارة شئون البلاد ويركزوا كل جهدهم لتحقيق مطامعهم الشخصية وجمع أكبر قدر من المال بطرق ملتوية وأساليب فاسدة . فقد قيل مثلا أن المنكلى عاد من السودان بكمية كبيرة من العبيد والأموال والخيل مع ألفى أوقية ذهب (٢) . وكان من الطبيعى فى هذه الأحوال أن ينتشر الفساد والمحسوبية وتختلس أموال الحكومة فى وضح النهار، حتى أن موسى الكاشف أحد أعضاء مجلس المشورة الذى عقد فى ٨ محرم سنة ١٢٤٢ « ٢ أغسطس سنة ١٨٢٦ » قال : « ... إن فى مقدمة الأكالين هناك هو السر عسكر ثم الكشاف ويأتى القائمقامون فى الصف الثانى ، والمشائخ فى الصف الثالث ، وكل من يليهم أكالون (٣) .

إعتاد أولئك الإداريون بيع رقيقهم للتجار بأثمان أعلى بكثير من ثمن شرائها ، حتى أن التجار إشتكوا لمحمد على طالبين منه أن يتدخل لحماية مصالحهم ، ففى سنة ١٨٣٦ مثلا رفع شيخ يدعى محمد بن الشيخ دياب شيخ خندق عريضة ضد قاسم أغا حاكم دنقلا أدعى فيها أنه « يشترى من الجلابين الرقيق الذى قيمته نحو خمسين فرنسه بعشرين فرنسة ويبيعه للتجار بنحو ثمانين فرنسه » (٤) .

وقد درج كثير من الإداريين وحكام الأقاليم على الإستيلاء على بعض

---

(١) دفتر ١٦٥ شورى المعاونة وثيقة رقم ٢٢٣ بتاريخ محرم سنة ١٢٥٥ . (التاريخ غير محدد .)

(2) Hill : On the Forntiers, P. 48.

(٣) شكرى : الحكم المصرى ترجمة صورة مجلس المشورة الذى عقد فى ٨ محرم سنة ١٢٤٢ نقلا عن محفظة ١٩ بحر برا ، ترجمة المكاتبة رقم ٢٢ بتاريخ ٨ محرم سنة ١٢٤٢ .

(٤) محفظة رقم ٥ قرارات مجلس الملكية والجهادية ، ترجمة وتلخيص المضبطة رقم ١ بتاريخ ٥ ربيع الآخر سنة ١٢٤٢ ، ترجمة الفقرة ب .

الأسرى الذين قبض عليهم فى غزوات الحكومة وباعوهم لمصلحتهم الخاصة([1]). وكثيرا ما استولى الجنود أيضا على بعض الأسرى الذين قبض عليهم فى الغزوات وباعوهم لتجار الرقيق بدلا من تسليمهم لسلطات الحكومة ليرسلو إلى مصر، حتى أن الباشا إضطر إلى إصدار أوامره بمنع التجار من شراء الأسرى من اولئك الجنود و « ضبط الأسرى الموجودين بأيدى الذين لم يمتنعوا منهم ([2]) » .

ثانيا : المشاق والمخاطر التى تعرض لها العبيد أثناء رحلتهم إلى مصر :

الرحلة بين مصر والسودان رحلة طويلة شاقة، تعرض فيها العبيد المرسلون من السودان لمشاق ومتاعب جمة. أدت إلى هلاك الكثيرين منهم قبل وصولهم إلى مصر . فزيادة على مشاق الطريق كإنعدام الماء، خاصة فى زمن الجفاف، فقد لاقى أولئك العبيد معاملة وحشية لا تليق بالبشر . فالبالغون منهم وضع حول أعناقهم وتدخشبى مدبب واجبروا على إبقائه مشدودا اليها « لا يفارقها نحو شهر أو ستة أسابيع ([3]) » ، والأطفال بين سن العاشرة والخامسة عشر قيدوا بقيود قوية لتحول بينهم وبين الفرار ([4]) . وقد تعرض العبيد بصفة خاصة لأسوأ أنواع المعاملة من جنود الحكومة لأنهم رغبوا التخلص منهم وخاصة من المسنين وغير الصالحين لأنهم عرفوا أنهم سيجبرون على أخذهم بدلا من متأخرات رواتبهم بأسعار تزيد كثيرا عن الأسعار التى سيبيعونها بهم لتجار الرقيق . وقد لاحظ الرحالة بالم أن معاملة تجار الرقيق للعبيد كانت أحسن من معاملة الجنود لهم، لا لنزعة إنسانية سيطرت على أفئدتهم وإنما لأنهم نظروا اليهم كسلعة تجارية يجب المحافظة عليها ([5]) .

---

(1) Hill : Egypt in the Sudan, P. 62.

(٢) دفتر ١٠ معيه تركى ، ترجمة الوثيقة رقم ٢١ بتاريخ ١٥ ربيع الأول سنة ١٢٣٧ .

(٣) شكرى : بناء دولة ، ترجمة تقرير بورنيج ص ٥٥٢ .

(4) Pallme : Travels in Kordofan, P. 321.

(٥) المصدر السابق ، ص ٣٢٠ .

وبما أن أجسام الزنوج ضعيفة لا تتحمل المرض حين يقعون فريسة له (1) ، فقد أدى إنتشار الأمراض المتعددة كالدستاريا والملاريا وداء الصفره والأمراض التناسلية وحمى التيفود والطاعون (2) إلى هلاك كثيرين منهم. فمن حوالى ألفين وأربعمائة عبد وجارية أرسلوا من اسوان للقاهرة فى سنة ١٢٣٩هـ « ١٨٢٣ — ١٨٢٤ م » وصل منهم ١٢٤٥ فقط، وهلك الباقون فى الطريق (3) .

وبجانب كل هذه المتاعب فقد تعرض العبيد المرسلون إلى مصر إلى اعتداءات متكررة من القبائل السودانية تارة ومن الفلاحين فى صعيد مصر تارة أخرى . ففى عام ١٢٣٩ « ١٨٢٣ — ١٨٢٤ » تربص جماعة من البشاريين بألف وثلاثمائة رأس من الرقيق أرسلهم الدفتردار فهجموا عليهم فى جهات بربر واستولوا عليهم بعد أن أحرقوا القوارب التى جاءت بهم إلى هناك (4) . وفى سنة ١٢٤٢ « ١٨٢٦ — ١٨٢٧ » هجم جماعة من فلاحى قرية الدير بصعيد مصر على بعض العبيد المرسلين إلى مصر والحقوا بهم أضرار بالغة (5) .

---

(1) Burckhardt : Travels in Ethopia, P. 303-4.

(٢) فى أواخر عهد محمد على إنتشر الجدرى فى السودان بصورة ملحوظة حتى أن الباشا أوفد أطباء من مصر ، كما أمر بتعليم بعض المواطنين « فن التطعيم » لتطعيم الأهالى ضد هذا الوباء الخطير . دفتر ٩٣ / ٥٤٩ ديوان الخديوى عربى صادر جـ ٢ ، الوثيقة بدون رقم وبدون تاريخ محدد (سنة ١٢٦٣) .

(٣) دفتر ١٨ معيه تركى ، ملخص ترجمة الوثيقة رقم ٣٧٥ بتاريخ ٣٠ شوال سنة ١٢٣٩ .

(٤) دفتر ١٦ معيه تركى ، ترجمة الوثيقة رقم ١٨٥ بتاريخ ١٩ جمادى الثانية سنة ١٢٣٩ .

(٥) دفتر رقم ٧٣٢ ديوان الخديوى ، وثيقة رقم ٣٥٨ بتاريخ غرة ربيع الأول سنة ١٢٤٢ . بعد التحقيق إتضح « ان البادئين بالفساد » أربعة من شيوخ تلك القرية فاعتقلوا وارسلوا إلى القاهرة ليحاكموا هناك .

ثالثا : عدم رغبة الزنوج السودانيين فى مفارقة أوطانهم للالتحاق بجيش محمد على :

ذكر أحمد باشا مأمور السودان عن شهرى ذى القعدة وذى الحجة سنة ١٢٥٣ « فبراير — مارس سنة ١٨٣٦ » فى تقرير رفعه لمحمد على أن سكان السودان من بربر للخرطوم طيبو القلوب وهم « بالنسبة لغيرهم محبون لأوطانهم منقادون لحكامهم وأنه من الممكن أخذهم للجهادية باللين والرفق وترغيبهم بها يوما بعد يوم (١) » ، وأما أهل البلاد من الخرطوم إلى مدنى فيمكن أخذهم للجهادية باللين والرفق إذا توفرت لهم كل سبل الراحه من مأكل ومشرب الخ « مما سيرغب بعضهم بعضا فيكثر عددهم ومن أجل ذلك سأجمع مقدارا منهم بكل سهولة ،ولا يكون كلفة ولا زحمة من جراء جمعهم بالنسبة للجهات الأخرى (٢) » .

عندما نتحدث عن رغبة السودانيين فى التجنيد لابد أن نفرق بين السودانيين العرب والسودانيين الزنوج . فيما أن « عز الرجل فى عز قبيلته ومجموعته الصغيرة (٣) » وبما أن مطالب العيش كانت بسيطة لا تضطر الانسان إلى مفارقة قبيلته وأهله وعشيرته فمن الظاهر أن السودانيين العرب ما عدا الشايقية لم يرغبوا فى حياة الجندية لما فيها من متاعب ومخاطر . أما السودانيون الزنوج فقد عرفوا منذ أزمان بعيدة بحبهم للجندية وتفوقهم فيها .

إلا أنه مع حب الزنوج السودانيين للجندية فقد كرهوا مفارقة أوطانهم خاصة إلى مصر إذ أنهم كرهوا بياض البشرة بصفة عامة واعتبروه أثرا من آثار المرض وعلامة من علامات الضعف (٤) وكرهوا « أولاد الريف » بصفة

---

(١) محفظة رقم ٢٦٥ عابدين ، وثيقة رقم ١٨٨ بتاريخ ١٧ ذى الحجة سنة ١٢٥٣ هـ

(٢) الوثيقة السابقة .

(٣) شبيكه : السودان فى قرن ، ص ٧ .

(4) Burckhardt : Travels in Nubia, P. 338.

عندما كان بركهات مقيما فى شندى كان الاهالى يصيحون فى وجهه بقولهم : « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم » .

خاصة لأن الفكرة السائدة بينهم أنهم يأكلون البشر (١) . لهذا فقد قاوم الزنوج الغزوات المسلحة التى أرسلت لصيدهم مقاومة عنيفة بالرغم من عتادها وأسلحتها النارية (٢) . فهاهم زنوج جبل توكام . أحد الجبال من سلسلة جبال تقلى ، قد صدوا جيوش الدفتردار التى أرسلت فى سنة ١٨٢٤ بقيادة شريف أغا وإضطروهم للإنسحاب (٣) . أما زنوج جبل الداير شمال شرقى الأبيض بمسافة عشرين ميلا تقريبا ، فقد أظهروا شجاعة نادرة وبسالة فائقة فى مقاومة الحملات العديدة التى أرسلت لإخضاعهم . (٤)

وعندما ضيقت قوات الحكومة على الزنوج فر بعض منهم إلى الكهوف رغم قلة الماء والطعام فيها ، ومنهم من مات جوعا وإختناقا . وقد فضل بعض منهم الإنتحار على حياة الذل والأسر ، فكثيرا ما شق الرجل إحشاء زوجته وأطفاله وأخيرا قتل نفسه (٥) . وحتى الذين أسروا وضموا للخدمة العسكرية فقد تحينوا الفرص للتحرر والفرار . فعندما سمح سنة ١٢٤٢ « ١٨٢٦ — ١٨٢٧ » لبعض السود من جنود الآلاى السابع بالذهاب إلى دمنهور لزيارة بعض أقاربهم هناك إنتهزوا هذه الفرصة وفروا من الخدمة العسكرية (٦) . وقد أظهر الجنود السود الذين جندوا فى جيش محمد على عدم رغبتهم وضعف ولائهم حتى أن الحكومة إضطرت لتجريدهم من السلاح خلال إقامتهم فى الثكنات (٧) .

---

(١) المصدر السابق ص ٢٩٨ — ٩٩ .

(٢) لاحظ بركهارت خلال زيارته للسودان ان الاسلحة النارية عزيزة نادرة بالرغم من سهولة إستيرادها من مصر وذلك لأن التجار خشوا حملها حتى لا يثيروا جشع الحكام والأمراء فيأخذوها اما بالقوة أو بأسعار زهيدة. المصدر السابق ، ص ٢٨٧ .

(3) Chiros : SNR 29 (1948), An Unpublished Itinerary, P. 64–66.

(4) Petherick : Egypt, the Sudan, P. 276.

(5) Pallme : Travels in Kordofan, P. 315.

(٦) دفتر ١٩ معيه تركى ، ترجمة المكاتبة رقم ٢٤٧ بتاريخ ٢٥ صفر سنة ١٢٤١ .

(7) JRGS Vol. 5, 1835 : "Extracts from a private Memoranda" P. 42.

رابعا : ضغط الدول الأوروبية على محمد على لإيقاف الغزوات والغاء تجارة الرقيق :

عندما نشر الرحالة الذين زاروا السودان وغيره من الأقطار الأفريقية التى إشتهرت بتجارة الرقيق فى القرن التاسع عشر الأخبار عن أحوال الرقيق وعن المعاملة القاسية التى تعرضوا لها ، قامت حركة قوية فى أوربا تهدف إلى الغاء الرق وتجارة الرقيق . بادرت الحكومة الانجليزية بالإتصال بمحمد على بهدف الغاء هذه التجارة المشينة ، فاوفدت قنصلها كامبل لمقابلة الباشا والتحدث اليه فى هذا الشأن . وفى إجتماع عقد بين كامبل والدكتور « بورنج » مع محمد على فى ٣٠ نوفمبر سنة ١٨٣٧ تحدث الأوربيان عن مآخذ الرق وطلبا من الباشا أن « يبادر على الفور بإبطال صيد الرقيق فى الجنوب من تلقاء نفسه قبل أن يطلبا ذلك بطريقة رسمية (١) » . وبالرغم من عدم إقتناع محمد على بابطال تجارة الرقيق ، الا أنه إضطر تحت ضغط بريطانيا بوعد الوسولين بالعمل فى خطوات وئيدة لالغائها إذ أنه لا يمكن القضاء عليها قضاء مبرما مرة واحدة (٢) .

وفى الواقع أن محمد على قد اتخذ بعض الخطوات لتحقيق هذا الهدف ، ففى خلال زيارته للسودان أصدر فى ديسمبر سنة ١٨٣٨ وهو بالخرطوم « الأوامر الرسمية بإبطال صيد الرقيق وأذاع المنشورات بين الآهـلين وخصوصا فى جهات فاشتغارو والجالا ودول والكماميل يبين لهم جميعا أن الجيش والمدفعية التى تتقدم فى بلادهم لاتحمل إلى قراهم وأكواخهم سوى السلام والسكينة (٣) » ، كما أنه أصدر توجيهاته إلى قواد الجيش بأن تختصر الغزوات على إخضاع الخارجين عن سلطان الحكومة وتأديب العصاة فقط وان لا يتعرض الجنود إطلاقا لأسر العبيد (٤) . وفى أثناء زيارته للسودان

(١) شكرى : بناء دولة ، ترجمة تقرير بورنج ، ص ٥٧٨ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٥٧٨ .

(٣) شكرى : م ك ١ ، ٨ ، ١٩٤٦ ، « رحلة محمد على » ، ص ٤٠ .

(4) Shukry : Khedieve Ismail, P. 86.

جاءته أنباء تؤكد ان عددا عظيما من السود قد أسر فى الجهات القريبة من كردفان فأصدر أوامره « بانشاء مستعمرة منهم على شاطىء النيل الأزرق وأما اذا حالت دون ذلك صعوبات كثيرة فقد أمر بفك أسرهم على شريطة أن يتعهدوا عند حدوث خصومة أو نزاع بأن يعرضوه للفصل فيه على القضاة فى القرى وعلى حكمدار السودان نفسه إذا إقتضى الأمر ذلك (١) » . ثم أن الباشا أمر فى سنة ١٨٣٩ بإطلاق سراح خمسمائة عبدا إعتقلهم أبو ودان فى إحدى غزواته .

هذا لا يعنى أن حظر تجارة الرقيق قد قل بل إنها فى الواقع إشتدت وإتسع نطاقها بعد فتح النيل الأبيض للملاحة على أثر رحلات سليم قبودان فقد زاد عدد التجار المشتغلين بها وتوغلت حملاتهم جنوبا فى مناطق الرقيق، كما ان الحكمداريين أنفسهم إستمروا ، بالرغم من أوامر محمد على بإيقاف الغزو ، فى إرسال الغزوات لإصطياد الرقيق « أما لحسابهم الخاص أو لسد بعض نفقات الحكومة والإدارة فى السودان » (٢) .

استخدام الزنوج السودانين فى حروب محمد على الخارجية :

بعد أن منيت قوات السلطان العثمانى بهزائم متلاحقة فى بلاد الموره وفشلت فى إخماد الثورة التى قادها أبناء البلاد لتحرير بلادهم من حكم الأتراك وتحقيق إستغلالهم القومى ، توقع الباشا أن يعهد اليه السلطان « ببعض الخدمات المتعلقة بالدين والدولة(٣) » بأن يأمره باعداد جيش مصرى لمعاونة جيوش السلطان هناك (٤) . ليعد العدد الكافى من الجنود لهذا الجيش إستنفر

(١) شكرى : م ك أ ، ٨ ، ١٩٤٦ « رحلة محمد على » ، ص ٥٢ — ٥٣ .
(٢) المصدر السابق ، ص ٣٢ .
(٣) دفتر ١٠ معيه تركى ، ترجمة المكاتبة رقم ٣٩ بتاريخ ٤ ربيع الأول سنة ١٢٣٧ .
(٤) باشتراك جيش محمد على فى حرب اليونان أراد السلطان الاستعانة به لإخماد الثورة هناك وفى نفس الوقت صرف نظر محمد على عن المضى فى تنظيم جيشه ومضاعفة قوته حتى لا يفكر فى الإنفصال عن الإمبراطورية العثمانية .
، الرافعى : تاريخ الحركة القومية ، ج ٣ ، ص ٢٠١ .

محمد على إبنيه إسماعيل وأبراهيم وصهره الدفتردار لبذل أقصى جهدهم لقنص العبيد وإرسالهم إلى أسوان بقوله : « ان الإقدام والعناية فى أمر جلب السودانيين المطلوبين بكثرة قد أصبحا (١) فى صورة الفرض بل لعلهما تجاوزا درجة الوجوب .. (٢) » .

عندما تم فى سنة ١٨٢٣ تدريب أول ستة الآيات من الفلاحـين المصريين والزنوج السودانيين على الأسس الحديثة ، أرسل محمد على أربعة منها ضمن الجيش الذى أرسل بقيادة إبنه أبراهيم باشا لإعانة جيوش السلطان على إخماد الثورة فى بلاد الموره واستتباب الأمن والسلام هناك. هذه الآلايات الأربعة كانت تفاصيلها كالآتى : الآلاى الثالث بقيادة الأمير لاى خورشيد بك والآلاى الرابع بقيادة حسين بك والآلاى الخامس بقيادة سليم بك والآلاى السادس بقيادة سليمان بك (٣) .

رغم أن الحرب الوهابية إنتهت فى سنة ١٨١٨ بإندحار قـوى الوهابيين وإمتداد نفوذ مصر إلى معظم أنحاء الجـزيرة العربية ، الا أن الأحوال لم تستتب نهائيا فى تلك الأصقاع . فقد شهدت الجزيرة العربية من وقت لآخر ثورات قادها الوهابيون ضد الحكم المصرى، مما إضطر محمد على فى الأوقات التى اشتد فيها خطر تلك الثورات إلى إرسال مدد من مصر لمساعدة القوات المصرية هناك .

ومن بين الجيوش التى أرسلت إلى الحجاز كانت هناك أحيانا وحدات من الجنود السودانيين . فقد أرسل محمد على فى سنة ١٨٢٣ الآلاى الثانى من الآلايات الست التى تم تدريبها فى إسوان بقيادة الاميرلاى محمد بك لإمداد القوات المصرية فى الحجاز(٤). وعندما إشتدت معارضة الوهابيين للحكم

(١) أى بعد تطورات الموقف فى اليونان .

(٢) دفتر ١٠ معيه تركى ، ترجمة المكاتبة رقم ٣٩ بتاريخ ربيع الأول سنة ١٢٣٧ .

(٣) زكى : الجيش المصرى ، ص ٣٧ .

(٤) المصدر السابق ، ص ٣٧ .

المصرى فى سنة ١٨٣٥ أعد الحكمدار خورشيد باشا ألآيا من الجنود السودانيين هو الألاى الرابع والعشرين لمساعدة القوات المصرية فى الحجاز (١).

إهتم محمد على بالجنود السودانيين الذين أرسلوا للحجاز سنة ١٨٣٥ فأمر باعداد كافة لوازمهم من أسلحة وملابس وغيرها ، كما أنه أمر محافظ جده باعداد السفن اللازمة لترحيلهم من سواكن إلى الحجاز (٢) . وبما أن اولئك الجنود لم يعتادوا أكل الحنطه (القمح) التى ربما إضرت أجسامهم لو اقتاتوا بها ، فقد أمر محمد على محرم اغا مدير الوجه القبلى بأن يمدهم بسبعة آلاف أردب من الذرة البنارى (٣) ، كما أصدر توجيهاته إلى مختار بك مدير الوجه البحرى لإرسال ستة آلاف أردب أخرى (٤). رغم هذه التوجيهات الصريحة فإن كميات الذرة التى وصلت للحجاز من صعيد مصر كانت قليلة جدا ، ولعل هذا يعود إلى إهمال الإداريين وصعوبة المواصلات .

حقا أن محمد على إهتم بإعداد كل لوازم الجنود السودانيين الذين إشتركوا فى حربى الحجاز والموره ، إلا أن العوامل الطبيعية لعبت دورا كبيرا فى هلاك الكثيرين منهم (٥) . فكما توفى عدد كبير من الذين ارسلوا فى حرب اليونان لشدة البرد فقد أدى تغير الطقس وإنتشار الأمراض كالحمى

---

(١) دفتر ٦٧ معيه تركى ، ترجمة الأمر ٥٨٣ بتاريخ ٢٥ رمضان سنة ١٢٥١ .

(٢) دفتر ٦٧ معيه تركى ، ترجمة الأمر ٢٨٦ بتاريخ ٨ شعبان سنة ١٢٥١ .

(٣) دفتر رقم ٦٤ صادر المعيه ، وثيقة رقم ١٥٣ بتاريخ ٢١ رمضان سنة ١٢٥١ .

(٤) دفتر رقم ٥١ صادر المعيه ، وثيقة رقم ٤٢٩ بتاريخ ١٩ ذى الحجة سنة ١٢٥١ .

(٥) كما كان عدم التأقلم على الطقس وإنتشار الأمراض سببا فى هلاك كثير من السودانيين الذين إستخدموا فى الحجاز وبلاد الموره ، فقد كان أيضا سببا لكثير من الكوارث التى تعرضت لها الاورطة السودانية التى أرسلت فى ٨ يناير سنة ١٨٦٣ فى عهد سعيد باشا وبناء على طلب الإمبراطور نابليون الثالث لتقوم بالخدمة هناك مع جنود المستعمرات الفرنسية . وقد توفى قائد تلك الاورطه جبره الله محمد أفندى لإصابته بالحمى الصفراء . طوسون : بطولة الاورطة السودانية ، ص ٤ — ٩ .

وغيرها إلى هلاك أعداد كبيرة من أولئك الذين ارسلوا للحجاز . ففى الاورطه الأولى التى أرسلها خورشيد باشا نحو الحجاز مرض ٥٢١ جندى منها فى بربر وتوفى ٥٠٤ أثناء عبورهم للبحر . غضب محمد على لهذه المأساة واتهم خورشيد بالإهمال . إلا أن الأخير وضع كل اللوم على المسئولين الذين إختاروا أولئك الجنود مدعيا أنهم إختاروهم من سكان الجبال بدلا من سكان السهول (١) .

وعندما فشل الباشا فى تجنيد السودانيين إتجه نحو الفلاحين المصريين ليحشد منهم الجنود لجيشه الحديث . وواجه الباشا صعوبات متعددة فى هذا السبيل إلا أنه فى النهاية نجح فى ترغيب الفلاحين فى حياة الجندية فأقبلوا عليها إقبالا شديدا (٢) .

الأغراض الأخرى التى إستخدم فيها الزنوج السودانيون :

لا شك أن اعدادا كبيرة من الزنوج الذين جلبوا لمصر لم يصلحوا للخدمة العسكرية ولذلك رأى محمد على الإستفادة منهم بطرق ووسائل أخرى .

إستخدامهم فى بعض المشاريع الصناعية والزراعية فى مصر :

بعد المعارك الدامية التى خاضها الشعب المصرى ضد الحملة الفرنسية وبعد حروب محمد على الطاحنة ، فقدت مصر الكثير من خيرة أبنائها ، كما أدى تفشى الأمراض كالحميات والطاعون إلى هلاك أخرين . وبما أن معظم الذين ماتوا كانوا من الرجال فقد تعرضت البلاد لنقص حاد فى الايدى العاملة كانت فى امس الحاجة لهم لإستخدامهم فى المشاريع الصناعية والزراعية التى أنشاها محمد على للسير بمصر قدما فى طريق التقدم والرخاء الإقتصادى (٣) . لذلك الحق محمد على بعض الزنوج الذين جلبوا لمصر

---

(1) Hill : Egypt in the Sudan, P. 48.

(٢) شكرى : بناء دولة ، ص ١٥٢ .

(3) Shukry : Khedieve Ismail, P. 75.

بالمعامل والمصانع التى أنشأها (1) ، كما إنه حث حكمدارى السودان لإرسال الرقيق ذكورا واناثا « ممن يصلحون لأشغال الجفالك (2) » .

ولحث أولئك العبيد للعمل بهمة ونشاط فى تلك الأعمال الزراعية ، عمل على إستقرارهم وتوفير كل سبل الراحة لهم . فهو قد عيّن أحد كشافة ، جمال الدين أحمد ، لإنشاء قرية لإسكانهم « فى المحل المسمى كوم كام بوها بجوار منفلوط (3) » ، وأمره بتوفير كافة مستلزماتهم وجلب خمسة أو عشرة أنفار من الفلاحين لتعليمهم « أصول الفلاحة والزراعة (4) » . وبجانب إنشاء هذه القرية ، فقد عمل الباشا على إسكانهم بالقرى المصرية الأخرى . فهو قد أصدر أوامره إلى عبدى اغا مأمور منفلوط لإيوائهم فى قرية قوبتوجه والسعى لترغيبهم فى الأعمال الزراعية التى أوكلت اليهم (5) .

إلا أن استخدام العبيد فى الزراعة لم يأت بالفائدة المرجوة منه إذ أن تكاليف إستقرارهم كانت أكبر بكثير مما يتقاضاه الفلاح المصرى . فقد ذكر لنا بورنج فى تقريره أن الاسرة الواحدة مو هؤلاء السود كلفت المالك ما يقرب من عشرين جنيها فى العام الواحد (6) .

العبيد كمصدر دخل لحكومة محمد على :

أما الرقيق من « قبيل النسوة والصبيان » (7) والذين لا يصلحون للجندية والأشغال الأخرى فقد أمر محمد على منذ بداية عهده ببيعهم لتجار

(1) دفتر ديوان الخديوى بلا رقم ، ترجمة الوثيقة رقم 11 بتاريخ 21 جمادى الاولى سنة ١٢٤٥ .
(2) دفتر ٤١٣ صادر المعية السنية ، ترجمة المكاتبة رقم ٢٥٨٨ بتاريخ ٢٠ ربيع الاخر سنة ١٢٦٣ .
(3) دفتر ١٦ معيه تركى ، ترجمة الأمر رقم ١٥٤ بتاريخ ٢٤ جمادى الاولى سنة ١٢٣٩ .
(4) الوثيقة السابقة .
(5) دفتر ٢٥ معيه تركى ، ملخص الوثيقة التركية رقم ٢٤٤ بدون تاريخ .
(6) شكرى : بناء دولة ، ترجمة تقرير بورنج ص ٥٦٣ .
(7) دفتر رقم ٦ معيه تركى ، ترجمة المكاتبة التركية رقم ٦٤٧ ص ٢٥٦ بتاريخ ١٤ ذى القعدة سنة ١٢٣٦ .

الرقيق فى سنار وكردفان أو فى أسوان أو فى وكالة النخاسين بالقاهرة، حيث كانت تجارة الرقيق تجارة مشروعة منظمة لها دلالون سمح لهم « بأخذ سمسرة قدرها ثلاثة قروش عن كل رأس رقيق يباع هناك » (1) .

وقد إتبع هذه التوجيهات معظم المسئولين فى السودان ، فقد باع مثلا رستم بك حاكم كردفان جزءا من العبيد الذين أسرهم سنة ١٢٤٨ « ١٨٣٢ - ١٨٣٣ » فى إحدى غزواته لجبال الزنوج بالقرب من كردفان « بمبلغ ثمانية وعشرين ألف ريال فرنساوى قيدها إيرادا لخزينة كردفان (2) » .

ولكى نأخذ فكرة عن أسعار العبيد يجدر بى أن أذكر قائمة أسعارهم فى مايو سنة ١٨٣٧ كما أوردها بورنج فى تقريره نقلا عن الرحالة هولرويد

الغلام المراهق سليم البنية	من أربعمائة إلى خمسمائة قرشا .
الغلام العادى	من مائة وخمسين إلى ثلاثمائة قرشا .
الذكر من الدينكا	من سبعين إلى مائة قرشا .
الولد الحبشى	من ستمائة إلى ألف قرشا .
الفتاه فى سن المراهقة	من مائتين إلى أربعمائة قرشا .
المرأة من الدينكا	من مائة إلى مائتين قرشا .
البنت الحبشية	من ستمائة إلى ألف وخمسمائة قرشا (3) .

وقد كان ثمن الأطفال أقل من ثمن المراهقين، إلا اذا كانوا قد أمضوا مدة فى البلاد فتعلموا العربية أو الخدمة فى المنازل (4) . ولما كان الطلب على الغلمان المخصيين كبيرا ليعملوا خدما فى المنازل اذ أنه لا يخشى منهم إنتهاك شرف الحريم ، فقد كانت أسعارهم أعلى بكثير من الذين لم تمارس فيهم هذه العادة الوحشية، حتى أن سعر الشاب الخصى كاد أن « يساوى

(1) دفتر رقم ٧١ صادر المعية تركى - الوثيقة رقم ٣٨٢ بتاريخ ٢٧ ذو الحجة سنة ١٢٥١ .

(2) الوقائع المصرية ، العدد ٣٨٨ بتاريخ السبت ٣ محرم سنة ١٢٤٨ .

(3) شكرى : بناء دولة ، ترجمة تقرير بورنج ، ص ٥٥٧ - ٥٨ .

(4) المصدر السابق ، ص ٥٥٨ .

ضعف ما يساويه غير الخصي إذا كانا في سن واحدة وفي ظروف متشابهة([1]). وبلغ سعر الواحد منهم أحيانا . كما ذكر الرحالة بركهات ، ألف قرش في أسيوط ([2]) . وقد بوشر خصى العبيد في كردفان خاصة ، واهم الذين قاموا به أحد أمراء الفور الذي كان يبتر عضو التذكير من نحو مائة وخمسين غلاما سنويا . كما أن فرنسيا يدعى « مارتن » درج على خصى العبيد في دنقلا. والجدير بالذكر أنه كانت هناك بعض المساوئ التي قللت أثمان العبيد كالشخير بالليل والتبول في النوم وتحريق الأسنان ، وهي عادة بغيضة يعتقد أن المصاب بها لا يرجى أن يدين لسيده بمحبة وولاء ، وأي مرض لم يشف منه العبد تماما كالحكة والحمى ([3]) .

لم يعد الإتجار في الرقيق على حكومة الباشا بفائدة كبيرة ، إذ أن بعض العبيد المرسلين للبيع هلك في الطريق وهزل آخرون نتيجة للأمراض ومشاق الطريق فقلت أثمانهم . وقد ذكر بورنج في تقريره أن عدد العبيد المرسلين سنويا إلى مصر تراوح بين عشرة وإثنى عشر ألفا ، إلا أن ما وصل منهم لم يزد على الثلثين ([4]) . ثم أن الباشا قد إحتكر كل التجارة في السودان ما عدا تجارة الرقيق وبذلك كثر المشتغلون بها ([5]) فاكتظت أسواق القاهرة بالرقيق المصدر من السودان وبالتالي هبطت أسعارهم هبوطا غير عادي . وقد زعم أحد تجار الرقيق الذين عاصروا هذه التجارة في كردفان أن العبد يكلف التاجر حتى وصوله القاهرة ستة جنيهات إسترليني ، بينما يباع هناك بأقل من هذا المبلغ ([6]) . وعندما إشتد ضغط الدول الاوربية على محمد علي

---

(١) المصدر السابق ، ص ٥٧٥ .

(2) Burckhardt : Travels in Nubia, P. 295.

(٣) المصدر السابق ص ، ٣٠١ .

(٤) شكري : بناء دولة ، ترجمة تقرير بورنج ، ص ٥٨٦ .

(5) Shukry : Khedieve Ismail, P. 76.

(٦) شكري : بناء دولة ، ترجمة تقرير بورنج ، ٥٦٢ .

أصدر أوامره فى أغسطس سنة ١٨٤٣ إلى حكمدار السـودان بوقف بيع الرقيق قائلا : « ونحن نلفت نظركم إلى وجوب عدم بيع هؤلاء العبيد بأى حال من الأحـوال ، وإنما عليكم أن تعملوا على إعادتهم إلى أوطانهم لأن بيعهم يثير ثائرة الأفرنج ويجعلهم يحملون علينا فاياكم وبيعهم ، فلو فعلتم ذلك لما قبلنا منكم أى عذر . وإذا كنتم قد بعتم أحدهم قبل صدور أمرنا هذا عليكم أن تعملوا على إسترداده ولابد من تعيين عقوبة صارمة لكل من يقدم على بيع أى عبد منهم (١) .

لم يكتف محمد على ببيع الرقيق، بل أنه فرض رسوما على الرقيق المصدر إلى القاهرة دفعت عادة من قبل البائعين . وقد ذكر لنا بورنج فى فى تقريره نقلا عن الرحالة هو لرويد تفاصيل تلك الرسوم . فالرسوم المقررة على كردفان هى أربعة وخمسين قرشا على كل عبد سواء كان ذكراً أم انثى أسود اللون أم حبشيا ، وفى الخرطوم بلغت ستين قرشا على كل حسناء بارعة الجمال من الزنجيات ، وأربعة وخمسين قرشا على العاديين من العبيد (٢) . وإذا دفعت الرسوم فى كردفان فلن تدفع رسوما إضافية الا إذا سار العبد بطريق الخرطوم، والا إذا قام التجار بعمليات للبيع ، فعند ذلك تجبى منهم رسوم إضافية قدرها خمسة وعشرون قرشا عن كل عبد . كذلك اذا أرسل العبد من كردفان عن طريق الصحراء النوبية وكورسكو فلن تدفع عليهم رسوم مرة أخرى فى المتمة أو بربر الا اذا بيع جزء منهم، فعند ذلك يدفع التاجر خمسة وعشرين قرشا عن كل عبد (٣) . ودفع فى أبى حمد رسم قدره قرش ونصف على العبد الواحد فى حين أنه بلغ خمسة عشر قرشا فى دنقلة العرضى وأربعة وثلاثين قرشا فى دارو، واحد عشر قرشا ونصف فى مصر القديمة، بينما دفع التجار القادمون من دارفور على الراس الواحد رسما

---

(١) دفتر ٣٦٩ معيه تركى ، وثيقة رقم ٢٦٥ بتاريخ ٥ رجب سنة ١٢٥٩ .

(٢) شكرى : بناء دولة ، ترجمة تقرير بورنج ، ص ٥٦٠ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٥٦٠ .

قدره خمسة وعشرون قرشا في أسيوط ،واحد عشر قرشا ونصف في مصر القديمة . وقد قدر بورنج دخل الحكومة من الرسوم المقررة على الرقيق بعشرة إلى إثنى عشرة ألف جنية إسترليني سنويا (١) .

ضاق تجار الرقيق ذرعا بهذه الرسوم خاصة وإنهم أجبروا أحيانا على دفعها في أكثر من مركز واحد . فقد أدلى أحدهم في عريضة رفعها إلى محمـــد علي في سنة ١٢٥٨ « ١٨٤٢ — ١٨٤٣ » إنه بعـــد أن دفع خمسة وأربعين قرشا في كردفان عن كل رأس إجبر على دفع خمسة عشر قرشا أخرى في دنقلا ، كما « طولب بدفع الجمرك حين وصل إلى أسيوط » (٢) ولتفادى هذا العبء الثقيل حاول بعض التجار الهروب برقيقهم ، فمن رسالة من مدير الخرطوم نعرف أن جماعة منهم بينهم شخص يدعى الحاج علي ود ادريس فروا في سنة ١٢٦٣ « ١٨٤٦ — ١٨٤٧ » بخمس وسبعين عبدا دون أن يدفعوا عليهم رسوما ، كما هرب آخرون بمائة وسبعة رأس من الرقيق (٣) .

إعطاء العبيد للجنود مقابل مرتباتهم:

عندما طلب الدفتردار من الباشا في سنة ١٢٣٧ « ١٨٢١ — ١٨٢٢ » مده بكمية من الريالات الفرنسية ليدفع منها مرتبات الجنود ، إعتذر الباشا وأمر الدفتردار بأن يدفع لهم جزءا منها في شكل بفته القطن المستعملة كعملة في ذلك الاقليم ويسلموا بقيتها في مصر (٤) . وهكذا فقد كان من الصعب دفع مرتبات الجند نقدا لقلة العملات النقدية المتداولة في السودان .

---

(١) المصدر السابق ، ص ٥٥٥ .

(٢) محفظة رقم ١٢ أوامر للمعاونه تركي ، ملخص الوثيقة رقم ٥٠٠ بتاريخ ٢٨ شعبان سنة ١٢٥٨ .

(٣) دفتر ١٣٨ / ٣٤٥٩ مديرية بربر والجعليين (عربي) وارد جـ ١ ، وثيقة رقم ٧٠ ص ٨٣ بتاريخ ١٥ جماد الاول سنة ١٢٦٣ .

(٤) كل ثلاثة مقاطع من بفتة القطن تساوى ريالا فرنسيا . دفتر ١٠ معيه تركي ، ترجمة الوثيقة رقم ٥٠ بتاريخ ١٥ ربيع الاول سنة ١٢٣٧ .

بما أن تأخير دفع رواتب الجنود كان سببا لكثير من الثورات العسكرية (١)، فقد تحتم على حكومة الباشا أن تفكر فى طريقة أخرى لدفعها والا تعرض أمن البلاد وسلامتها لأخطار بالغة . لحل هذا الاشكال وافق محمد على على إعطاء الجنود « العبيد والجوارى بدلا من علوفتهم (٢) » . ولما زاد أحيانا ثمن العبد الواحد على إستحقاق الجندى ، فقد أعطى كل عدد من الجنود كمية من العبيد إقتسموها فيما بينهم . وبينما زعم الرحالة بالم أن الجنود فى كردفان أعطوا العبيد بدلا من رواتبهم بواقع ثلاثمائة قرش للرأس الواحد(٣)، ذكر الحكمدار خورشيد فى الجرنال الذى تحدث فيه عن الغزوة التى قادها لإخماد ثورة أهالى عطيش فى سنة ١٢٤٥ « ١٨٢٩ — ١٨٣٠ » أنه أعطى بعض الأسرى لجنود الشايقية بواقع خمسة عشر فرانسه لكل عبد(٤). وقد شاع إستعمال هذه الطريقة الجديدة لدفع مرتبات الجند، حتى إنها كثيرا ما تأخرت لحين عودة الغزوات من مناطق العبيد (٥) .

بالرغم من الفوائد التى عادت على الحكومة من هذه الطريقة الجديدة، إضطر محمد على تحت ضغط الدول الاوربية خاصة إنجلترا إلى إلغائها . فبعد حوار طويل مع كامبل قنصل إنجلترا والدكتور بورنج حول موضوع الرق وتجارة الرقيق ، أرسل محمد على رسالة إلى خورشيد باشا بتاريخ أول ديسمبر سنة ١٨٣٨ جاء فيها : « .... فإذا كان هذا الأمر صحيحا (٦)

---

(١) فى أوائل رجب سنة ١٢٣٧ (١٨٢١ — ١٨٢٢) ثار جنود أحد القواد فى السودان يدعى حسين اغا اللومكنجه مطالبين بمتأخرات رواتبهم . خوفا من إنتشار الفتنة أمر الدفتردار بصرف مائة قرش لكل واحد منهم، الا أنه ما أن هدأت الفتنة الا وقبض على الرؤوس التى حركتها واعدمهم رميا بالرصاص . دفتر ١٤ معيه تركى ، وثيقة رقم ٤٢١ بتاريخ ١٧ شوال سنة ١٢٣٧ .

(٢) دفتر ٢٢١ عابدين (قسم السودان) ترجمة المكاتبة رقم ١٨٤/١٧ مسلسل ١٥ أصلى ورقة ١٠٥ ص ٤ بتاريخ ٣ رمضان سنة ١٢٥٣ .

(3) Pallme : Travels in Kordofan, P. 342.

(٤) الوقائع المصرية ، العدد ١٥٥ بتاريخ الإثنين ٢٩ ذى الحجة سنة ١٢٤٥ .

(5) Shukry : Khedieve Ismail, P. 75.

(٦) يقصد دفع العبيد للجنود والموظفين بمقابل مرتباتهم .

فليكن معلوما لديكم أنه مخالف لرغباتى .... ولهذا آمركم أن تكفوا فى المستقبل فى إعطاء العبيد إلى الضباط والجنود وغيرهم من الموظفين لقاء مرتباتهم (1) » ولعل الباشا قد ضحى كل هذه التضحية حرصا منه على حسن العلاقات مع إنجلترا، فهو قد قال لخورشيد : « .. ولما كان واضحات الامور مبلغ إستهجان هذا النظام لدى الدول المشار اليها (2) فقد وجب الغاؤه مراعاة لما إستحكم بيننا وبين هذه الدولة من روابط الصداقة المتينة .. (3) » .

بعد الغاء هذا النظام، أمر محمد على بدفع تلك المرتبات نقدا، فإن لم يتوفر النقد اللازم فعلى الحكمداريين أن يبيعوا العبيد والجوارى حتى يتوفر المال ويصرفوا من ثمنها إستحقاقات الجنود والموظفين . بناء على هـــذه التوجيهات عقد إجتماع فى ٢٢ محرم سنة ١٢٥٤ « ١٧ أبريل سنة ١٨٣٨» بديوان الحكمدارية لمناقشة أحسن السبل لتصريف هؤلاء العبيد . فى هذا الإجتماع إقترح الشيخ عبد القادر ود الزين إقتراحا وافق عليه المجتمعون يقضى بتوزيع هؤلاء العبيد والجوارى « على المأموريات حسب طاقتها، أعنى أن يوزع على كل مأمورية بمقدار المال الميرى المطلوب منها . ثم أنها عندما تصل المأموريات لا يقتصر .. بيعها على الآهلين وحدهم، وإنما تباع بمعرفة المأمورين والمشائخ لكل من يطلبونها (4) » .

---

(1) دفتر ٢٢١ عابدين (قسم السودان)، ترجمة المكاتبة التركية رقم ١٨٤/١٧ مسلسل ١٥ أصلى ورقة ١٠٥ ص ٤ بتاريخ ٣ رمضان سنة ١٢٥٣ .
الا أن بالمرستون لاحظ فى رسالة أرسلها إلى كامبل بتاريخ ١٧ يناير سنة ١٨٣٨ أن « هذا الأمر ما يزال فى ظاهره يسمح للضباط فى جيش الباشا بأن يحشدوا العبيد أو يقنصوهم ويبعثوا بهم إلى القاهرة حيث يباعون ».
شكرى : بناء دولة، ترجمة تقرير بورنج، ص ٥٨٣ .

(2) يقصد إنجلترا .

(3) دفتر ٢٢١ عابدين (قسم السودان)، ترجمة المكاتبة التركية رقم ١٨٤/١٧ مسلسل ١٥ أصلى ورقة ١٠٥ ص ٤ بتاريخ ٣ رمضان سنة ١٢٥٣ .

(4) محفظة رقم ٢٦٥ عابدين ملف حكمدار السودان، ترجمة الوثيقة التركية رقم ١٠٦ بتاريخ ٢٧ محرم سنة ١٢٥٤ .

إستخدام الزنوج السودانيين لحفظ الأمن فى السودان وتأدية بعض المهام الأخرى :

عندما دخل الجيش الفاتح سنار وإستولى عليها فى الثانى عشر من شهر رمضان سنة ١٢٣٦ (١) « ١٣ يونيو سنة ١٨٢١ » واجهت الحكومة الجديدة مشكلة عاجلة وواجبا رئيسيا هو تدعيم أركان الحكم الجديد وحفظ الأمن فى ربوع البلاد . لم تكن هذه مهمة سهلة يسيرة فى قطر واسع الأرجاء مترامى الأطراف كالسودان إذ أنها تحتاج إلى ما لايقل عن عشرة آلاف من الجنود المشاة وتسعة آلاف من الخيالة(٢). وبجانب حفظ الأمن كان على هؤلاء الجنود تأدية بعض المهام الأخرى كصيد العبيد و « تحصيل الأموال الميرية » (٣) .

بما أن السودان «قطرا وخيم الهواء لا يصلح لإقامة الجندى التركى(٤)» وبما أن الأتراك ، كما قال محمد على لمتصرف جرجا « من بنى جنسنا وكان من الواجب أن يكونوا بحسب الحال والوقت بجانبنا على الدوام وأن يجمعوا ويصانوا من إرسالهم إلى الميادين البعيدة » (٥) ، فقد قرر محمد على إستبدالهم بالفلاحين المصريين وأمر بجمع أربعة آلاف منهم ليجندوا للخدمة بالسودان . وقد عمل عاهل مصر من جانبه على ترغيبهم للعمل فى السودان بتوفير كافة سبل الراحة لهم ومنحهم بعض الإمتيازات . فإذا مات أى فرد من الجنود وصف الضباط خلال عمله بالسودان تاركا وراءه أبناء دون السابعة يعطى لكل منهم « جراية (٦) جندى واحد وخمس بارات يوميا

---

(١) دفتر ٧ معيه تركى ، ترجمة الوثيقة رقم ٢٨٥ ص ١٦٩ بتاريخ ١٤ ذى القعدة سنة ١٢٣٦ .

(2) Hill : Egypt in the Sudan, P. 25.

(٣) دفتر رقم ٧٥٩ ديوان الخديوى ، وثيقة رقم ١٠٩ بتاريخ ٧ ذى الحجة سنة ١٢٤٥ .

(٤) دفتر ١٠ معيه تركى ، ترجمة الوثيقة رقم ١٤٥ بتاريخ ٢٥ جمادى الاولى سنة ١٢٣٧ .

(٥) الوثيقة السابقة .

(٦) جراية الجندى مقدار معلوم من الأكل يعطى له يوميا .

ويعطى لهم قماش لباسين وقميص يوميا (١) » ولعل الباشا قد خص أبناء العساكر وصف الضباط بهذه الإمتيازات بينما حرم منها أبناء الضباط لأنه ربما توقع أن أباء الأولين لن يتركوا وراءهم شيئا يذكر بينما سيترك الضباط لأبنائهم ورثة محترمة .

الا أن الجنود المصريين لم يصلحوا للعمل بالسودان لعدم رغبتهم مفارقة ديارهم وعشيرتهم ولاصابتهم بالأمراض المنتشرة بالسودان . فبسبب الدسنتاريا فقد إسماعيل فى سنة واحدة ، حسب تقدير أبراهيم باشا ، حوالى ثلث رجاله (٢) ، كما هلك بداء الملاريا فى سنة ١٨٢٤ وحدها ، كما ذكر (Hill) نقلا عن الرحالة (Brocchi) ، أكثر من ثلاثمائة رجل (٣) . لهذا كثيرا ما تمرد الجنود المصريين على قادتهم ورفضوا الذهاب معهم للسودان . فعندما عين عثمان بك حاكما على سنار وصدرت له الأوامر بالتوجه صوب مأموريته هرب بعض عساكره ، (٤) وكذلك رفض بعض جنود محو بك الذهاب معه إلى سنار عندما عين حاكما عليها ، حتى أن الباشا هددهم وأنذرهم بقوله : « وحيث أن عملكم هذا يستوجب العقاب فانى بحق رب البيت أعاقبكم عقابا شديدا واخنقكم كالكلاب ، فأعلموا ذلك وأعملوا بموجبه وأحذروا من البقاء دقيقة واحدة ، وأرحلوا حالا وأحذروا الندم (٥) » . ولما طال المقام فى سنار بجنود الحاج أمين اغا ، أحد القواد فى عهد خورشيد ، « سئموا وملوا وعمدوا إلى القيام بأعمال تتنافى مع الأصول (٦) » مما إضطر الحكومة لإستدعائهم وإبدالهم بجنود آخرين من مصر .

---

(١) دفتر رقم ٦١ معيه تركى ، ترجمة الوثيقة رقم ٩١ بتاريخ ١٨ ذى القعدة سنة ١٢٥٠ .
(2) Hill : Egypt in the Sudan,
(٣) نفس المصدر ، ص ٤٨ .
(٤) دفتر ١٦ معيه تركى ، ترجمة المكاتبة رقم ٢٣٧ بتاريخ ١٥ رمضان سنة ١٢٣٧ .
(٥) دفتر ٢٠ معيه تركى ، ترجمة المكاتبة رقم ١٠٨ بتاريخ ٩ محرم سنة ١٢٤١ .
(٦) دفتر ٥١ معيه تركى ، ملخص الوثيقة التركية رقم ١٠٨ بتاريخ ٩ محرم سنة ١٢٤١ .

وقد كانت سياسة الباشا تهدف إلى تقليل عدد الجنود الأتراك والمصريين العاملين فى السودان لاحتياجه لهم فى حروبه الخارجية خاصة بعد أن فشل فى تجنيد السود . فعندما طلب منه الدفتردار فى سنة ١٢٣٧ « ١٨٢١ — ١٨٢٢ » إمداده ببعض الجنود إعتذر لاحتياجه لهم آنذاك لحربه فى بلاد الموره وقال : « إننا نرى أن المصلحة لا توافق على إرسال جنود اليكم (١) » وقد زاد إحتياج الباشا لهم خاصة بعد أن دخل فى حروبه فى سوريا وبلاد الأناضول . ثم أن المرتبات والإمتيازات التى منحت لهؤلاء كلفت خزينة البلاد تكاليف باهظة فى الوقت الذى كانت سياسة محمد على تهدف إلى تخفيض المصروفات فى السودان حتى يستطيع أن يدير شئونه بامكانياته دون حاجة إلى العون من مصر (٢) .

ولحفظ الأمن فى البلاد وتأدية الخدمات الأخرى مع تخفيض التكاليف فى نفس الوقت ، إستخدم الباشا الجنود السودانيين بدلا من الأتـــراك والمصريين . فما ان هزم الشايقية وتشتت شملهم الا والفوا جيشا بزعامة رئيسهم الملك شاويش وإنضموا للجيش الفاتح لأنهم ربما كانوا أكثر القبائل السودانية العربية إستعدادا للعمل كجنود مرتزقة تحت أى مخدم (٣) ، ولأنهم رأوا فى إنضمامهم فرصة لمواصلة حياة الحرب والقتال التى ألفوها وإشتهروا بها طوال تاريخهم الطويل (٤) وتفرغوا لها بإستخدامهم النوبة والرقيق لفلاحة الأرض . ومنذ بداية الفتح أوكلت لهم بعض المهام فادوها على خير وجه . فقد تمكنت جماعة من فرسانهم بقيادة شاويش وبمساعدة أربعمائة فارس من المغاربة من القبض على حسن ود رجب قاتل الوزير الهمجى

---

(١) دفتر ١٠ معيه تركى ، ترجمة الوثيقة رقم ١١٧ بتاريخ ٢٢ رجب سنة ١٢٣٧ .

(2) Hill : Egypt in the Sudan, P. 39.

ذهب محمد على إلى أبعد من هذا اذ أنه أمل أن تدفع كل مديرية تكاليف ادارتها . إلا أن السودان كان لسنين عديدة عالة على الخزينة المصرية .

(3) MacMichael : A History of the Arabs, Vol. 1, P. 213.

(٤) محمد : السودان الشمالى ، ص ١٨٧ — ٨٨ .

محمد ود عدلان وتسليمه إلى سلطات الحكومة (1) ، كما تمكنت سرية أخرى من عساكر الشايقية من هزيمة المتمردين فى أبى شوكه وقتل حسن ود رجب فى ميدان المعركة (2) . ومع هذا التفانى والإخلاص فى خدمة الحكومة فقد كانت تكاليف خيالة الشايقية ، كما شهد بذلك الحكمدار خورشيد باشا . أقل بكثير من تكاليف غيرهم (3) .

تقديرا لهذه الخدمات الجليلة التى أداها فرسان الشايقية للحكومة ، أخذ خورشيد كل الأراضى بين الخرطوم وشندى من العبدلاب وغيرهم من القبائل المشتركة فى الثورة التى إندلعت ضد الحكومة على أثر مقتل إسماعيل وإستمرت للثلاث سنين بين عامى « ١٨٢٢ — ١٨٢٥ » وأعطاها للشايقية ليزرعوها دون أن يدفعوا عليها ضرائب للحكومة ، كما وافق على إعطائهم العلف لخيولهم (4) . ولتشجيعهم وترغيبهم فى الخدمة العسكرية أعفاهم محمد على من زراعة النيله (5) ، كما وافق على إقتراح خورشيد « بضم علاوة قدرها خمسة عشر قرشا إلى راتب كل من الفرسان الشايقية .. الذين يتقاضون ستين قرشا فى الشهر لتكون هذه العلاوة كمساعدة سنوية لهم فى إشتراء الجياد (6) » .

إلا أن مهمة حفظ الأمن فى السودان والدفاع عن حدوده مع تأدية الخدمات الميرية الأخرى كانت مهمة شاقة عسيرة لن يستطيع الشايقية وحدهم تأديتها مهما أخلصوا وتفانوا فى خدمة الحكومة . لذلك كان من الطبيعى

---

(1) شقير : ج ٣ ، ص ٩ .

(2) المصدر السابق ، ص ١٤ .

(3) دفتر ٧٨٥ ديوان الخديوى تركى ، ترجمة الوثيقة رقم ٨٢ بتاريخ ٢٠ صفر سنة ١٢٤٨

(4) Hill : On the Frontiers, P. 69.

عندما اعتلى أبو ودان منصب الحكمدارية الغى هذه الإمتيازات مما أثار غضب الشايقية فثاروا ضد الحكومة بقيادة أحد ملوكهم ، الملك حمد .

(5) دفتر رقم ٧٥٢ ديوان الخديوى ، وثيقة رقم ١٤١ بتاريخ ١٧ ربيع الاول سنة ١٢٤٤

(6) دفتر رقم ٧٨ معيه تركى ، ترجمة الأمر ٣٤٥ بتاريخ ١٢ ربيع الآخرة سنة ١٢٥٢ .

بعد أن فشل محمد على فى تجنيد السود فى جيشه أن يتجه إلى تكوين قوة منهم لتأدية تلك المهام العاجلة خاصة وأنهم ، كالشايقية ، لن يكلفوا الحكومة تكاليف باهظة .

عندما إكتمل تدريب أول ستة آلايات من الفلاحين المصريين والزنوج السودانيين فى أسوان أرسل الباشا فى ٥ يناير سنة ١٨٢٤ الآلاى الأول منها بقيادة عثمان بك إلى سنار وكردفان (١). إلا أن تجنيد الزنوج السودانيين للعمل بالسودان إتخذ شكلا جادا فى عهد الحكمدار خورشيد الذى قرر ، بعد مشورة الجناب العالى ، أن يكمل بهم النقص فى الاورط الموجودة فى سنار وكردفان (٢) . وعندما أسر رستم بك ، حاكم كردفان فى عهد حكمدارية خورشيد ، أكثر من ألف وخمسمائة من الزنوج فى غزوة أرسلها سنة ١٢٤٨ « ١٨٣٢ — ١٨٣٣ » إلى الجبال بالقرب من كردفان « أعطى منهم الاورطة التى فى سنار مائتين وثلاثين عبدا ، والأورطة التى فى كردفان ستين عبدا لأجل تكميل عدد ما نقص منهما (٣) » . لم يكتف خورشيد باكمال النقص فى الأورط المختلفة ، بل أنه عمل على تكوين الآيات كاملة من الزنوج السودانيين فأنشأ مثلا فى سنة ١٢٥١ «١٨٣٥ — ١٨٣٦» آلايا منهم فى سنار ، وطلب إمداده بالضباط اللازمين من مصر لتدريب أولئك الجنود (٤) . ومع أن معظم ضباط ذلك الجيش كانوا من الأتراك فقد ترقى بعض السودانيون إلى وظائف عليا كامباشي وشاويش (٥) .

وبجانب المجندين من السود فقد حرصت حكومة الباشا على جمع أعداد أخرى من الزنوج لتأدية بعض الأعمال الحكومية الأخرى فى السودان . فقد

(١) زكى : الجيش المصرى ، ص ٣٧ .

(٢) دفتر ٢٦ معيه تركى ، ملخص الوثيقة التركية رقم ٢١٢ بتاريخ ١٦ ربيع الثانى سنة ١٢٤٣ .

(٣) الوقائع المصرية ، العدد ٣٨٨ بتاريخ السبت ٣ محرم سنة ١٢٤٨ .

(٤) دفتر ٦١ معيه تركى ، ترجمة الأمر ١٩٣ بتاريخ ١٧ ربيع الأول سنة ١٢٥١ .

(5) Hill : Egypt in the Sudan, P. 46.

أوكلت لهم مهمة جمع الصمغ فى كردفان (١) ، كما إستخدم بعضهم فى أعمال الزراعة والصناعة فى السودان كصناعة المراكب . ولما كان التنقيب عن الذهب من أهم الأعمال التى أوكلت لهم ، فقد أصدر الباشا قبيل زيارته للسودان توجيهاته لحكمدار السودان باعداد عشرة آلاف عبد لإستخدامهم فى البحث والتنقيب عن الذهب فى جهات فازوغلى (٢) .

بالرغم من المهام الشاقة التى أوكلت لاولئك الزنوج فقد تعرضوا لمعاملة قاسية من جانب الحكومة وأجور زهيدة لا تتناسب مع تلك المجهودات العظيمة التى بذلوها . فقد رأى الرحالة هولورويد فى قرية بالقرب من سنار «من ثمانى عشرة إلى عشرين زوجا من العبيد يشتغلون بنشر الخشب ويتقاضون عشرة قروش فى الشهر ، أى شلنين بالاضافة إلى ما يصرف لهم من جراية (٣)» كما أن الأجر الذى تقاضاه الزنوج الذين أوكلت لهم مهمة جمع الصمغ فى كردفان لم يتعد خمسة عشر قرشا فقط عن القنطار الواحد (٤) . لذلك لم يكن غريبا أن يهمل هؤلاء الأعمال التى أوكلت لهم وأن يتحينوا الفرص للهروب . فقد هرب مثلا فى سنة ١٢٦١ « ١٨٤٥ » عدد منهم من خدمة الحكومة فى مديرية بربر والجعليين ، فصدرت الأوامر لحكام ومشائخ تلك المديرية للبحث عنهم وإعادتهم إلى أعمالهم (٥) .

لم يكتف هؤلاء بالفرار من الخدمة فحسب ، بل أنهم تمردوا أحيانا على سلطان الحكومة وعرضوا أمن البلاد لأخطار بالغة . ولعل ثورة الجنود السودانيين فى مدنى سنة ١٨٤٤ أكبر دليل على إستيائهم وعدم رغبتهم فى الأعمال التى أوكلت إليهم .

---

(1) Pallme : Travels in Kordofan, P. 41

(٢) دفتر رقم ٢٢٣ عابدين ، ترجمة الاراده الكريمة رقم ٩/٧ ورقه ٩٨ وجه ثانى بتاريخ ٢ ربيع أول سنة ١٢٥٤.

(٣) شكرى : بناء دولة ، ترجمة تقرير بورنج ، ص ٥٥٨ .

(4) Pallme : Travels in Kordofan, P. 289.

(٥) دفتر ٤ /٣٤٤٩ مديرية بربر والجعليين صادر ج ٢ ، وثيقة رقم ٣٢٣ بتاريخ ١٩ محرم سنة ١٢٦١ .

ثورة الجنود السودانيين في مدني سنة ١٨٤٤م:

في رد على سؤال من المنظم أحمد المتكلي عن أسباب هذه الثورة أجاب أحد قوادها « جوده » بقوله : « إنهم قاموا بهذا الإضطراب من جراء الجوع وكثرة الأشغال » (١) . ويبدو أنه قد أوكل لهؤلاء السود زيادة على أعمالهم العسكرية مهام ضخمة أخرى كجمع العاج والذرة والصمغ للحكومة ، بينما عوملوا معاملة سيئة حتى أن الواحد منهم كان يعاقب عقابا قاسيا لأقل خطأ يرتكبه (٢) . لكل هذا عم التذمر بين صفوفهم فعزموا على القيام بثورة تندلع « في يوم واحد من أربع جهات (٣) » هى الخرطوم وسنار والكاملين ومدنى (٤) .

الا أن العساكر السود في مدني ثاروا قبل الوقت المحدد ، ففى أثناء التدريب العسكرى في يوم الأحد ٢٧ صفر سنة ١٢٦٠ « ١٨ مارس سنة ١٨٤٤ »، وجه الضابط المسئول إهانة بالغة لأحد الجنود على أثر خطأ بسيط إرتكبه . لم يرض ذلك الجندى بالتحقير أمام زمـــلائه فهجم على الضابط وجرحه في عنقه،ومن ثم إختل النظام وعم الهرج بين صفوف العساكر البالغ عددهم نحو خمسمائة أو ستمائة « فهجموا على المدرب والضابط وجرحوا أحد الملازمين وجاويشين جروحا بالغة وقطعوا أحد البجاويشية أربا أربا »(٥) كما هجموا على مخزن الجبخانة وإستولوا على بعض الأسلحة، مما أشاع الذعر والفزع بين الأهالى فى المدينة . لم يكتف الثوار بالتمرد فى مدنى، بل أن بعضهم هرب إلى سنار لمواصلة الثورة هناك (٦) .

---

(١) محفظة ١٩ بحر برا ، ترجمة الوثيقة ٤٠ بتاريخ ٤ ربيع الثانى سنة ١٢٦٠ .

(2) Shukry : Khedieve Ismail, P. 68.

(٣) محفظة ١٩ بحر برا ، ترجمة الوثيقة رقم ٣٢ بتاريخ ٢٨ صفر سنة ١٢٦٠ .

(4) Shukry : Khedieve Ismail, P. 68.

(٥) محفظة ١٩ بحر برا ، ترجمة الوثيقة رقم ٣٢ بتاريخ ٢٨ صفر سنة ١٢٦٠ .

(٦) نفس الوثيقة .

غير أن إندلاع الثورة فى مدنى قبل الموعد المحدد أشاع الفوضى والبلبلة بين صفوف العساكر فى مديرية سنار مما مكن الحكومة من القضاء على الثورة. وخوفا من إندلاع الثورة فى الخرطوم كتب المنظم أحمد المنكلى إلى شيخ مشائخ مديرية الخرطوم وإلى عموم المشائخ والعمد رسائلا حذرهم فيها من تشجيع العساكر أو مساعدتهم على الثورة هناك بقوله : « إنه طالما هذا الإخلال بين العساكر وكثيرا ما إغتصب الجند وعمد بعضهم إلى الفرار فإذا ظهر منكم أى خيانة أو اغواء شيطانى وسلكتم الطريق الذى يمهد للعساكر العصيان والفرار فإنى ساسحقكم جميعا عند وصولى (١) » كما كتب محمد أمين مدير الخرطوم لجميع شيوخ العربان يأمرهم بالقاء القبض على الفارين من العساكر، وأرسل الشيخ إدريس ود عدلان خلف الهاربين لنفس الغرض (٢). وفى سنار تمكنت قوات الحكومة بقيادة البكباشى رستم أفندى من هزيمة الثوار فى معركة حاسمة قتل فيها دفع الله أحد زعمائهم البارزين، واعتقل جوده الذى ارسل إلى مدنى حيث اعدم هناك رميا بالرصاص (٣).

وهكذا فقد عزل الثوار فى مدنى مما سهل على الحكومة مهمة القضاء على البقية الباقية منهم وإعادة الأحوال إلى مجاريها الطبيعية. فعندما زار المنظم أحمد المنكلى مدنى لإستطلاع أحوالها بعد هذه الثورة (٤)، كانت الأحوال قد هدأت تماما فجمع الحكمدار ثمانية وعشرين من قادة تلك الثورة وأمر بعض زملائهم باطلاق الرصاص عليهم (٦).

---

(١) محفظة ١٩ بحر برا، ترجمة الوثيقة رقم ٣٦ بتاريخ ١٢ ربيع الاول سنة ١٢٦٠.

(٢) محفظة ١٩ بحر برا، ترجمة الوثيقة رقم ٣٢ بتاريخ ٣٨ صفر سنة ١٢٦٠.

(٣) محفظة ١٩ بحر برا، ترجمة الوثيقة رقم ٤٠ بتاريخ ٤ ربيع الثانى سنة ١٢٦٠.

(٤) جاء المنكلى إلى مدنى من بلاد التاكه حيث كان مشغولا باخماد ثورة قامت هناك ضد الحكومة. بعد ان كبد ثوار التاكه الحكومة بعض الخسائر وقتلوا بعض عساكرها، تمكن المنكلى من القضاء عليهم. محفظة ١٩ بحر برا، ترجمة الوثيقة رقم ٣٣ بتاريخ ٤ ربيع الأول سنة ١٢٦٠.

(٥) محفظة ١٩ بحرا برا، ترجمة الوثيقة رقم ٤٠ بتاريخ ٤ ربيع الثانى سنة ١٢٦٠.

الفصل الرابع

محمد على والتنقيب عن المعادن
فى السودان

محمد علي والتنقيب عن المعادن في السودان

كانت مصر عندما إستولى عليها محمد على سنة ١٨٠٥ من أفقر الولايات العثمانية إن لم تكن أفقرها جميعا . غير أن الباشا أمل فى تحسين أحوالها والنهوض بها فى كافة المجالات ، كما أراد تكوين أسطول بحرى وجيش نظامى لتثبيت أركان حكمه وتوسيع أملاكه . حقا أن احتكار التجارة والضرائب الباهظة المتعددة التى فرضت على المصريين درت على حكومة الباشا دخلا طيبا ، إلا أنه لم يكن كافيا لتنفيذ تلك المشاريع الضخمة . لهذا تحتم على الباشا أن يجد مصادر دخل جديدة فاتجه أولا نحو التنقيب عن المعادن فى مصر وخاصة فى الصحراء الشرقية .

تحدث المؤرخون العرب عن وجود الزمرد فى الجبل الكائن بالقرب من سهل « الشيخ شاذلى » الذى يقع فى الطريق من القصير فى صعيد مصر إلى سواكن . حاول الباشا الاستفادة من هذا المعدن المزعوم فأرسل فى سنة ١٨١٢ جماعة من جنوده مع تاجر إغريقى للبحث والتنقيب عنه ، إلا أنهم عادوا دون أن يحرزوا أى نجاح يذكر . وقد سمع الباشا أيضا بما رواه المؤرخون العرب بوجود الذهب فى جبل العلاقى فى بلاد النوبة ، فأرسل حسن بك حاكم اسنا مع جماعة من الجنود بصحبة أحد الاغريق للبحث عن ذلك المعدن هناك (١) .

وعندما سمع الباشا بوجود الكبريت الذى كان هاما لصناعة المهمات الحربية (٢) وغيره من المعادن بجهات البحر الأحمر أرسل كاشف اسنا للبحث عنها . كما أرسل بعد فترة وجيزة جماعة من الأوربيين لنفس الغرض. وفى أغسطس سنة ١٨١٦ أرسل الباشا ، بناء على إقتراح القنصل الفرنسى

(1) Douin : Historie pp. 69–70.

(٢) دفتر ٥ معيه تركى ، ترجمة الموسوم رقم ١١٠ بتاريخ ٤ جمادى الثانية سنة ١٢٣٥ .

دروفتي(Drevetti) ، المسيو فردريك كايو إلى جهات البحر الأحمر للبحث عن الكبريت وغيره من المعادن . وصل كايو إلى جبل زباره ، على بعد خمسة عشر ونصف ميلا من البحر الأحمر ، فوجد بعض قطع الزمرد متناثرة هنا وهناك في الجبل، ومن هناك سار قاصدا معدن الكبريت فوصل فى ١٠ نوفمبر سنة ١٨١٦ إلى منطقته التى عرفت عند عرب العبابده باسم « جبل الكبريت (١) » . عاد كايو إلى القاهرة فى ١٠ يناير سنة ١٨١٧ فأرسله الباشا مرة أخرى مصحوبا بجماعة من الاروام والارناوط إلى ذلك الجبل للإستمرار فى التنقيب عن المعادن هناك (٢) . غير ان كل هذه المحاولات لم تسفر عن نتيجة حاسمة إذ أن كل ما عاد به كايو إلى القاهرة عشرة أرطال من الزمرد سلمها هدية للباشا . لم يقتنع محمد على بهذه النتائج فأرسل فى سبتمبر سنة ١٨١٨ بلزونى (Belzoni) إلى جهات جبل زباره للتنقيب عن الزمرد وغيره من المعادن (٣) . ولكن كسلفه لم يصل إلى نتائج مشجعة فى هذا الشأن .

وفى سنة ١٨١٩ أرسل الباشا العالم الفرنسى إنثيلم سيف(Anthelme - Seve) إلى جهات إسوان للبحث عن الفحم هناك فلم يحصل على كميات كبيرة منه(٤). وفى نفس العام عين الباشا رستم أفندى ليكون ناظرا على المعادن الكائنة وراء محافظة القصير وأمره بالذهاب إلى الجبال الواقعة على حدود سواكن والتى أمل أن يحصل فيها على عشرة الآف قنطارا أو أكثر من الرصاص مع ألف قنطار من معدن الكحل (٥) . إلا أن كل المعدن المستخرج لم يتعد «أربعة ألاف قنطار وكسور (٦) » . وقد إهتم عاهل مصر بالبحث عن الكبريت الذى سمع بوجوده فى جبل الطور فأرسل فى سنة ١٨١٩ الإنجليزى « جوانى

(3) Douin : Historie, pp. 70–71.

(٢) شفيق : جـ ٣ ، ص ٣ .

(3) Douin : Historie, P. 72.

(٤) المصدر السابق ، ص ٧٣ .

(٥) دفتر ٥ معيه تركى ، ترجمة الأمر رقم ٤ بتاريخ ١٨ محرم سنة ١٢٣٥ .

(٦) دفتر ٥ معيه تركى ، ترجمة الأمر رقم ٤٧ بتاريخ ٨ ربيع الثانى سنة ١٢٣٥ .

إيشتين » لهذا الغرض ، كما أنه « حرر مرسوما على جميع الموظفين بشأن القيام بالمعاونة والمساعدة فى خصوص إخراج ما يوجد فى أى محل فى محلات الجبل المذكور » (١) .

وما أن وصلت الأنباء إلى الباشا زاعمة وجود المعادن المختلفة فى الجبال الواقعة بين النيل والبحر الأحمر خاصة جبل « زيته » حتى أرسل بعثة برئاسة المهندس فورنى (Forni)(٢) تكبدت مشاق مضنية فى سبيل البحث عن هذه المعادن ولكنها فشلت فى تحقيق هدفها . ولتوضيح تلك المجهودات الكبيرة التى بذلتها هذه البعثة يجدر بى أن أذكر ما قاله الجناب العالى فى رسالة إلى حسن باشا المأمور لجبل زيته : « .... إنه قد نسفت ثلاثة محلات من المحلات المناسبة فى جبل زيته بوضع الألغام فيها، ولكن حيث نبعت المياه منها تركت على حالها وأن موضعا آخر على وشك أن ينسف بوضع اللغم فيه .. (٣) »

وبجانب هذه البعثات التى أرسلت للبحث عن المعادن فى مصر وفى الصحراء الشرقية فقد أرسل الباشا بعثتين إلى جزيرة طورسينا وبلاد الشام كلفتا خزينة البلاد مبالغ طائلة وفشلتا فى تحقيق أى نتائج تذكر (٤) .

بعد أن منيت كل هذه المحاولات بالفشل التام كان على الباشا أن يفكر ويبحث عن مصدر جديد للمال لتنفيذ تلك المشاريع الضخمة التى شغلت باله وتفكيره . وقد كان من الطبيعى أن يرسل محمد على جيوشه لفتح السودان بعد أن سمع أن «جنوب السودان رماله الذهب»، وأن فيه من الخيرات مالو استغل لساعد على إيجاد المال اللازم (٥) » . وفى الواقع أن الباشا وحكومته

---

(١) دفتر ٥ معيه تركى ، ترجمة المرسوم رقم ١١٠ بتاريخ ١٤ جمادى الثانى سنة ١٢٣٥ .

(٢) صرح محمد على « لفورنى » بالذهاب إلى ميلانو « للبحث عن خمسة أو ستة أنفار أساتذة يكونون ملمين بعلم المعادن ويفهمون طبائع الأشياء ويحضرهم معه » .
دفتر ٦ معيه تركى ، ترجمة المكاتبة بلا رقم وبتاريخ أول صفر سنة ١٢٣٦ .

(٣) دفتر ٧ معيه تركى ، ترجمة المكاتبة رقم ٩ ص ٥ بتاريخ ١٤ محرم سنة ١٢٣٦ .

(٤) سامار كو ، أنجلو ، تعريب فوزى ، طه : رحلة محمد على للسودان ، ص ٥ .

(٥) شيكه : السودان فى قرن ، ص ١٢ .
منذ أزمان بعيدة تحدث المؤرخون أمثال Heroditous Strabo, Diodorus, عن توفر الذهب والمعادن الأخرى كالفضة والحديد بكميات كبيرة فى جزيرة مروى .
Hoskins : Travels in Ethopia, pp. 325–26.

قد بذلا مجهودات ضخمة للبحث والتنقيب عن الذهب وغيره من المعادن في مناطق السودان المختلفة التى سيطر عليها جيش الفتح .

المحاولات التى قام بها الباشا وحكومته للتنقيب عن الذهب فى السودان :

إهتم الباشا بالبحث عن الذهب فى منطقتين رئيسيتين هما حول جهات فازوغلى وفى جبل شيبون الواقع جنوبى كردفان . ومن الظاهر أن معظم مجهودات محمد على ورجال حكومته تركزت حول التنقيب عن هذا المعدن النفيس فى جهات فازوغلى . فما أن تمت السيطرة على سنار حتى ذهب إسماعيل باشا إلى فازوغلى التى وصلها فى ٧ ربيع الآخر سنة ١٢٣٧ «١يناير سنة ١٨٢٢»، وبقى هناك حوالى ثلاث عشر يوما، سار بعدها إلى جهات القماميل فى منطقة جبال بنى شنقول، مصطحبا معه المعدّن المسمى «فليود» وبعض اللغمجيه بهدف مشاهدة مناجم الذهب التى سمع بوجودها هناك . شاهد إسماعيل « الآبار (١) » التى حفرها الأهالى هناك وملأ جوربين من ترابها وأرسله إلى الباشا فى مصر لمعرفة نوع الذهب الذى يحتويانه ودرجة جودته .

وعندما وصل هذان الجوربان إلى الباشا قويت آماله فى الحصول على الذهب فى تلك المنطقة فقرر استدعاء أوربى عاقل نابغ « فى العلم ملما بطبائع المعادن (٢) » وارساله بعد فصل الخريف مباشرة إلى اسماعيل ليطوف معه تلك البلاد ويتردد ، كما قال الباشا فى رسالة لإبنه « على المواقع التى اطلعتم عليها وأحاط بها علمكم ،فيعاين المواضع التى يرجى وجود المعدن فيها ويتبين من حقيقة الحال بمقتضى صنعته . ثم يقر ما وجد إن وجد شيئا،وما لم يجده فيقول الكلمة القاطعة .... » (٣) . إلا أن إسماعيل إضطر للعودة إلى سنار

(١) دفتر ١٠ معيه تركى ، ترجمة المكاتبة رقم ٢٤٠ بتاريخ ٧ شعبان سنة ١٢٣٧ . قصد بالا بار ، كما قال مترجم هذه الوثيقة ، مناجم الذهب هناك .

(٢) دفتر ١٠ معيه تركى ، ترجمة المكاتبة رقم ٢٤٥ بتاريخ ٧ شعبان سنة ١٢٣٧ .

(٣) الوثيقة السابقة .

على أثر الأنباء التي وصلته باندلاع الثورة هناك إحتجاجا على الضرائب الباهظة التي فرضها حنا الطويل على الأهالى فوصلها فى ٤ يناير سنة ١٨٢٣ .

لم يؤد إندلاع الثورة السودانية على أثر مقتل إسماعيل فى ١٠ أكتوبر ١٨٢٤ إلى زعزعة سلطان الحكومة فحسب، بل أنه هدد سلامة الطريق إلى مناطق الذهب فى جهات فازوغلى وغيرها . وللإنتقام من قتلة إسماعيل ولتثبيت سلطان الحكومة وتأمين الطرق إلى مناطق الذهب أرسلت حملات الدفتردار الإنتقامية التى إستطاعت أن تخمد الثورة فى البلاد وتعيد الأمن والنظام فى ربوعها . وما أن أخمدت تلك الثورة إلا وأرسل الباشا فى سنة ١٨٢٥ المستر « بروكى » مع درويش اغا ، المشرف أو الناظر على المعادن فى فازوغلى (١) ، للبحث والتنقيب عن المعادن عامة والذهب خاصة فى منطقة فازوغلى . إتجه بروكى نحو مكان مأموريته بعد وفاة مأمور سنار عثمان بك جركس « ١٨٢٤ — ١٨٢٦ » الا أن خلفه محو بك لم تهتم بأمره إلى أن توفى بالخرطوم سنة ١٨٢٩ قبل أن ينجز المهمة التى أوكلت اليه (٢) .

وقد إهتم الحكمدار خورشيد باشا « ١٨٢٦ — ١٨٣٨ » بأمر الذهب إهتماما بالغا، ففى مجلس المشورة ، الذى عقد فى ١٢ أغسطس سنة ١٨٢٦ فور وصوله إلى سنار مع مأمورى المصالح لمناقشة شئون البلاد ، تعهد أن يذهب بنفسه أو يرسل عيسى اغا قبل حلول موسم الأمطار إلى جبال بنى شنقول للبحث والتنقيب عن الذهب هناك (٣) . ويبدو أن خورشيد قد إضطر لإلغاء هذه الرحلة بعد الإشاعات التى وصلته زاعمة أن الأحباش دبروا مؤامره بالإتفاق مع بعض القبائل السودانية والفارين من جبروت حكومة محمد على هدفت إلى طرد الأتراك من الجزيرة وسنار وإعادة السلطة هناك لأهل البلاد الذين حكموا تلك الجهات من قبل (٤). وقد قيل إن الخطة التى اعدت لتنفيذ

---

(١) شكرى : الحكم المصرى، ص ٣٣٤ .

(٢) ساماركو : رحلة محمد على، ص ٥ .

(٣) شكرى : الحكم المصرى ، ص ٣٣٤ .

(٤) محفظة ٢٦٢ عابدين ، ترجمة الوثيقة بدون رقم بتاريخ ٢٣ صفر سنة ١٢٥٣ .

هذه المؤامرة هى أن تنزل القبائل السودانية من الجبال وتتظاهـــر بالولاء للحكومة إلى أن تجد فرصة مناسبة تنقلب فيها عليها . إنزعـــج خورشـــيد لهذه الأنباء حتى أنه إضطر لتأجيل سفره الذى سمح له به الباشا إلى القاهرة للعلاج من علة الناسور ، كما إتصل بمحمد على الذى أرسل له فرقة من الجنود المصريين بقيادة أحمد أبو ودان لتعمل جنبا إلى جنب مع قوات الحكومة لإخماد أى فتنة . غير أن القبائل السودانية لم تنزل من الجبال إذ ربما كانت هذه الأنباء إشاعات مبالغاً فيها أو ربما خافت القبائل بعد أن سمعت باستعدادات الحكومة الضخمة (١) .

ولكى لا يتسرب الذهب السنارى إلى جهات أخرى ، إقترح خورشيد على الجناب العالى أن يرسل اليه ألفى كيس (٢) لشراء ذلك الذهب بواقع ثلاثمائة وخمسين قرشا للوقية الواحدة (٣) . حلل ذلك الذهب فى دار سك النقود فى مصر فاتضح أن كل إثنين وعشرين درهما وربع منه تخرج تسعة دراهم ونصف من الذهب الصافى (٤) . عند ئذ قبل الباشا إقتراح الحكمدار إلا أنه أرسل له ألف كيس فقط « نظرا لما تقتضى به الضرورة الآن من عدم إرسال ذلك المبلغ كله (٥) » .

ولإختبار معادن الذهب فى جهات فازوغلى وبنى شنقول إختيارا علميا دقيقا ، أرسل الباشا فى سنة ١٨٣٧ بعثتين برئاسة مصطفى بك مأمور جزيرة سنار مع ألف عسكرى لحراستهم فى الطريق وأثناء عمليات البحث عن الذهب هناك (٦) : الأولى بقيادة المهندس روسيجير (Russegger) والثانية

---

(١) شبيكة : السودان فى قرن ، ص ٤٢ — ٤٣ .

(٢) الكيس يساوى خمسة الا ف قرش .

(٣) دفتر رقم ٦٣ معيه تركى ، ترجمة الوثيقة ٢٣٩ بتاريخ ٦ رمضان سنة ١٢٥١ .

(٤) الوثيقة السابقة .

(٥) دفتر ٦٧ معيه تركى ، ترجمة الأمر ٥٨٨ بتاريخ ٢٦ رمضان سنة ١٢٥١ .

(٦) الطهطاوى : مناهج الا لباب ، ص ٢٥١ .

بقيادة مهندسه الخـــاص بوريانى (Piedmontese Boreani) ([1]) . لم يتمكن الحكمدار خورشيد من الذهاب مع هاتين البعثتين لإنشغاله آنذاك بإخماد الفتن والمؤامرت ضد الحكومة فى شرق السودان .

غادرت البعثتان سنار فى غرة محرم سنة ١٢٥٣ ([2]) « ٧ أبريل سنة ١٨٣٧ » وعادتا إلى الخرطوم بعد مضى ستة أشهر ([3]) قضاها المهندسون والخبراء فى البحث عن الذهب فى جهات متعددة فى تلك المناطق النائية مثل خور تمت ، على مسافة ساعة ونصف من جبل فازوغلى وخور بابه وخور الطريق وخور أبو حجار وجبل قسان وجبل غبيش فى جهات بنى شنقول وجهات قماميل وجبل فاز نقرو وجبل قاسمة وجبل فادور وغيرها ([4]). والجدير بالذكر أن خلافا حادا نشب بين البعثتين مما عطل العمل وإضطر الباشا فى النهاية إلى إصدار أوامره بأن تعمل كل واحدة منهما على حدة منفصلة إنفصالا تاما عن الاخرى ([5]) .

وبعد إختبار وفحص بعض القطع الذهبية التى عثرت عليها البعثتان فى طريق عودتهما إلى الخرطوم ، رفع كل من روسيجير وبوريانى تقريرا للباشا عن نتائج إبحاثه وملاحظاته . ففى التقرير الذى رفعه بوريانى أوضح عدم جدوى البحث عن الذهب فى تلك المناطق بقوله : « إن التبر المستخرج من الستة عشر قنطارا من التراب الذى أخذ من موضع المعدن الكائن بجبل فازنقروا وغربل وغسل بمعرفة خمسة غشر جنديا فى ثلاث ساعات يكون بصفة معدل ثمانية قناطير وعمل سبعة أنفار والنصف فى ثلاث ساعات

---

(1) Hill : Egypt in the Sudan, P. 66.

(٢) محفظة رقم ٢٦٥ عابدين ، ملف حكمدار السودان ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٨٨ بتاريخ ٢٢ محرم سنة ١٢٥٤ .

(٣) الطهطاوى : مناهج الألباب ، ص ٢٥٤ .

(٤) محفظة رقم ٢٦٥ عابدين ، ملف حكمدار السودان ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٨٨ بتاريخ ٢٢ محرم سنة ١٢٥٤ .

(5) Hill : Egypt in the Sudan, P. 66.

وصافى الذهب السنارى الحاصل من هذه القناطير الثمانية بعد الغسل والتصفية والإذابة خمس عشرة حبه بحساب القيراط والوقية والحبة الجارية الإستعمال فى الوزن القديم وباعتبار الوزن السودانى. وعليه فيكون ما يتجه النفر الواحد من سكان البلد الموجودين فى يوم واحد بشرط أن يعمل عشر ساعات فيه من الذهب سته حبات وثلثى الحبه . وبما أن وقية الذهب تساوى ثلاثمائة وخمسين قرشا فى بلاد السودان فيكون ثمن الحبه من الذهب ٤٣ باره و ٧ مانقر ، وعليه فيكون قيمة ستة حبات وثلث الحبه الحاصلة من المعدل المذكور ٧ قروش و١١ باره (١) و٦ مانقر وثلث المانقر ،وعلى هذا الحساب إذا اشتغل شخص فى إستخراج الذهب فيساوى قيمة ما يستخرج فى اليوم ٧ قروش و ١١ باره و ٦ مانقر وثلث المانقر (٢) » . أما عن الذهب فى جهات قماميل فقد قال بوريانى عنه : « إن التبر المستخرج من ستة عشر قنطارا من التراب الذى أخذ من موضع كائن بجبل قشيش من جبال قماميل وغربل وغسل بمعرفة عشرين جنديا فى ثلاث ساعات يكون بصفة معدل ثمانية قناطير من التراب وعمل عشر جنود فى ثلاث ساعات وصافى الذهب السنارى المستخرج من هذه القناطير الثمانية بعد الغسل والتصفية والإذابة ثلاثة عشر حبه بحساب القيراط والوقية والحبه الجارية الإستعمال فى الوزن القديم وباعتبار الوزن السودانى . وعليه فيكون ما يتجه النفر الواحد من أهالى البلد الموجودين فى اليوم الواحد بشرط أن يعمل عشر ساعات فيه من الذهب أربع حبات وثلث الحبه. وبما أن وقية الذهب تساوى ثلثمائة وخمسين قرشا فى بلاد السودان فيكون ثمن الحبة من الذهب ٤٣ باره و ٧ مانقر ، وعليه فيكون ثمن الأربع حبات والثلث الظاهرة من المعدل أربعة قروش و ٢٩ باره و$\frac{1}{2}$٥ مانقر وثلث المانقر . وعلى هذا الحساب فإذا إشتغل شخص فى عملية

(١) الباره اسم تركى أطلق على العملة المصرية « نصف فضه » وتساوى $\frac{1}{4}$ من القرش .
شكرى : بناء دولة ، ص ١٨٤ .

(٢) محفظة رقم ٢٦٥ عابدين ، ملف حكمدار السودان : ترجمة الوثيقة التركية رقم ٨٨ بتاريخ ٢٢ محرم سنة ١٢٥٤ .

إستخراج الذهب لنتج فى اليوم الواحد من الذهب السنارى ما يساوى أربعة قروش و ٢٩ باره و٥½ مانقر وثلث المانقر (١) » . وأما المهندس روسيجير فقد كان متفائلا فى تقريره إذ أنه أكد « أن الشخص الواحد ينظف كل يوم ثلثمائة وخمسين أقه من الرمل،فيتحصل منها ذهب قيمته من ثمانين قرشا إلى إلى مائة قرش (٢) » . وقد زعم رفاعه بك الطهطاوى أن الباشا قد سر من تقرير روسيجير بينما غضب غاية الغضب على بوريانى لتقريره المتشائم . ورغم أن بوريانى ما زال مقتنعاً بعدم جدوى البحث عن الذهب فقد إضطر — تفاديا لغضب الباشا — إلى تغيير رأيه زاعما أن طريقة التحليل بالزيبق التى إتبعها روسيجير أحدث طريقة،وبالتالى فإن نتائجه أحسن وأكثر دقة ، كما إدعى أن العامل الواحد فى التنقيب عن الذهب يمكنه أن يتحصل على ما قيمته أربعين قرشا يوميا (٣) .

لا شك أن الاختلاف بين التقريرين إختلاف كبير واضح يبعث على الشك وعدم الطمأنينة، ولذلك قرر الباشا أن يذهب بنفسه إلى جهات فازوغلى وبنى شنقول لمعرفة حقيقة المعادن هناك . قبل التوجه فى هذه الرحلة المشهورة إستدعى محمد على إلى القاهرة مصطفى بك المشرف على شئون المعدن هناك والحكمدار خورشيد باشا (٤) ، كما أنه أمر بوريانى — الذى شغل آنذاك منصب « مدير دار السلاح » ببولاق — بالعودة فورا إلى مناجم الذهب والا فصله من خدمة الحكومة (٥) .

أما العمال اللازمون للتنقيب عن الذهب خلال بقاء الباشا فى تلك الجهات ، فقد صدرت الأوامر للحكمدار أبو ودان باعداد عشرة آلاف

---

(١) الوثيقة السابقة .
(٢) الطهطاوى : مناهج الألباب ، ص ٢٥٥ .
(٣) المصدر السابق ، ص ٢٥٥ — ٥٦ .
(٤) شبيكه : السودان فى قرن ، ص ٤٥ .
(5) Hill : Egypt in the Sudan, P. 67.

منهم عن طريق الغزو أو الشراء مع المؤونة اللازمة لهم(١). غير أن أبي ودان أوضح لمحمد على صعوبة الحصول على هذا العدد الضخم من العمال لعدم توفره بالشراء، إذ أنه لا يوجد عند الأهالى من جهة، ولأن الحصول عليه يحتاج إلى مقدار كبير من النقود من جهة أخرى . لذلك إقترح إستخدام عمال بالاجره للتنقيب عن الذهب، خاصة وأن الشيخ إدريس ، من كبار المشائخ القاطنين بأطراف معدن الذهب ، تعهد بتجهيز أربعة آلاف منهم ، كما أنه وعد بالإتصال بسكان جبلى بنى شنقول والقماميل الخارجين عن سلطان الحكومة وإقناعهم — لما بينه وبينهم من صداقة — للدخول فى طاعة الحكومة والعمل فى التنقيب عن الذهب مقابل إجرة ترتب لهم (٢) .

ولإعداد المال اللازم لتغطية تكاليف هذه الرحلة صدرت الأوامر لبعض مديرى المديريات المصرية باعداد كمية من المال وتسليمها للباشا عند مروره بمديرياتهم فى طريقه إلى السودان . فقد طلب مثلا من مديرى النصف الأول والثانى والوسطى باعداد « ألفين وخمسمائة كيس أو أكثر (٣) » ، كما كلف مدير أسيوط باعداد « خمسة آلاف كيس من النقود أو أكثر (٤) »

---

(١) دفتر رقم ٢٢٣ عابدين ، ترجمة الارادة الكريمة رقم $\frac{٩}{٧}$ ورقة ٩٨ وجه ثانى بتاريخ ٢ ربيع الاخر سنة ١٢٥٤ .

(٢) محفظه رقم ٢٦٥ عابدين ، ترجمة الوثيقة رقم $\frac{٤٤}{١٩٩}$ أصلى بتاريخ ٢٥ جمادى الاولى ١٢٥٤ .

(٣) دفتر ١٦١ ديوان شورى المعاونه ، وثيقة رقم ٦٣٠ بتاريخ ٢٣ رجب سنة ١٢٥٤ .

(٤) دفتر ١٦١ ديوان شورى المعاونه ، وثيقة رقم ٦٣١ بتاريخ ٢٣ رجب سنة ١٢٥٤ .

رحـــلة محمـد على للسودان

١٥ أكتوبر سنة ١٨٣٨ ـ ١٥ مارس سنة ١٨٣٩

بعد أن تمت كافة الإستعدادات غادر الجناب العالى القاهرة فى ٢٩ رجب سنة ١٢٥٤ (١) « ١٥ أكتوبر سنة ١٨٣٨ » متوجها جنوبا نحو السودان بعد أن ترك عباس باشا بن طوسن لينوب عنه فى إدارة مصر (٢) . وقد تألفت حاشية الباشا فى هذه الرحلة من أمير اللواء يعقوب بك والأميرلاى حيطانى بك طبيب الباشا الخاص والقائمقام عارف بك مع تسعة من الضباط من مختلف الرتب وقنصل اليونان العام « توسيجه » (٣) ، كما صحبه أيضاً ثلاثة من المهندسين الفرنسيين دارنو(D'Arnaud)ولامبرت(Lambert)وليفبره (Lefebre) (٤) وكذلك الصيدلى أحمد يوسف الجشنجى (٥) .

لم يكن مشروع محمد على للقيام بهـــذه الرحلة ، كما قال أنجلو سامار كو ، « قد نبت فجأة ،ولم يكن أبن يومه ،بل أن فكرة القيام برحلةإلى السودان كانت تجول فى خاطره من وقت بعيد » (٦) . ولكن ماهى الأسباب التى دفعته إلى إهمال نصيحة الكثير من أصدقائه والإصرار على زيارة السودان فى ذلك الوقت الذى ضعف فيه وتقدمت سنه ؟ للإجابة على هذا السؤال لا بد لنا ان نتعرض لإحوال مصر الداخلية ولعلاقاتها الخارجية آنذاك .

تدهور الموقف الإقتصادى آنذاك فى مصر تدهورا خطيرا ، فالأموال

---

(١) شكرى: م ك أ ، ٨ ، ١٩٤٦ ، « رحلة محمد على » ، ص ١٤٦ .

(٢) شبيكه : السودان فى قرن ، ص ٤٥ .

(٣) شكرى : م ك أ ، ٨ ، ١٩٤٦ ، « رحلة محمد على » ، ص ٤٦ .

(٤) المسيو ليفبره مهندس مشهور ببراعته فى علم المعادن ، وقد سبق ان استخدمه محمد على فى مدرسة المعادن المصرية . الطهطاوى : مناهج الا لباب ، ص ٢٥٦ .

(٥) شكرى : م ك أ ، ٨ ، ١٩٤٦ ، ص ٣٩ .

(٦) سامار كو : رحلة محمد على ، ص ١ ـ ٢ .

الموجودة فى سنة ١٨٣٨ فى خزينة الدولة لم تكف لصرف مرتبات الموظفين ورجال الجيش والبحرية (١) ، بل أنه حتى شهر سبتمبر سنة ١٨٣٨ كانت مرتبات رجال الجيش والبحرية قد تأخرت لمدة خمسة عشر شهرا (٢) . فى هذه الظروف المالية السيئة كان على الباشا أن يدفع « ويركو الاستانة » (٣) عدا الهدايا التى كان عليه أن يرسلها للسلطان العثمانى ورجاله فى الآستانه ،أو عند حضورهم لمصر فى مهام رسمية أو بغرض السياحة. لتغطية ذلك العجز المالى الخطير فى خزينة البلاد وللقيام بهذه الإلتزامات الضخمة مع الإستمرار فى حركة التقدم والإصلاح فى مصر ، كان الباشا فى حاجة ملحة للمال .

أما فى المجال الخارجى فبالرغم من أن محمد على إستطاع أن ينفرد بحكم مصر ويستولى على السلطة الفعلية فيها ، إلا أنه ما زال يحكم بأسم السلطان العثمانى . ويبدو أن الباشا لم يقتنع بهذه التبعية وأراد إقامة حكم مستقل إستقلالا تاما عن الإمبراطورية العثمانية . لتحقيق هذا الهدف كان لا بد له أن يتمرد على السلطان ويدخل معه فى صراع حاد ومنازعات عنيفة . وفى الواقع ان بوادر هذا التمرد قد ظهرت بعد واقعة نافارين الشهيرة سنة ١٨٢٧ (٤) . فبينما أصرت تركيا على رفض مطالب الدول المتحالفة ،

---

(١) المصدر السابق ، ص ٥ .

(2) Shukry : Khedieve Ismail, pp. 81-82.

(٣) هو المبلغ الذى كان على الحكومة المصرية أن تدفعه للسلطان العثمانى. وقد قدر هذا المبلغ فى مايو١٨٤١ بثمانية ألف كيس اى ٤٠٠ الف جنيه. شكرى،بناء دولة محمد على،ص ٧٩.

(٤) بعد أن فشلت كل الحملات التى أرسلها السلطان العثمانى لإخماد الثورة التى قام بها اليونانيون لتحرير بلادهم من حكم الأتراك وتحقيق إستقلالهم القومى ، لجأ السلطان إلى محمد على وأمره بارسال جيش لإخماد تلك الثورة . الا أنه نتيجة لتدخل الدول الأوربيه لمساعدة الثوار ، إنتهت تلك الحرب بهزيمة فادحة لمحمد على ، فقد فيها اسطوله فى معركة نافارين الشهيرة. هذا وقد رأى عاهل مصر أن الوقت مناسب للتمرد على السلطان فقوة تركيا العسكرية ضعفت آنذاك لأن السلطان محمود الثانى بدأ فى الخلاص من الجنود الانكشاريين بهدف تكوين جيش نظامى حديث ، كما أن كل من إنجلترا وفرنسا كانتا حريصتين على التعاون مع محمد على لتحقيق أغراضهما فى مصر .

Marlowe : Anglo-Egyptian Relations, P. 39.

لم يتابع محمد على السلطان فى عناده ورأى أن مواصلة القتال فى تلك الحرب لن يفيد مصر ، بل سيعود عليها بالخسائر الفادحة ، خاصة بعد أن فقدت أسطولها « وإنقطعت مواصلاتها البحرية مع جيوشها فى بلاد اليونان (١) » . لذلك إتفق مع الحلفاء ووافق على وقف القتال وجلاء الجيش المصرى من بلاد الموره .

وقد إشتد الصراع بين السلطان ووالى مصر عندما أرسل الأخير جيشا بقيادة إبنه أبراهيم لغرو سوريا . ومن الظاهر ان الباشا لم يهدف بهذه الحملة الاستيلاء على سوريا فحسب بل أنه ربما أراد أن يجعلها منفذا لاحتلال القسطنطينيه نفسها (٢) وبالتالى الاستيلاء على الامبراطورية العثمانية كلها . لذلك فإن الجيوش المصرية لم تكتف باحتلال سوريا ، بل أنها زحفت نحو آسيا الصغرى ، فهزمت الأتراك فى قونيه ، وتقدمت غربا حتى وصلت بروسا (٣) . وبذلك أصبحت القسطنطينية نفسها فى خطر داهم (٤) . وخوفا من تهديد سلامة تركيا وإثارة المسألة التركية التى ربما أدت إلى تهديد السلام فى أوربا نفسها تدخلت الدول الأوربية لوقف تقدم الجيوش المصرية وأجبرت الباشا فى سنة ١٨٣٣ على قبول صلح كوتاهيه الذى تخلى بمقتضاه « السلطان لمحمد على عن سوريا وإقليم ادرنة مع تثبيته على مصر وجزيرة كريت والحجاز مقابل أن يجلو الجيش المصرى عن باقى بلاد الأناضول (٥) » .

تجدد الصراع بين الطرفين مرة أخرى فى سنة ١٨٣٨ عندما رفض محمد على ، بتحريض من فرنسا ، دفع الجزية المفروضة على الولايات التى

---

(١) الرافعى ، جـ ٣ ، ص ٢٢٥ .

(٢) مرى : صفحة من تاريخ ، ص ٥١ .

(3) Marlowe : Anglo-Egyptian Relations, P. 40.

(٤) اغتر أبراهيم باشا بالانتصارات التى حققها فاقترح مهاجمة القسطنطينيه نفسها ليفرض على السلطان الاعتراف باستقلال مصر . الا أن محمد على خشى تدخل الدول الأوربية ، كما تدخلت من قبل فى حرب الموره ، فآثر التريث وأمر إبنه بان لا يهاجم القسطنطينيه.

(٥) الرافعى : جـ ٣ ، ص ٢٧٦ .

أعطيت له بعد الحرب السورية الأولى . لم يقبل السلطان هذا التحدى: فأرسل جيشا بقيادة حافظ باشا لمحاربة جيوش محمد على فى سوريا ، إلا أن ذلك الجيش تعرض فى مايو سنة ١٨٣٩ لهزيمة فادحة . لم تثن هذه الهزيمة عزم السلطان على إخضاع محمد على،فأرسل أسطولا بقيادة القبطان أحمد فوزى باشا . واجه ذلك الأسطول نفس مصير الجيش العثمانى،فتشتت شمله فى الإسكندرية، وتمكن محمد على من الإستيلاء عليه (١) .

فى ذلك الظرف العصيب إتضح للباشا أن الدول الأوربية تعارض خطته الرامية إلى الاستقلال عن الإمبراطورية العثمانية ، ورأى أن لا سبيل لتحقيق هذا الهدف الا بأحد طريقين : إما باغراء السلطان ورجاله بالهدايا والرشوة لمنحه هذا الاستقلال أو الإستمرار فى حروبه ضد الإمبراطورية العثمانية وإعلان إستقلاله بالقوة . وفى كلتا الحالتين كان الباشا محتاجا للمال والمال الوفير .

وهكذا يبدو أن الهدف الرئيسى لرحلة محمد على للسودان كان مشاهدة مناجم الذهب فى فازوغلى عله يجد منها ما يعالج به الأزمة المالية الطاحنة فى بلاده وما يحقق به أملا طالما راود نفسه؛ ألا وهو إعلان إستقلاله التام عن السلطان العثمانى . وقد كان الباشا عظيم الأمل فى الحصول على ذلك المعدن النفيس خاصة بعد أن عثر المعدنون على قدر منه « يصح إتخاذه دليلا على وجود مناجم الذهب بجوار فاشنغارو (٢) .

ومما قاله الباشا للقنصل الروسى « الكونت ميدم » فى ٦ أغسطس سنة ١٨٣٨ قبل توجهه فى هذه الرحلة ، يظهر أن الهدف الرئيسى وراء هذه الرحلة هو البحث عن الذهب . فهو قد قال له « إذا ما رجعت من فازوغلى بمركب محمل بالذهب فسوف اقضى كل منازعاتى وفق رغائبى دون معونة أحد، لأنه إذا وجد المال لا يعدم الإنسان الأصدقاء والجيوش التى تسهل

(1) Marlowe : Anglo-Egyptian Relations, P. 44.

(٢) شكرى : م ك أ ، ٨ ، ١٩٤٦ . « رحلة محمد على » ، ص ٤٦ .

الإتفاق (١) » . ويدعم هذا الرأى الرسائل التى أرسلها بعض قناصل الدول إلى حكوماتهم شارحين أسباب هذة الرحلة ، ففى ١٢ أغسطس سنة ١٨٣٨ كتب القنصل الفرنسى فى مصر كوشيليه (Cochelet) إلى حكومته قائلا : « .... ومن المنتظر فضلا عن ذلك أن يعود الباشا من رحلته هذه بعد غياب خمسة أو ثمانية شهور، وعندئذ سوف يكون مستعدا لمواجهة الدول فيسألها إذا كانت لا تزال ممتنعة عن الموافقة على إعلان إستقلاله . ويرجو الباشا من هذه الرحلة العثور على الذهب وذلك حتى يعرض على تركيا مبلغا ضخما من المال تستعيض به عما كان يدفعه لها من جزية سنوية ، وحتى يستميل لمؤازرته كبار السياسيين في أوربا . وأما إذا قوبلت إقتراحات الباشا بتهديدات جديدة فإنه سوف يعلن إستقلاله ويجمع جيشه ويقف فى إنتظار العدو بقدم ثابته ويخوض غمار حرب كبيرة فاما أن ينتصر وأما أن تكون خاتمة حياته ، على حد قوله، خليقة بتلك البداية المجيدة التى كانت من نصيبه عند قدومه إلى مصر (٢)». وقد أيد هذه الأقوال القنصل النمساوى لاورين (Laurin) فى رسالة بعثها إلى حكومتة فى ٧ يناير سنة ١٨٣٩ جاء فيها : « إنه إذا إستطاع محمد على أن يعثر على ذلك الذهب الكثير الذى توقع وجوده بالسودان ، فإنه سوف يتمكن من تحقيق آماله السياسية عن طريق المفاوضة. وأما إذاصادفه الفشل فانه ســوف يتخذ موقفا دفاعيا ويتحـين الفرص للانقضاض عــلى جيوش السلطان (٣) » .

وقد بعث محمد على نفسه رسالة إلى الحكمدار أحمد باشا أبو ودان بتاريخ ٢٠ ربيع الآخر سنة ١٢٥٤ (٢٥ يونيو سنة ١٨٣٨) أوضح فيها أن الذهب هو الهدف الرئيسى وراء هذه الرحلة ، فهو قد قال له : « ولما كان تحقيق هذه المصلحة الخيرية (٤) وفقا للمطلوب هو أقصى أملى فلكى يشرع

(١) شكرى : بناء دولة ، ص ٧٥٤ .
(٢) شكرى : م ك أ ، ١٩٤٦،٨ « رحلة محمد على » ، ص ٣٦ — ٣٧ .
(٣) المصدر السابق ، ص ٣٧ .
(٤) يقصد التنقيب عن الذهب .

فيها من الآن من جميع نواحيها حتى لا يضاع الوقت حين الشروع فى العمل بأن يقال بقى الشيء الفلانى ولم يتم الأمر العلانى عقدت النيه على السفر إلى هناك بنفسى (١) » .

وبجانب ذلك الهدف الرئيسى فقد كان لهذه الرحلة أهدافا أخرى متعددة. فالباشا ربما أراد كشف منابع النيل فى ذلك الوقت الذى زاد إهتمام الدول الأوربية بها زيادة ملحوظة (٢) . وبهذه الرحلة أراد الباشا خدمة أغراض تجارية . فقد كان لسياسة الاحتكار التى إتبعها فى السودان عواقب سيئة إذ أن كثيرا من البضائع السودانية هربت من سنار وشرقى السودان إلى ساحل البحر الأحمر عبر الحبشة لتؤخذ من هناك إلى الجزيرة العربية ، بدلا من أن ترسل عبر النيل أو بالطرق الصحراوية إلى مصر كما كان الحال قبل ذلك . لهذا فقد أراد محمد على برحلته هذه جذب التجارة السودانية إلى مصر من جهة ، وتقوية العلاقات التجارية مع الحبشة من جهة أخرى (٣). ولعل الباشا أراد بهذه الرحلة أيضا أن يكون بعيدا عن مسرح الحوادث السياسية فى ذلك الوقت الذى إشتدت فيه الأزمة السياسية حتى « لا يستطيع إنسان أن يدعى أنه سيكون البادىء بالعدوان (٤) » . ولا شك أن هذه الرحلة ستبيح للباشا فرصة نادرة لمشاهدة السودان بنفسه والتعرف على أحواله والعمل على تطوير إدارته وتحسين زراعته بادخال المحاصيل الجديدة والطرق الزراعية الحديثة(٥).

---

(١) دفتر رقم ٢٢٣ عابدين ، ترجمة الا رادة الكريمة رقم ٩ ٧ ورقة ٩٨ وجه ثانى بتاريخ ٢٠ ربيع الا خر سنة ١٢٥٤ .

(٢) أنظر ص ٣٩ — ٤٠

(3) Shukry : Khedieve Ismail, pp. 82–3.

(٤) شكرى : بناء دولة ، ص ٧٥٤ .

(٥) يدعى « دودويل » ان الهدف الرئيسى وراء هذه الرحلة هو توسيع الأراضى الزراعية وتطوير الزراعة فى السودان .

Dodwell : The Founder, P. 54.

هذا — فى إعتقادى — كان هدفا ثانويا لم يلتفت اليه الباشا بصورة جدية الا عندما فشل فى البحث عن الذهب .

في رأى الأستاذ شكرى أن السودان كان فى « حالة خلو » عندما زحفت الجيوش المصرية عليه إذ لم يوجد فيه آنذاك دولة تستمتع بكل أسباب السيادة فى أرجائه (١) . ولذلك فعندما قضى الباشا على فلول الهمج الذين إغتصبوا السلطة من ملوك الفونج ، وضم إلى ممتلكاته إقليم كردفان الذى كان مثارا للنزاع أجيالا عديدة بين سنار ودارفور وأقام دولة مرهوبة الجانب ، أصبح له . فى رأى شكرى ، « ان يستمتع بكل ما يخوله سلطانه من حقوق السيادة على هذه الأراضى (٢) » وهكذا فقد كان فى رأى إستاذنا أن أحد أهداف رحلة الباشا إلى السودان هو « إذاعة نظرية الخلو والاستناد عليها فى صون وحدة وادى النيل أى بقاء شطريه مصر والسودان فى نظام سياسى واحد (٣)» .

إلا أنه لا بد لى أن أتعرض بالنقد والتحليل لنظرية الخلو هذه التى إبتدعها الدكتور شكرى . فالسودان لم يكن فى حالة خلو عندما زحفت عليه جيوش الفتح إذ كان سلطان سنار هو الحاكم الرسمى الذى تمتع بالسيادة القانونية الكاملة هناك . ثم أن محمد على نفسه كان تابعا للسلطان العثمانى وان فتح السودان تم باسم خليفة المسلمين ، وبهذا فقد أصبح بعد إستيلاء جيوش الفتح عليه تحت سيادة الإمبراطور العثمانى لا تحت سيادة والى مصر . وأكبر دليل على هذا هو أن سلطان سنار عندما تنازل عن السيادة فى السودان فعل ذلك للسلطان العثمانى لا لمحمد على . إذا فليس لمحمد على أى حق قانونى فى السيادة على السودان .

نتائج الرحلة :

ما أن وصل ركب الجناب العالى بعد هذه الرحلة الطويلة الشاقة المضنية إلى فازوغلى فى ٢٨ شوال سنة ١٢٥٤ (٤) « ١٤ يناير سنة ١٨٣٩ » ونزل

---

(١) شكرى : مصر والسيادة، ص ١٨ .
(٢) شكرى : م ك أ ، ٨ ، ١٩٤٦ ، « رحلة محمد على » ، ص ٣٨ — ٣٩ .
(٣) شكرى : مصر والسودان ، ص ١٣ .
(٤) شكرى : م ك أ ، ٨ ، ١٩٤٦ ، « رحلة محمد على » ، ص ٥٢ .

فى قرية فامكه على ميمنة النيل الأزرق، الا وبدأ مجهودات كبيرة فى البحث والتنقيب عن الذهب . فمن قرية فامكه أرسل ثلاثة من المعدنين هم بو ريانى الإيطالى ولمبير وأحمد يوسف الجشنجى إلى جهات فاشنغارو وبنى شنقول للتنقيب عن الذهب هناك (١) . قام هؤلاء بعدة تجارب وأبحاث أعلنوا بعدها أنهم عثروا على دليل « يثبت وجود هذا المعدن (٢) » . عندئذ قرر الباشا الإنتقال بنفسه إلى تلك الجهات لمراقبة سير عمليات التنقيب هناك .

أجرى المعدنون عدة تجارب فى مناطق مختلفة للبحث عن الذهب . الا أن نتائج إبحاثهم كانت مخيبة للآمال . لذلك جمع الباشا كل المهندسين للتشاور معهم فاستقر الرأى على « عمل تجربة جديدة بطريقة أخرى مفيدة وهى أن يجمع الرمل من جميع المحلات بمقادير متناسبة ويعلم كمية ما يخرج منها (٣) » . تنفيذا لهذه الخطة الجديدة جمع العالم بوريانى عشرين قنطارا من رمال التبر من الأماكن المشهورة بوفرة الذهب فيها ، غير أن المتحصل منها لم يزد على « تسعة وأربعين قمحه من الذهب » (٤) . كون الباشا لجنة لإعداد تقرير شامل عن الأعمال التى قامت بها تلك البعثة ، وقد بين ذلك التقرير بصورة واضحة جلية فشل البعثة فى تحقيق هدفها الرئيسى فقد جاء فيه : « إنه لإستثمار المناجم بواسطة الغسل الإعتيادى لا يستطيع العامل أن يحصل على ثلاثة قروش عن عمله فى اليوم (٥) » .

وهكذا فقد فشل الباشا فى الحصول على الذهب من جهات فازوغلى فتحطمت آماله وأحلامه وغادر تلك الأصقاع فى ١٨ ذى القعدة سنة ١٢٥٤ (٦) « أول فبراير سنة ١٨٣٩ » متوجها نحو بلاده .

---

(١) المصدر السابق ، ص ٤١ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٥٣ .

(٣) الطهطاوى : مناهج الالباب ، ص ٢٥٨ .

(٤) ساماركو : رحلة محمد على ، ص ١١ .

(٥) المصدر السابق ، ص ١١ .

(٦) شكرى : م ك أ ، ٨ ، ١٩٤٦ ، « رحلة محمد على » ، ص ٥٦ .

وبينما فشلت رحلة الباشا للسودان فى تحقيق أهم أهدافها ، فقد أحرز بعض النجاح فى ميادين أخرى . ففى أثناء هذه الرحلة ، كما أوضحت من قبل [1] ، صدرت الأوامر الرسمية بالغاء الرق وتجارة الرقيق . وفى ميدان التجارة رأى الباشا الخراب الذى سببته سياسة الإحتكار لتجارة السودان خاصة تجارة الصمغ فى كردفان فاقتنع بسوئها وأمر بالغائها [2] . وقد نجح الباشا فى تدعيم وتطوير العلاقات التجارية مع الحبشة ، فوافق على الإتفاقيات التجارية التى وصل اليها الحكمدار أبو ودان فى أواخر سنة ١٨٣٨ والتى نصت على السماح للقوافل التجارية بدخول الأقاليم الحبشية دون أن تدفع أى ضرائب على البضائع المصدرة من السودان ، على أن يكون لقوافل الأحباش نفس هذه الإمتيازات فى الأقاليم السودانية [3] ، كما أنه أمر بارسال بعثة من السودان لتدعيم وتحسين روابط الصداقة مع إمبراطور الحبشة [4]. وفى مجال العلوم حققت هذه الرحلة نصرا كبيرا عندما أمر الباشا عند مروره بالخرطوم فى طريق عودته إلى مصر بارسال البكباشى سليم قبودان لإكتشاف منابع النيل الأبيض . حقا أن سليم لم ينجح بعد رحلاته الثلاث فى إكتشاف منابع النيل الأبيض الا أنه وفق فى تبديد الكثير من الآراء الخاطئة عنها [5] .

وفى خلال إقامته بالسودان عمل الباشا على تطوير إدارة البلاد فاستدعى من مصر عددا من الكتاب الأكفاء ، كما أنه قابل الكثير من زعماء البلاد وشيوخها مقابلة حسنة وأنعم عليهم فيها بكساوى الشرف وطلب منهم أن يرسلو أبناءهم إلى مصر ليتعلموا فى مدارسها « القراءة والكتابة والعلوم المفيدة حتى إذا أتموا علومهم أرجعهم الباشا إلى بلادهم بعد سنوات قليلة [6] ». وفى خلال زيارته للسودان إقتنع الباشا إقتناعا تاما بخصوبة أراضيه فأصدر

---

(١) أنظر ص ٧٥ – ٧٦ .

(٣) شكرى : م ك أ ، ٨ ، ١٩٤٦ « رحلة محمد على » ص ٤٠.

(٤) المصدر السابق ، ص ٥٤ .

(٥) سامار كو : رحلة محمد على ، ص ١١ .

(٦) شكرى : م ك أ ، ٨ ، ١٩٤٦ ، « رحله محمد على » ، ص ٥٥ .

أوامره بزيادة الجهد لتطوير الزراعة فى ربوعه بتشجيع الأهالى وترغيبهم فى فلاحة أراضيهم وإدخال طرق الزراعة الحديثة : كما أنه أرسل الخبراء الزراعيين من مصر لتعليم الأهلين « طرق زراعة الأرض ونشر ما كان لديهم من معلومات عن الزراعة عموما بين ظهرانيهم (١) » . وفى مجال العمران كان من نتائج هذه الرحلة إنشاء مدينة « محمد على » قرب فازوغلى . ولكى يكون ذلك المكان « جديرا بحمل هذا الإسم الكريم ويكون أعظم بلاد السودان (٢) » ، أمر الباشا بإنشاء البيوت الكثيرة وفتح الطرق والأزقة وبناء قصر ومخازن وثكنة ومستشفى وغرس الحدائق والبساتين هناك (٣) .

---

(١) المصدر السابق ، ص ٥٦ .

(٢) محفظة رقم ١٢٣ عابدين ، ملف متفرقات دوسيه بدون تاريخ محدد (سنة ١٢٥٤) .

(٣) الوثيقة السابقة .

التنقيب عن الذهب في جهات فازوغلى بعد رحلة محمد على :

رغم فشل كل تلك المحاولات للبحث عن الذهب فى جهات فازوغلى، رأى المهندس ليفبره « أن لا يقطع الرجاء بالكلية عن ربح هذه المعادن (١) » إذ أن المهندسين الذين كلفوا بذلك ، بما فيهم هو شخصيا ، ليسوا ذوى خبرة تامة ودراية كافية بعلم المعادن . لهذا فقد زعم أنه لو ترك هذا الأمر لمهندسين أكثر خبرة وكفاءة لربما توصلوا إلى نتائج أحسن (٢) . ويبدوا أن الباشا لم يقطع الأمل نهائيا فيالعثور على الذهب فيتلك الأصقاع ، إذ أنه عندما غادرها إلى بلاده لم يأمر بوقف عمليات التنقيب بل ترك وراءه عشرين من المعدنين ليتابعوا الأبحاث والتجارب (٣) .

ولتشجيع الحكمدار أبو ودان للإهتمام بشئون المعدن، وعده الباشا « بأن يمده بكل معونة صادقة وأن يبذل كل ما لديه من جهد حتى يأتى هذا العمل ثمرته المنشودة (٤) » . كما أنه أكد له بأنه « سوف لا يتأخر فى العام التالى عن المجيء إلى نجدته إذا حدث أن جدت عقبات غير متوقعة فى طريقه (٥) » . وفى الحقيقة أن التنقيب عن الذهب إستمر خلال بقية عهد الحكمدار أبو ودان ، إلا أن نتائج الأبحاث كانت كسابقتها مخيبة للآمال . فمن تقرير رفع إلى الجناب العالى من فازوغلى بتاريخ ١٧ ربيع الأول سنة ١٢٥٩ « ١٧. أبريل سنة ١٨٤٣ » عن سير عمليات التنقيب هناك إتضح

---

(١) الطهطاوى : مناهج الا لباب ، ص ٦٠ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٦٠ – ٦١ .

(٣) شكرى : مجلة كلية الآداب ، العدد الثامن ، ١٩٤٦ ، « رحلة محمد على » ص ٥٦ .

(٤) المصدر السابق ، ص ٥٦ .

(٥) المصدر السابق ، ص ٥٦ .

جليا فشل المعدنين في الحصول على الذهب . فمثلا بعد تجارب ومجهود شاق إستمر لبضع شهور في البحث عنه في خور يسمى « خور رونده » . على بعد تسعة عشر ساعة ونصف من مدينة محمد على . كان كل ما حصل عليه أربعين أوقية من الذهب فقط (١) .

وعندما أرسل أحمد المنكلي إلى السودان في سنة ١٨٤٣ ، صدرت له الأوامر بأن يتوجه إلى مناطق الذهب في جهات فازوغلى فور إنتهائه من الغاء النظام المركزى وإدخال اللامركزية في السودان (٢) . وبالفعل ذهب « المنظم إلى هناك على رأس قوة حربية وأجرى ما بين عامى ١٨٤٣ — ١٨٤٤ عدة تجارب للبحث عن الذهب في الجبال هناك كجبل كورنك رريبه وجبل جرور على بعد ساعتين شرقى جبل دول وجبل دول نفسه الذى يقع على حافة بلاد بنى شنقول (٣) . لم يكن التقرير الذى رفعه المنكلى إلى الباشا عن نتائج أبحاثه مشجعا إذ أنه أوضح أن كميات الذهب الموجودة هناك قليلة ، ولكن الباشا أرسل خبيرا من القاهرة ليتحقق من النتائج التى توصل اليها المنكلى (٤).

---

(١) محفظة رقم ١٩ بحر برا ، وثيقة رقم ٢٣ بتاريخ ١٧ ربيع الأول سنة ١٢٥٩ .

(٢) خوفا من أن يستولى على ادارة السودان حكمدار قوى قد تحدثه نفسه ، كما اشيع عن أبى ودان ، بالا نفصال عن مصر والا ستقلا ل بالسودان، قرر محمد على الغاء النظام المركزى وإدخال النظام اللامركزى في السودان وعهد بهذه المهمة إلى «المنظم» أحمد المنكلى . بهذا النظام الجديد الغيت وظيفة الحكمدار وقسمت البلا د إلى عدة مديريات ترجع كل مديرية منها في شؤنها إلى مصر رأسا على أن يتعاون المديرون فيما بينهم لتحقيق المصلحة العامة. الا أن النظام اللا مركزى فشل فى تحسين وتطوير ادارة السودان فعاد محمد على إلى المركزية مرة أخرى وعين خالد باشا خسرو فى سنة ١٨٤٥ حكمدارا على السودان . شيكه : السودان فى قرن ص ٤٧ — ٥١ .

(٣) محفظة ١٩ بحر برا ، ترجمة الوثيقة ٦٠ بتاريخ ٧ محرم سنة ١٢٦١ .

(4) Hill : Egypt in the Sudan, P. 81.

أما المنكلي فقد عاد من جبل دول تاركا جماعة من جنوده هناك بعد أن أعد لهم ما يكفيهم من المؤنة والذخيرة لمدة عام كامل (١) .

وفي عهد الحكمدار خالد خسرو « ١٨٤٥ — ١٨٤٩ » تجدد الإهتمام مرة أخرى بالذهب في فازوغلي وجهات بني شنقول . فقد عرف خالد من الشيخ إدريس عدلان ، شيخ قبائل العربان القاطنه بجهات جبل دول ، عن وجود تبر في المناطق الكائنة بالقرب من جبل دول كجبل قماميل وجبل فاروغة وخور قرنقروا وجبل قسان « مشابه للتبر الذي عثر عليه في جبل دول(٢) ». إهتم الحكمدار بهذا الأمر فقـاد في سنة ١٢٦٣ (١٨٤٦ — ١٨٤٧) حملة للتنقيب عن ذلك المعدن هناك ، كما سار بحملة أخرى سنة ١٢٦٤ « ١٨٤٧ — ١٨٤٨ » إلى جبل قسان لنفس الغرض (٣) . ولمساعدة خالد في هذه المهمة الشاقة أرسل الجناب العالي له مهندسا روسيا يدعى كوفالفيسكي Kovalevsky وستمائة جملا محملة بالآلات للبحث عن ذلك المعدن النفيس (٤). قضى هذا المهندس مدة وجيزة في مناطق الذهب عاد بعدها إلى القاهرة بعد أن ترك توصياته باستعمال الآلات الجديدة في التنقيب عن الذهب . ويبدو أن المسئولين هناك عادوا مرة أخرى إلى طرق الأهالي البدائية وبالتالي فقد كانت كميات الذهب التي عثر عليها قليلة جدا لا تتناسب مع المجهودات التي بذلت للبحث عنها (٥) . ولتوضيح فشل محاولات خالد خسرو في البحث عن الذهب يجدر بي أن أذكر القائمتين التاليتين :

كميات الذهب التبر المتحصل عليها بمديرية فازوغلي إبتداء من ١٧ ربيع الأول سنة ١٢٦٣ « ٥ مارس سنة ١٨٤٧ » حتى ٤ ربيع الثاني سنة

---

(١) محفظة ١٩ بحر برا ، ترجمة الوثيقة رقم ٦٠ بتاريخ ٧ محرم سنة ١٢٦١ .
(٢) محفظة ١٩ بحر برا ، ترجمة الوثيقة رقم ٧٤ بتاريخ ٩ صفر سنة ١٢٦٢ .
(٣) محفظة ١٩ بحر برا ، ترجمة الوثيقة رقم ٩٥ بتاريخ ٣ ربيع الثاني سنة ١٢٦٤ .
(4) Hill : Egypt in the Sudan, P. 83.
٥) المصدر السابق ، ص ٨٣ .

١٢٦٣ « ٢٢ مارس سنة ١٨٤٧ » ([١]) .

عدد حبة	
٥٢	متحصل من جزيرة الدوم
١٨٨	متحصل من جزيرة خورا مالى
٣ر٢٨	متحصل من جزيرة ارندوا
٣٨	متحصل من خور قازنقروا عملية يوم
٢٣	متحصل من جبل فالقه
١٠٨	متحصل من خور قانقرو ثانى مرة بعد الرجوع من فالقه
٣ر٤٣٧	أربعمائة وسبع وثلاثون وثلثا وربع حبه لا غير ([٢]) .

بيان الذهب التبر المتحصل من جهات فازوغلى إبتداء من ١٥ ربيع الثانى سنة ١٢٦٣ « ٢ أبريل سنة ١٨٤٧ » حتى ١٣ جمادى الاولى سنة ١٢٦٣ « ٢٩ أبريل سنة ١٨٤٧ » ([٣]) .

عدد حبة	
١٣٠	متحصل من جبل السوده
٢٩	متحصل من جبل فخرنه
١٠٢	متحصل من جبل قسان
١٤٩	متحصل من جبل دول
٤١٠	أربعمائة وعشر حبات لا غير

(١) محفظة ١٩ بحر برا تركى ، ترجمة الوثيقة رقم ٨٦ بتاريخ ١٥ جماد أول سنة ١٢٦٣ .
(٢) هكذا وردت فى الوثيقة السابقة .
(٣) الوثيقة السابقة .

التنقيب عن الذهب فى جبل شيبون

إشتهر جبل شيبون ، الذى يقع على بعد إثنى عشر ميلا غرب قرية هيان . بتوفر معدن الذهب فيه . وقد زعم توفره هناك الكثير من الأوربيين الذين زاروا تلك الجهات كبروان Browne وبالم Pallme وبتريك Petherick وروسيجير Russegger (١). وعندما زار الإيطالى نيقولا (٢) جهات جبل شيبون أدعى أنه رأى بعينه قطع الذهب متناثرة هنا وهناك ، وأن التجار يتاجرون فيه بطريقة سرية « باستبداله ببعض أشياء يحتاج لها أهالى تلك الجهات (٣) » . وقد كان على زعيم جبل شيبون عندما دخلت بلاده تحت حكم مملكة تقلى (٤) أن يرسل سنويا كمية من الذهب إلى حاكم تقلى (٥) . وربما كان إستخراج الذهب من جهات جبل شيبون سببا للتنازع بين إقليم تقلى والإدارة المصرية فى كردفان (٦) . وقد إشتغل بعض الزنوج بالتنقيب عن الذهب هناك ولكنهم لم يعرفوا قيمته وبالتالى لم يعيروه إهتماما كبيرا بينما عرف الدناقلة ، الذين هاجروا إلى تلك الجهات بغرض التجـــارة منذ وقت

---

(1) Bell : SNR Vol. 20. (1937), "Shaibun Gold", pp. 129–30.

(٢) المستر نيقولا مواطن إيطالى تجول فى مصر والسودان وزار الخرطوم وسنار وفازوغلى وجبل دول ، كما أنه زار كردفان عدة مرات وتجول فى جهات جبـل شيبون . قابل هذا الأوربى الحكمدار خالد خسرو وتحدث اليه عن نتائج رحلا ته .
محفظة ١٩ بحر برا ، ترجمة الوثيقة رقم ٧٣ بتاريخ ٩ صفر سنة ١٢٦٢ .

(٣) الوثيقة السابقة .

(٤) نشأت مملكة تقلى منذ حوالى منتصف القرن السادس عشر فى المرتفعات التى عرفت باسم تقلى شمال شرقى جبال النوبه فى الركن الغربى من إقليم كردفان . وقد إحتفظت هذه المملكة باستقلا لها إلى ما بعد الفتح المصرى لكردفان سنة ١٨٢١ بعدة سنوات .
مقار : أحوال السودان الإقتصادية ، ص ٢ .

(5) Bell : SNR Vol. 20 (1937), "Shaibun Gold," P. 128.

(٦) مقار : أحوال السودان الإقتصادية ، ص ٤ .

طويل . أهمية ذلك المعدن فاهتموا بتنقيبه وجنوا من وراء ذلك أرباحا طائلة (1) .

وقد كان من الطبيعي عندما علم محمد على من الدفتردار بوجود معدن الذهب فى جبل شيبون أن يصدر اليه أوامره العاجلة بأن يهتم بالتنقيب عنه ليعرف « ما إذا كان هذا الذهب الحاصل ظاهرا من بطن الجبل فى حالة منجم أم ناتجا من غير ذلك كجمعه وتكوينه من فيض ماء السيل عند نزول مياه الأمطار فى الجبال التى وراء هذا الجبل وإتيانها منها إلى ولايتنا هذه . فاذا ظهر فى بطن الجبل فنطلب أن تنظروا فى شأنه وتبتوا فى أمره بحسن تدبيركم وأن تعلمونا بالكيفية (2) » .

من الظاهر أن الباشا وحكومته ركزوا معظم جهودهم فى البحث عن الذهب فى جهات فازوغلى، ولم يعطوا إهتماما كبيرا للتنقيب عنه فى جهات جبل شيبون إلا فى عهد خالد خسرو عندما إتضح جليا فشل كل المحاولات والتجارب المتعددة فى البحث عنه فى فازوغلى ومنطقة بنى شنقول . وقد قويت آمال خالد فى الحصول على الذهب من جهات شيبون عندما عرض عليه المستر نيقولا السالف الذكر ثلاث حلقات منه حصل عليها من تلك الجهات فإذا هى — كما جاء فى محادثة له مع الأوربى المذكور ، « أحسن ذهب موضوع بين أيدى الناس للتداول وهو جيد مقبول ولونه مطابق ولينه موافق حتى أننى ما رأيت مثله بين جميع الذهب المتداول ولا رأيت مثل لينه (3) » .

بذل الحكمدار خالد مجهودات كبيرة للبحث عن الذهب فى تلك الجهات، فعين حسن حيدر باشا مسئولا عن عمليات تنقيبه وطلب منه إعداد

---

(1) Pallme : Travels in Kordofan, pp. 160–61.

(2) دفتر ١٠ معيه تركى ، ترجمة المكاتبة رقم ٤٨ بتاريخ ٥ ربيع الأول سنة ١٢٣٧ .

(3) محفظة ١٩ بحر برا ، ترجمة الوثيقة رقم ٧٣ بتاريخ ٩ صفر سنة ١٢٦٢ .

ميزانية تمكنه من الإستمرار فى عمليات بحثه وإرسالها للقاهرة للموافقة عليها([1]). ولكن رغم كل هذه المجهودات كانت النتائج مخيبة للآمال .

على أن محاولات الباشا ورجال حكومته للحصول على الذهب من منطقتى فازوغلى وجبل شيبون لم تنته بالفشل التام فحسب بل أنها عادت على الحكومة بالخسارة القادحة . فقد أنفقت الحكومة مبالغ طائلة لتجهيز الآلات اللازمة وترحيلها إلى تلك المناطق النائية ولإعداد المهندسين والعمال للبحث عن ذلك المعدن دون أن تحصل على كميات من الذهب تغطى هذه التكاليف الباهظة . ولكى تأخذ فكرة عن ضخامة تلك التكاليف يجدر بى أن أذكر قائمة « الأنفار » والآلات التى اقترح إرسالها إلى فازوغلى المهندس محمد أبراهيم أفندى الذى إنتدبه خالد خسرو للتنقيب عن الذهب هناك. بعد فحص عينات الذهب التى قدمها هذا المهندس عند عودته من مأموريته ، وافق مجلس العموم فى ٧ رمضان سنة ١٢٦٣ « ١٩ أغسطس سنة ١٨٤٧ » على إرسال معظم هذه القائمة ظنا منه « أن الفوائد من ذلك الذهب واضحة وأنها قابلة للتشغيل » ([2]) .

عدد بيان الأنفار والآلات لتشغيل المعدن بالسودان :

عدد	بيان
١٠	نجار « اوسطة »
٥	صبيان النجار
٨	حداد لزوم تشغيل العربات
٤	حداد دقى
٢	أوسطه لعمل عربيات
٢	صبيان « الأوسطه »
٢	نشارين خشب

(1) Hill : Egypt in the Sudan, P. 83.

(٢) محفظة رقم ٣ أوامر الجهادية ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ١٥٥ مسلسل بتاريخ ٧ رمضان سنة ١٢٦٣ .

٣٠	صبيان
٢	براد
٢	بنائين أوسطه
١٠٠	عربيات حمارى للتراب
١٠٠	عربيات يد
١٠٠	حديد صاج عريض حسب المطلوب
٥	موازين ذهب صغيرة بسنج من نصف حبه إلى نصف رطل
١٠	شرحه : أكبر مما ذكر مثله من درهم إلى رطل
٥	حديد إحتياج الذهب حسب المطلوب
١٠٠٠	أمشاط حديد حسب المطلوب
١	ناظر مهمات أما يوزباشى أو صاغول يكتب ويحسب ويستلم المحصول
١	مخزنجى
١	قبانى لزوم تقبين المهمات وغيرها
٢	لأجل المهمات والأنفار الشغالين
٢	حكيم وأجزاجى

بعد هذه الخسائر الفادحه التى تعرضت لها الحكومة لم يكن غريبا أن يقف العمل فى معدن الذهب فى عهد خليفة محمد على الوالى عباس باشا الأول « ١٨٤٩ — ١٨٥٤ » (١) .

ولعل السبب الرئيسى لهذا الفشل الذريع هو عدم وجود الذهب بتلك الكميات الكبيرة التى تحدثت عنها التقارير المضللة التى وصلت إلى محمدعلى. حقا أنه قد وجد شيئا منه فى جهتى فازوغلى وجبل شيبون إلا أنه لم يكن بالكثرة والوفرة التى صورته بها الأنباء التى وصلت للباشا فى مصر . وقد شعر

---

(١) شبيكه : السودان فى قرن ، ص ٥٧ .

بعض المسئولين بهذه الحقيقة وإعترفوا بعدم جدوى البحث عن الذهب . ففى خلال مناقشات مجلس المشورة الذى عقده خورشيد فى ٨ محرم سنة ١٢٥٤ «٢غسطس١٨٢٦»، قال كل من حنا الطويل وحسن أغا أن لا فائدة ترجى من وراء التنقيب عن الذهب ، كما قال مصطفى أفندى « فلو أنهم بدلا من أن يذهبوا إلى المنجم مع خمسمائة جندى زرعوا الأراضى للحصول على طعامهم وشرابهم وعمروا البلاد لكان خيرا لهم ولكان ذلك أحسن منجم » (١) .

ثم أن الطريقة التى إستعملها خبراء ومهندسو الباشا فى البحث عن الذهب كانت طريقة بدائية عقيمة . فقد إستخدم العمال الزنوج فى حفر الأرض التى اشيع وجود الذهب فيها ومن ثم غربلة التبر مستخدمين غرابيل كبيرة (٢) . ولا شك أن مثل هذه الطريقة البدائية لن تعود بفائدة كبيرة ولن يتحصل عن طريقها الا على كميات قليلة جدا من الذهب .

وربما كان العداء السافر الذى لاقته بعثات التنقيب من الأهالى فى مناطق الذهب سببا آخر لفشل الباشا فى الحصول على الذهب فى السودان . فعندما وصلت بعثتى روسيجير وبوريانى إلى جهات بنى شنقول ، احتشد الأهالى قاصدين حرب وقتال هؤلاء الأجانب . وبالفعل فقد دارت عدة معارك بين الجانبين أظهر فيها الأهالى قوة وشجاعة نادرة ، إلا أنهم لم يستطيعوا الصمود أمام المدافع والأسلحة النارية، فقتل وجرح منهم الكثيرون مما إضطرهم فى النهاية إلى الإنسحاب (٣) . وقد إمتنع الأهالى عن التعاون مع البعثة التى تركها محمد على بعد رحلته للإستمرار فى التنقيب عن الذهب ورفضوا إرشادها إلى مناطق الذهب، كما أنهم غافلوا رجالها أحيانا وهجموا

(١) شكرى : الحكم المصرى فى السودان ، ص ٣٣٥ .

(٢) روى لى المرحوم الشيخ الخليفة الحسن من أهالى الدويم أنه شاهد الزنوج فى جهات بنى شنقول يستخدمون هذه الطريقة البدائية فى التنقيب عن الذهب عند زيارته لتلك الجهات سنة ١٣٠٩ (١٨٩١ — ١٨٩٢) بقصد التجارة .

(٣) محفظة رقم ٢٦٥ عابدين ، ملف حكمدار السودان ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٨٨ بتاريخ ٢٢ محرم ١٢٥٤ .

عليهم فى معسكراتهم (١) . أما الأهالى حول جبل دول فكثيرا ما أظهروا عداءهم لبعثات الحكومة حتى أن قوات الحكومة إضطرت أحيانا لمهاجمتهم(٢). بل أنه على الرغم من ولاء « كومه » ملك جبل دول وأتباعه للحكومة . فقد رأى اللواء سليم مدير سنار وفازوغلى عدم تكليفهم بتوريد الذهب خوفاً من أن يقطعوا ، كما قال المدير المذكور فى رسالة بعثها إلى الجناب العالى « صلة إختلاطهم بنا نهائيا » (٣) . وفى خلال محاولات المنكلى للبحث عن الذهب فى جبل « جرور »،ثار الأهالى وأظهروا عداءهم مما إضطر المنكلى لإرسال جماعة من جنوده هزمت فى بادىء الأمر الا أنها تمكنت أخيرا من إخضاع الثوار لسلطان الحكومة (٤) .

وبما أن المصريين كرهوا العمل بالسودان عامة وبالجهات النائية منه كجبل شيبون وجهات فازوغلى خاصة التى تهرب بعضهم من العمل فيها بدعوى المرض وفر آخرون فى الطريق قبل الوصول اليها (٥) ، فلم يكن من المتوقع أن يخلص الذين إنتدبوا للعمل فى التنقيب عن الذهب . فقد كان خير الدين بك الذى عين لإدارة المعدن فى جهات فازوغلى بعد عودة الباشا منها راغبا عن العمل هناك ، ولذلك لم يخلص فى المهمة التى أوكلت اليه ولم يتفان فى اداء واجبه بل أنه رفض التعاون مع المهندسين والمعدنجيه الأفرنج وجاهر بعداوتهم لظنه أنهم سبب طول غيابه عن بلاده (٦) . ولم يجد هؤلاء المهندسون أيضا المعاونة والمؤازرة من العساكر المسئولين عن حراستهم إذ أنهم ربما إعتقدوا أن بقاءهم فى تلك الأماكن ليس الا رمزا وأن أعمالهم

---

(١) الطهطاوى : مناهج الالباب ، ص ٢٦١ .

(٢) محفظة ١٩ بحر برا ، ترجمة الوثيقة ٦٨ بتاريخ ٢٣ ذى القعدة سنة ١٢٦١ .

(٣) الوثيقة السابقة .

(٤) محفظة ١٩ بحر برا ، ترجمة الوثيقة رقم ٦٠ بتاريخ ٧ محرم سنة ١٢٦١ .

(٥) دفتر ٩٢ / ٥١٧ ديوان الخديوى عربى وارد ج ١ ، الوثيقة رقم ٤ ص ١٥٢ بتاريخ ٢٥ صفر سنة ١٢٦١ .

(٦) الطهطاوى : مناهج الالباب، ص ٢٦٠ .

ليست الا أعمالا صوريه فقط (١) . ثم أن كثيرا من عرب الشايقية والزنوج السودانيين الذين كلفوا بالعمل فى التنقيب عن الذهب أظهروا عدم رغبتهم فى هذه الخدمة وفر بعضهم للخلاص منها . ففى عام ١٢٦١ « ١٨٤٥ » مثلا هرب من العمل بجبل دول ثلاثة أنفار من الشايقية فصدرت الأوامر لمدير دنقلا وبربر بالبحث عنهم فى مديريته (٢) .

وفى كثير من الأحيان تعرضت البعثات التى كلفت بالتنقيب عن الذهب فى السودان إلى نقص حاد فى المؤن والزاد وذلك لهروب الأهالى من بلادهم ورفضهم إمداد تلك البعثات بما تحتاج اليه من المؤن من جهة (٣) وللآفات المختلفة كالجراد التى تعرضت لها مناطق الذهب من جهة أخرى . فلاعداد الذره اللازمة للعساكر الذين قرر المنكلى بقاءهم للتنقيب عن الذهب فى جبل دول ، أضطر المنظم إلى غزو جبال« برته » حيث أحضر من هناك ألف أردب ذره ، كما أنه أخذ تعهدا من ادريس ودعلان شيخ جبال الفونج وأبو روف شيخ رفاعة الهوى بنقل الذرة اللازمة لهم . أما المهمات الأخرى كالسمن والأرز والملح والبقسماط فقد طلبها المنكلى لهم من الخرطوم (٤) . وعندما تأخر مدير الخرطوم فى إرسال تلك المهمات أمره محمد على بالإسراع بها وهدده ان تباطا فى هذه المهمة بقوله : « أيها الخنزير أن عملك هذا غباوة وقلة أدب . أن أحمد باشا لا يطلب منك أن تعمل من أجله أى شيء وإنما نحن أصحاب المصلحة فى هذا الأمر وسواه لا أحمد باشا . أعلم أننا أوفدنا اليك القواسى حسين المنلا فإذا كنت بحكم قلة أدبك لم ترسل هذه المواد والأشياء حتى الآن عليك بارسالها فى الحال وأوفنى مع القواسى بخبر إرسالها والا فتأكد إننا سنحقنك هناك وإياك ثم إياك معاندة أمر

(١) المصدر السابق ، ص ٢٦٠ .

(٢) دفتر ١ / ٢٤٥٣ مديرية بربر والجعليين عربى وارد ، الأمر ٣٧٣ ص ٢٦ بتاريخ ٤ جماد الثانى سنة ١٢٦١ .

(٣) الطهطاوى : مناهج الا لباب ، ص ٢٥٣ .

(٤) محفظة ١٩ بحر برا ، ترجمة الوثيقة رقم ٦٢ بتاريخ ١٥ ربيع الأول سنة ١٢٦١ .

أحمد باشا فلا بد من إطاعة أوامره جميعا » [1] . وقد تعرضت بعثات محمد على أيضا لنقص حاد فى الذخيرة مما كان له أسوأ الأثر فى تفشى الخوف والقلق بين صفوف رجالها حتى أن كثيرين منهم تمنوا الرجوع إلى بلادهم [2]

وعدم ملاءمة الطقس فى مناطق الذهب لرجال البعثات التى كلفت بالبحث عنه وإنتشار الأمراض المتعددة كان من أهم الصعوبات التى واجهت تلك البعثات وعطلت أعمالها . فبسبب الملاريا مثلا فقدت البعثة التى تركها محمد على عقب زيارته للسودان رجــلا من أهم رجالها وخبيرا من خيرة خبرائها هو المسيو ليفبره [3] .

---

(١) دفتر ٣٧٨ معيه تركى ، ترجمة الوثيقة ١٠٢٣ بتاريخ ١٥ ربيع الأول سنة ١٢٦١ .
(٢) الطهطاوى : مناهج الالباب ، ص ٢٥٨ .
(٣) المصدر السابق ، ص ٢٦٠ .

التنقيب عن المعادن الاخرى فى السودان فى عهد محمد على

إشتهرت كردفان بوفرة معدن الحديد الذى إستفاد منه الأهالى فى صنع أدواتهم المنزلية وآلاتهم الزراعية ولصنع رؤوس الرماح على الرغم من الطرق البدائية التى إتبعوها لصهره (١) . ولقد كان من الطبيعى عندما سمع الباشا بوجود « مناجم الحديد بوفرة وجسامة فى كردفان وان النوع الجيد من الحديد يستخرج من هنالك (٢) » أن يصـدر أوامره العاجـلة إلى الدفتردار بان يتحقق من الأماكن « التى يوجد فيها جوهر المعدن المذكور قويا وبمقادير وافيه مباركة (٣) » وان يدبر ويهيىء « الأسباب اللازمة التى تستوجبها سهولة إستخراجه وصوغه (٤) » . ومن ناحيته فقد تعهد الباشا بارسال العمال المتخصصين الحاذقين المهرة إلى كردفان لبناء الأفران اللازمة هناك لإذابة وصب ذلك المعدن (٥) .

ولاشك أن محمد على كان محقا فى كل هذا الإهتمام باستخراج الحديد من كردفان لإنعدامه فى مصر التى إستوردت كل الكميات التى إحتاجت لها منه من الخارج . ويبدو أن الباشا كان متفائلا غاية التفاؤل فى الحصول على كميات وافرة من ذلك المعدن ، حتى أنه عندما علم بوجوده فى كردفان أمر الدفتردار بارسال خمسمائة قنطار منه إلى مصر (٦) .

وقد قويت آمال الباشا بصفة خاصة فى الحصول على ذلك المعدن

---

(1) Hill : Egypt in the Sudan, P. 57.

(٢) دفتر ١٠ معيه تركى ، ترجمة المكاتبة رقم ٢٤ بتاريخ ٣ صفر سنة ١٢٣٧ .

(٣) الوثيقة السابقة .

(٤) الوثيقة السابقة .

(٥) الوثيقة السابقة .

(6) Hill : Egypt in the Sudan, P. 57.

عندما علم أن الحكمدار خورشيد نجح فى سنة ١٨٢٨ — ١٨٢٩ فى صنع المسامير منه ، فأرسل بعثة للبحث عنه فى كردفان مكونة من ثمانية مهندسين بريطانيين وبعض الصناع المصريين من حدادين وفرانين برئاسة المعاون أحمد أفندى يوسف الذى عين ناظرا لمصنع الحديد المؤمل إنشاؤه هناك . وعلى الرغم من أن الباشا خصص بعض أطباء الجيش لمعالجة أفراد تلك البعثة ، الا أن المهندسين الأوربيين لم يتحملوا طقس تلك البلاد فمات منهم ستة مرة واحدة (١) . ولا شك أن فقدهم كان ضربة قاضية على البعثة عطل أعمالها وكان من أهم أسباب فشلها . ولما كان من الصعب إستمرار العمل بالمهندسين اللذين تبقيا ، فقد أصدر الباشا أوامره إلى أحمد أفندى يوسف بارجاعهما إلى القاهرة مع « جميع الآلات والأدوات وسائر المهمات التى أرسلت إلى ذلك الطرف قبلا من مصر » (٢) .

بعد أن منيت تلك البعثة بالفشل التام الذريع ، لم نسمع عن أى محاولات لاستغلال معدن الحديد فى كردفان الا فى سنة ١٨٣٨ عندما أرسل روسيجير على رأس بعثة رسمية إلى كردفان ، كما أرسل لامبرت فى سنة ١٨٣٩ لنفس الغرض (٣) . وفى سنة ١٨٤٧ أرسلت الحكومة المصرية القائمقام يوسف أفندى من ضباط الجهادية مع المهندس «قولونل» للبحث عن الحديدفى كردفان (٤) . وعندما فشل الرحالةجون بتريك فى التنقيب عن الفحم في صعيد مصر وبعض جبال البحر الأحمر فى الصحراء الشرقية ، أرسله محمد على سنة ١٨٤٧ إلى كردفان للتنقيب عن الحديد وإستخراجه بالوسائل الحديثة . وبالفعل سافر ذلك الرحالة إلى كردفان وبدأ فى المهمة التى أوكلت الية ،

---

(١) دفتر ٣٨ صادر المعيه السنيه . ملخص الوثيقة التركية رقم ٣١٥ بتاريخ ٢٣ ربيع الأول سنة ١٢٤٥ .

(٢) دفتر رقم ٧٥٧ ديوان الخديوى تركى ، وثيقة رقم ٣٠٥ بتاريخ ١١ رجب سنة ١٢٤٦.

(3) Hill : Egypt in the Sudan, P. 57.

(٤) دفتر ١٩/٣١ معيه سنيه عربى صادر ، الأمر الكريم رقم ٣٠٤ ص ٣٤ بتاريخ ٧ صفر سنة ١٢٦٤ .

غير أنه ترك خدمة الحكومة وإشتغل بالتجارة بعد وفاه محمد على سنة ١٨٤٩ (١) . وفى عام ١٨٤٨ أرسل أبراهيم أفندى مع مهندس إنجليزى وإثنين من اللغمجيه للكشف عن معدن الحديد فى كردفان (٢) ، الا أن الأوامر صدرت لهم بوقف العمل والعودة فورا إلى القاهرة عندما إتضح أن الحديد المتحصل عليه لم يغط تكاليف إستخراجه (٣) .

وهكذا فكما فشل الباشا فى الحصول على الذهب من السودان فقد فشل أيضاً فى استغلال حديد كردفان وذلك لعدم توفر الخبراء والفنيين ولصعوبة المواصلات مما جعل تكاليف إستخراجه أكثر من قيمة الكميات القليلة التى حصل عليها منه .

النحاس : إشتهرت المنطقة فى جنوب دارفور المعروفة باسم « حفرة النحاس » بوفرة معدن النحاس فيها . وبما أنها كانت خارجة عن نفوذ حكومة محمد على وواقعة بالقرب من ممتلكات سلطان دارفور ، فقد أرسل الباشا أحمد بك ، أحد مماليكه ، إلى دارفور للإتفاق مع سلطانها فى إستخراج ذلك المعدن من هناك (٤) . الا أن الباشا لم ينجح فى الحصول على النحاس من تلك المنطقة .

وفى خلال إقامة الباشا فى الخرطوم فى طريقه إلى فازوغلى سمع عن وجود الفضه والنحاس فى جبل مويه ، ثمانية فراسخ جنوبى غرب سنار ، فأرسل المعدنجى المسيو ليفبره لإختبار تلك المعادن هناك ، وأمر كل من بورياني ودارنو للحاق به ولكنهم عادوا جميعا دون أن يجدوا أى أثر لها (٥) .

(١) مقار : الرحالة جون بتريك ، ص ٢ .

(٢) دفتر ١٤ /٢٥ معيه سنيه عربى وارد ، وثيقة رقم ٣٤١ ص ٦٤ بتاريخ ٥ ذى القعده سنة ١٢٦٤ .

(٣) دفتر رقم ٢٢/٣٧ ديوان المعيه السنيه عربى صادر ، الوثيقة رقم ٢ ص ٧٩ بتاريخ ٢٤ ذى القعده سنة ١٢٦٤ .

(٤) دفتر صادر المعيه رقم ١٠ ، وثيقة رقم ٢١١ بتاريخ غرة رجب سنة ١٢٣٧ .

(٥) الطهطاوى : مناهج الالباب ، ص ٢٥٦ — ٥٧ .

الرخام : حاول المسؤولون فى السودان إستخراج الرخام من منطقة وادى حلفا ([1]) ومن جهات بربر التى قيل إنها « غنية بالرخام من النوع الأجود ذى اللون الأبيض الناصع ([2]) » الا أن هذه المحاولات لم تأت بفائدة كبيرة .

(١) دفتر ٥٧ معيه تركى ، ترجمة الأمر ١٧٨ بتاريخ ٢١ صفر سنة ١٢٥٠ .

(٢) دفتر ٦٢ معيه تركى ، ترجمة الأمر رقم ٨٨ بتاريخ ١٩ ربيع الاخر سنة ١٢٥٠ هـ .

الفصل الخامس

محمد على والتجارة فى واردات السودان

محمد على والتجارة فى واردات السودان

الزراعة :

لم يهتم السودانيون بتطوير الزراعة قبل الفتح المصرى لقلة إحتياجاتهم التى تمكنوا من الحصول عليها بقليل من الجهد من جهة ، ولإنشغالهم بالحروب والمنازعات القبلية من جهة أخرى (١) . وقد كان من الطبيعى عندما إستولى محمد على على شئون السودان أن يبذل مجهودا كبيرا لتطوير الزراعة، إذ أن إستغلال منتجات السودان الزراعية كان أحد أسباب فتحه للبلاد .

فعندما استتب الأمن والنظام وعادت الأحوال إلى مجاريها الطبيعية بعد حملات الدفتردار الإنتقامية ، بدأ الباشا فى إتخاذ خطوات جادة لتطوير الزراعة وتحسين المنتجات الزراعية فى السودان ، فأرسل مع خورشيد اغا ما ينوف على المائة من الفلاحين والخوليه المصريين ليوزعوا على الجهات المختلفة، وليدخلوا وسائل الزراعة الحديثة، ويعلموا الأهالى أحسن الطرق وأنفعها لتطوير الزراعة فى ربوع البلاد (٢) . وبجانب هؤلاء الخبراء الذين أمر الباشا بارسالهم، فقد تطوع بعض الفلاحين المصريين بالذهاب إلى السودان للعمل على تطوير الزراعة هناك . فبعد أن تأكد خمسة من شيوخ صعيد مصر ، الشيخ منصور والشيخ أحمد عامر والشيخ الرفاعى والشيخ سيد محمد من المنصوره والشيخ عبد الله قرطام من القليوبيه ، من خصوبة الأراضى فى إقليم بربر بحيث « أن أراضى الإقليم المذكور لا تقاس على سائر الأقاليم أحسن من غيرها بحيث أن فدانا منها ينتج نيله أكثر مما تنتجه أربعة أفدنة من أطيان مصر، وأنه إذا أنشئت هناك قناطر وجسور يؤدى ذلك بدون تضرر

(1) Hill : Egypt in the Sudan, P. 49.

(٢) شبيكه : السودان فى قرن ، ص ٤٠ .

إلى حصول منافع جمة من زراعة الأصناف (1) » ، طلبوا السماح لهم بالذهاب إلى هناك للمساهمة فى تطوير الزراعة . ولعل هؤلاء قد أرادوا الحضور إلى السودان على نفقتهم الخاصة لا حبا فيه وفى أهله وإنما ليتفادوا الضرائب فى مصر ، ولذلك فإن الباشا لم يسمح لهم بمغادرة مصر إلا بعد إجراء تحقيق دقيق يعرف بمقتضاه « مقدار الأطيان التى عليهم زراعتها ومقدار الأصناف التى يزرعونها وهل فى زممهم بواقى مطلوبات إميرية أو أخرى أم لا وإذا كانت فى ذممهم بواقى فما مقدارها » (2) .

وقد إستعملت حكومة الباشا فى السودان فى بعض الأحيان القوة لإرغام الأهالى على الإهتمام بفلاحة الأرض. فعندما فر أهالى قرية « العوضيه» إلى الجبال تاركين أراضيهم هجم عليهم عثمان بك جركس فهزمهم هزيمة نكراء إضطروا بعدها إلى النزول من جبالهم ولم يتركهم الا بعد أن تعهدوا « بإقامة السواقى وإصلاح الأراضى (3) » ، كما أجبر المزارعون فى سنة ١٨٢٦ على زراعة النيلة على شواطىء النيل . وقد استثنى الشايقية الذين زرعوا أراضى الجعليين فى شندى والعبدلاب فى الحلفاية من هذا القرار لأنهم كثيرا ما تركوا أراضيهم وذهبوا بعيدا عن النيل فى غزوات لصيد العبيد أو لحفظ الأمن (4) .

وبجانب التحسين والتوسع فى زراعة المحاصيل الزراعية المعروفة فى السودان كالقمح والذره والشعير ، فقد إهتمت حكومة الباشا بادخال محاصيل جديدة فى السودان . فعندما ازداد الطلب على النيله لإستعمالها فى صباغة الملابس وفى صناعة المنسوجات أدخلت حكومة الباشا زراعتها سنة ١٨٢٦ على شواطىء النيل (5) ، كما أدخلت زراعة الأفيون . وفى دنقلا أدخلت

---

(١) دفتر ٧٦٠ ديوان الخديوى ، ترجمة القرار ٣٧٦ بتاريخ ٤ جمادى الاولى سنة ١٢٤٥ .

(٢) الوثيقةالسابقة .

(٣) دفتر رقم ١٦ معيه تركى ، ترجمة الوثيقة رقم ٤٢٠ بتاريخ ١٣ ربيع الاخر سنة ١٢٤٠

(4) Hill: Egypt in the Sudan, P. 55.

(٥) المصدر السابق ، ص ٥٤ — ٥٥ .

زراعة قصب السكر (١) والأرز والقنب والتوت (٢) . وقد أدخل المصريون أيضا زراعة أنواع مختلفة من الفواكه كالليمون والعنب والتين وأرسلت أول أنواع منها فى سنة ١٨٣٣ بناء على طلب الحكمدار خورشيد (٣) .

لتأمين الإنتاج الزراعى رأى خورشيد ضرورة إعتماد الزراعة فى السودان على الرى المستديم لا على الأمطار كما كان معروفا آنذاك ، وإقترح إنشاء سواقى عسلى نمط السواقى المصرية لرى الزراعة فى إقليمى بربر والجعليين (٤) . وقد وافق الباشا على هذا الإقتراح فأرسل فى سنة ١٨٢٦ « نجارين وبنائين وحافرى الآبار لتعليم الأهالى صناعة إنشاء السواقى (٥) » . وقد إهتم عاهل مصر أيضا بحفر الترع والجسور فأرسل مثلا فى سنة ١٨٣٠ مهندسين وألف فأس لشق القنوات وتنظيفها فى مديرية بربر والجعليين (٦) .

وللمحافظة على محاصيل البلاد إهتمت الحكومة بمحاربة الآفات التى تعرضت لها الزراعة كالجراد الذى كثيرا ما أثر على الإنتاج الزراعى فى السودان فهلك مثلا فى سنة ١٢٤٣ « ١٨٢٧ — ١٨٢٨ » كل محصول النبارى فى مائة وخمسين ساقية فى قسم سكوت والمحس التابع لدنقلا (٧) . وعندما علم ديوان الخديوى بخطر الجراد فى بربر أصدر أوامره إلى حاكم قنا واسنا بأن يحذر المسئولين فى وادى حلفا من هذا الخطر ليعملوا على محاربته بوضع بعض الجنود الباشبوزق جنوبى المدينة ليخيفوه فيغير إتجاهه. أما إذا وصل الجراد إلى محطات الجنود فما عليهم الا أن يحفروا حفرا فى

---

(١) دفتر ٧٦٠ ديوان الخديوى ، ترجمة القرار رقم ٣٨٠ بتاريخ ٤ جماد أول سنة ١٢٤٥ .

(٢) الوقائع المصرية ، العدد ١٣١ بتاريخ ١٢ شوال سنة ١٢٤٥ .

(3) Hill:Egypt in the Sudan, P. 53–54.

(٤) دفتر ٢٠ معيه تركى ، ملخص ترجمة الأمر رقم ٤٢١ بتاريخ ٢٧ محرم سنة ١٢٤٢ .

(٥) دفتر ٢٦ معيه تركى ، ملخص المكاتبة التركية رقم ١٠٠ بتاريخ ١٩ رجب سنة ١٢٤٢ .

(٦) الوقائع المصرية ، العدد ١٣٢ بتاريخ ٢٧ رجب سنة ١٢٤٦ .

(٧) دفتر رقم ٧٤٣ ديوان الخديوى تركى ، ترجمة الوثيقة رقم ١١٩ بتاريخ ١٢ رجب سنة ١٢٤٣ .

طريقه ويحرقوها مما سيؤدى إلى القضاء على هذا الخطر (١) . وفي كردفان صدرت الأوامر لعساكر الحكومة هناك « بان يبادروا بمعاونة الأهلين في الهجوم على الجراد وإبادته كلما أحسوا مجيئه وان يبذلوا جهدهم لحفظ المديرية وصيانتها من الضرر (٢) » .

المواشي :

لم يكن من المستغرب أن يهتم الباشا بالماشية السودانية إذ أن مصر كانت في امس الحاجة للثيران السودانية للإستعانة بها في الزراعة « كتدوير السواقى (٣) » وحرث الأرض ولإستخدامها كقوة محركة رخيصة التكاليف (٤) . وقد إستعان بها الباشا أيضاً في بعض الإصلاحات الداخلية الإخرى، فهو قد أمر ناظر المواشي بارسال أربعة وعشرين رأسا منها لإستخدامها في « تجربة الماكينة الخاصة بالطين في ترعة المحمودية (٥) » . أما الجمال السودانية فقد ازدادت حاجة الباشا لها أثناء حروبه الصحراوية ضد الوهابيين في الجزيرة العربية لنقل المؤن والعتاد لجنوده هناك (٦)، كما إحتاج أيضا للخيل السودانية لإستخدامها في سلاح الفرسان .

هذا وقد حصل الباشا ورجاله على الماشية السودانية بثلاث طرق أولها الغزوات التى أرسلت لصيد العبيد في فازوغلي وجبال النوبه (٧) ولإخضاع القبائل المتمردة على الحكومة . فبعد غزوة ناجحة أرسلها إسماعيل باشا لإخضاع قبيلة الشكرية ، تعهد زعماؤها بدفع ستة آلاف جمل وخمسمائة

(1) Hill : Egypt in the Sudan, P. 55.

(٢) مقار : الرحالة بالم ، ص ٦١ . نقلا عن دفتر ٣٩٩ صادر ديوان الملكيه . وثيقة رقم ٦٢ بتاريخ ٢٤ رمضان سنة ١٢٦١ .

(٣) دفتر ٨٩ معيه تركي ، ترجمة الأمر رقم ١٤٦ بتاريخ ١٦ صفر سنة ١٢٥٣ .

(4) Hill: Egypt in the Sudan, 55.

(٥) دفتر ٣٩ معيه تركي ، ملخص الوثيقة التركية رقم ٩٧ بتاريخ ٦ رجب سنة ١٢٤٤ .

(٦) دفتر ٥٨ معيه تركي ، ترجمة الأمر ٢٢٦ بتاريخ ٢٥ ربيع الاخر سنة ١٢٤٩ .

(7) Hill : Egypt in the Sudan, P. 55.

شاة للحكومة (١) . وعندما تمرد سكان المناطق القريبة من الزيداب وإحتموا بالجبال ، وجه عثمان بك جركس ، الذى كان سائرا آنذاك فى طريقه من مصر إلى سنار ، حملة عليهم إجبرهم بعدها على النزول من الجبال وإستولى بعض ماشيتهم (٢) ، كما غزا مصطفى اغا فى سنة ١٨٢٨ جماعة من عربان كردفان وإستولى على كمية من أبقارهم (٣) .

وقد حصل الباشا على بعض الماشية السودانية بشرائها من أصحابها . فمن إستعراض بعض الرسائل التى بعثها لموظفيه يتضح لنا أنه درج على إرسال بعض رجـــاله من مصر إلى سنار وكردفان خصيصا لشـــراء الماشية السودانية . ففى رسالة الي مدير أسيوط قال الباشا : « سيسافر حامل أمرى القواسى إسماعيل الاردنلى إلى سنار لإشتراء المواشى ومعه القواسى محمد فاذا وصلا اليكم فاصرفوا لهما مبلغ مائة وخمسين كيسا من خزينة مديرية أسيوط وخذوا منهما إيصالا جريا على الأصول (٤) » . وفى نفس الرسالة أمر المدير المذكور بصرف مائة وخمسين كيسا لدرويش اغا الكلسلى ومبلغ آخر غير محدد لعارف محمد أفندى المنتدبين لشراء المواشى السودانية (٥) .

وبجانب الرجال الذين أرسلهم الباشا بنفسه فقد حرص أيضا على الإتصال بشيوخ مصر ليرسلوا من جانبهم رجالا يثقون فيهم لشراء المواشى من سنار وكردفان وإرسالها لمصر لتباع هناك للحكومة وغيرها بأى ثمن يريدون بيعها به . وبالفعل فقد وجه الباشا كل من حسين اغا مدير نصف الوجه القبلى ومحرم اغا مدير الوجه القبلى الشمالى بالاتصال بالشيوخ فى هذا

---

(١) دفتر ١٠ معيه تركى ، ترجمة الوثيقة رقم ٣٤٧ بتاريخ ٢٩ شوال سنة ١٢٣٧ .
(٢) دفتر ١٦ معيه تركى ، ترجمة الوثيقة رقم ٤٢٠ بتاريخ ١٣ ربيع الآخر سنة ١٢٤٠ .
(٣) دفتر رقم ٢٦ معيه تركى ، ملخص الوثيقة التركية رقم ٢٧٣ بتاريخ ٢٠ رمضان سنة ١٢٤٣ .
(٤) دفتر رقم ٨٠ معيه تركى ، ملخص الوثيقة رقم ٦٨٠ بتاريخ ٢٠ ذى القعدة سنة ١٢٥٢ .
(٥) نفس الوثيقة .

الصدد ومدهم بالمال إن احتاجوا اليه على أن يخصم ما أخذوه من « أصل الثمن عند بيع الجمال للحكومة (1) » ، كما أمر المسئولين فى مصر والسودان بتقديم كل المساعدات اللازمة لأولئك الرجال الموفدين إلى سنار وكردفان فى هذه المهمة الهامة العاجلة (2) . ولتسهيل مهمتهم هناك طلب الباشا من المسئولين جمع كل الحيوانات المراد بيعها مهما كان عددها فى منطقة واحدة (3) .

وقد حققت هذه الإتصالات التى قام بها المديران المذكوران بعض النجاح إذ التزم الشيوخ بارسال بعض رجالهم لشراء الماشية من سنار وكردفان ، فارسلوا مثلا فى سنة ١٨٣٣ وفدا برأس مال قدره مائة وأربعة وستين ألفا وخمسمائة قرش دفع الشيوخ منها خمسة وثمانون ألفا وخمسمائة قرش والباقى دفعته الحكومة (4) .

وبجانب الغزو والشراء فقد أخذت الحكومة فى بعض الأحيان الماشية من الأهالى بدلا عن الضرائب إذا عجزوا عن دفعها نقدا باعتبار قيمة الثور الكبير خمسة وثلاثين قرشا (5) . فقد كان على البقارة مثلا أن يدفعوا ضريبة مقدارها إثنى عشر ألف ثور (6) .

وقد ظهر إهتمام الباشا باستيراد أكبر قدر من الماشية السودانية من الرسائل التى بعث بها إلى المسئولين فى السودان . فهو قد طلب من الدفتردار إرسال ألفى جمل ومائتى جاموسة إلى حاكم دنقلا ليقوم بدوره بارسالها إلى اسوان (7) ، كما أنه أمر فى سنة ١٨٢٦ كل من سليمان بك المعين

---

(1) دفتر ٥٨ معيه تركى ، ترجمة الأمر ٢٠٩ بتاريخ ٢٢ ربيع الاخر سنة ١٢٤٩ .

(2) الوثيقة السابقة .

(3) دفتر ٥٨ معيه تركى ، ترجمة الأمر ٢١٣ بتاريخ ٢٣ ربيع الاخر سنة ١٢٤٩ .

(4) الوثيقة السابقة .

(5) Pallme : Travels in Kordofan, P. 37.

(6) المصدر السابق ، ص ١١٨ .

(7) دفتر ١٠ معيه تركى ، ترجمة الوثيقة رقم ١٨١ بتاريخ ٩ شوال سنة ١٢٣٧ .

على كردفان ومحو بك والحكمدار خورشيد بارسال أربعة آلاف ثور (١) . وأربعة الاف جمل(٢) وخمسة وعشرين ألف راس من الماشية على التوالى . غير أن خورشيد إعتذر عن إرسال هذه الكمية من المواشى إذ أن أخذها من الأهالى سيضطرهم إلى ترك أراضيهم مما سيؤثر على إقتصاديات البلاد ، كما أن الحكومة لم تعد المحطات ولم تجهز العلف اللازم لها خلال رحلتها الطويلة(٣). ولتميز مواشى الحكومة عن غيرها ولضمان عدم التلاعب فيها ، أرسل الباشا خمسة وعشرين ختما كل واحد منها بحجم الريال الفرنسى خمسة عشر منها لرستم باشا حاكم كردفان والعشرة الباقية لخورشيد باشا ليختموا بها الحيوانات المرسلة من مناطقهم إلى مصر .

وقد إتخذ الباشا عدة تدابير للاعتناء بالمواشى خلال رحلتها الطويلة إلى مصر فهو قد أرسل الرسالة تلو الأخرى للمسئولين فى السودان يحثهم فيها على إعداد العلف اللازم لها كالتبن والبوص (٤) . فقد كلف قاسم اغا حاكم دنقلا « بترتيب ذرة كافية للحيوانات التى تقرر إحضارها من كردفان بواسطة الأميرلاى الأول سليمان بك والإعتناء بعدم هلاكهم وإيصالهم سالمين من دنقله إلى وادى حلفا (٥) » . وصدرت الأوامر لحاكم بربر « بصرف العليق اللازم للأبقار الواردة من طرف الأميرلاى سليمان بك بواسطة قاسم اغا إلى حاكم دنقله والعناية بها لوصولها سالمة (٦) » . وفوق هذا كله فقد

(١) دفتر ٢٠ معيه تركى ، ملخص الوثيقة التركية رقم ٣٨١ بتاريخ ٢١ شوال سنة ١٢٤١هـ

(٢) دفتر ٢٤ معيه تركى ، ملخص الوثيقة التركية رقم ٣١٢ بتاريخ ٢٨ شوال سنة ١٢٤١ .

(3) Hill : Egypt in the Sudan, P. 56.

(٤) درج بعض المسئولين على شراء العلف اللازم لتلك المواشى من شيوخ وأهالى البلاد ، ففى رسالة إلى مختار بك نعرف أن محرم اغا إتصل بحكام أخطاط قسم حلفا « واتفق معهم على أن يكون ثمن حملة التبن باعتبار أنها مائتا أقه أربعة قروش ونصف وحملة البوص بقرشين ونصف . »

دفتر ٧١ معيه تركى ، ترجمة الوثيقة رقم ٣٤٦ بتاريخ ١٩ ذى الحجة سنة ١٢٥١ .

(٥) دفتر ٢٤ معيه تركى ، ملخص ترجمة الوثيقة رقم ٢٨١ بتاريخ ٢٢ شوال سنة ١٢٤٤ .

(٦) دفتر ٢٠ معيه تركى ، ملخص الوثيقة التركية رقم ٣٩٠ بدون تاريخ .

حث الباشا المسئولين على إرسال المواشى فى فصل الخريف حتى يضمن وجود العلف الكافى لها (1) .

ولضمان سلامة تلك المواشى وتفادى هلاكها فى الطريق ، أمر الباشا أيضا بأن تسير لمدة ثلاث ساعات أو أربع على الأكثر فى اليوم الواحد وأن ترسل على دفعات متعددة تتكون الواحدة منها من حوالى مائتين وخمسين رأسا فقط ،وتبعث كل واحدة منها قبل الأخرى بيومين لكى « لا يزدحم بعضها على بعض حتى لا يصيبها أذى ونصب من جراء ذلك(2). » أما المواشى التى تعرضت أظلافها للهلاك خلال هذه الرحلة الطويلة فقد أمر الباشا بكسوها بأكياس خاصة صنعت من « الليف » (3) .

لم يكتف الباشا بالأوامر التى أصدرها للمسئولين للعناية بتلك المواشى بل أنه عين مامورا مستقلا ليكون مسئولا عن الإشراف عليها والعناية بها حتى تصل إلى مصر (4) ، وليراقب الموظفين المكلفين باحضارها ويرسل تقارير منتظمة عن المقصرين والمهملين منهم ليعاقبوا عقابا رادعا (5) . وقد إهتم الباشا أيضا بصحة تلك المواشى فأرسل الأطباء البطريين إلى المناطق التى جلبت منها للكشف عليها والتأكد من سلامة صحتها على أن يرجعوا منها فورا « مالا يصلح للأغراض التى تجلب من أجلها (6) » ، كما طلب من الدكتور « آمون » وضع اسس ثابتة للمحافظة على صحتها (7) . ولضمان سلامتها

---

(1) دفتر ٧٤ معيه تركى ، ملخص الوثيقة التركية رقم ٣١٢ بتاريخ ٢٨ شوال سنة ١٢٤١ .

(2) دفتر رقم ٧٤٣ خديوى تركى ، ترجمة الوثيقة رقم ٩٤ بتاريخ ٢٠ جمادى الآخر سنة ١٢٤٣ .

(3) دفتر ٨٤ معيه تركى ، ترجمة الوثيقة رقم ٣٠٩ بتاريخ ١٤ صفر سنة ١٢٥٣ .

(4) دفتر ٧٤٤ ديوان الخديوى تركى ، ترجمة الأمر ٢١٤ بتاريخ ٢٦ ذى القعدة سنة ١٢٤٣. فى سنة ١٨٢٨ عين على اغا ليكون مسئولا عن تلك المواشى .

(5) دفتر ٦٨ معيه تركى ، ترجمة الأمر ١٦٠ بتاريخ ٦ جمادى الآخر سنة ١٢٥١ .

(6) دفتر ٧٩ معيه تركى ، ترجمة الامر ٧٧٧ بتاريخ ٢٣ ذى القعده سنة ١٢٥٢ .

(7) دفتر ٨٩ معيه تركى ، ترجمة الأمر ١٤٦ بتاريخ ١٦ صفر سنة ١٢٥٣ .

أعدت حكومة الباشا خمسا وتسعين محطة مبتدئة بالترعة الخضراء على النيل الأبيض ومنتهية باسوان (١) .

وكما إهتم الباشا بتلك المواشى خلال رحلتها لمصر ، فقد حرص أيضا على الإعتناء بها عند وصولها هناك . فهو قد أمر محمد أفندى مأمور اسنا بترتيب العلف الكافى لها (٢) كما وجه مختار بك مدير الوسطى والوجه القبلى بامدادها بعشرين ألف أردب ذرة (٣) . وعندما علم الباشا ان كثيرا من الأبل تموت بعد وصولها إلى مصر لعدم ملاءمة الجو لها ، أصدر أوامره إلى مختار بك باختيار رعاة من مواطنى مديريته ليرعوها هناك حتى تتأقلم على الجو الجديد وبالتالى تقل نسبة هلاكها (٤) . وقد أمر الباشا كافة مديرى الوجه القبلى أن يعزلوا المواشى الضعيفة التى تمر بمديرياتهم « عن قطيعها ويسلموها إلى شيخ المنطقة التى هى فيها أو ناظر القسم للاعتناء بها إعتناء تاما حتى تتحسن حالتها وتسترد نشاطها وقوتها وتصبح قادرة على المشى وعندئذ يرسلوها إلى محلها ثانية (٥) » . ولتشجيع المسئولين للمحافظة على الإبل خاصة ، خصص الباشا شيئا من النقود لكل من أتى بجمل سليم الجسم إلى مصر (٦) .

إلا أنه على الرغم من كل هذه الترتيبات التى إتخذها الباشا فقد تعرضت كثيرا من الماشية السودانية إلى الهلاك فى مصر وسرت عدواها إلى مواشى مصر نفسها مما إضطر الباشا فى سنة ١٨٤٦ إلى عرض الأمر على مجلس مكون من عدد من الأطباء البيطريين لإتخاذ قرار مناسب فاستقر رأيهم على الآتى :

---

(١) شبيكه : السودان فى قرن ، ص ٥٠ .

(٢) دفتر ٢٤ معيه تركى ، ملخص الوثيقة التركية رقم ٢٧٩ بتاريخ ٢٢ شوال سنة ١٢٤١ .

(٣) دفتر ٧١ معيه تركى ، وثيقة رقم ٣٣٤ بتاريخ ٢١ ذى القعده سنة ١٢٥١ .

(٤) دفتر ٧٨ معيه تركى ، ترجمة الأمر رقم ٣٥١ بتاريخ ١٢ ربيع ١٢٥٢ .

(٥) دفتر ٨٥ معيه تركى ، ترجمة الامر رقم ١١٠ بتاريخ ٢٠ ذى القعده سنة ١٢٥٢ .

(٦) دفتر ٧١ معيه تركى ، وثيقة رقم ٨٥٠ بتاريخ ٢٥ ربيع الاول سنة ١٢٥٢ .

« عند ورود كل فرقة من مواشى بلاد السودان من الآن فصاعدا تبقى بالمحال المناسبة لها فيما بين اسنا واسوان بمعرفة البياطرة حتى تستريح مدة ، والفرقة التى ترد أولا تربط اماما والفرقة الثانية التى تعقبها فى المجىء تربط خلفها وكذا كل فرقة ترد عقب أختها تربط بعدها بحيث لا تزدحم ولا تجتمع بالكلية فى مكان واحد بل تربط متباعدا بعضها عن بعض حسب ما تقتضيه أصول الكرنتينه وتترك بهذا الوجه مدة ستة أشهر وتلاحظ وتنظر مأكولاتها ومشروباتها بالدقة اللازمة والحيوانات التى ترد فى وقت الشتاء تنزل هناك حتى ينقضى موسم الشتاء وتساق وقت الصيف وسوقها يكون بالتدريج فرقة بعد أخرى ليكون إرسالها إلى هنا على نمط الأصول (١) ».

منتجات الماشية :

لقد كانت مصر فى حاجة شديدة إلى جلود الماشية بكل أنواعها لإستخدامها فى بعض المهمات الحربية كصنع الأحذية للعساكر (٢) . لهذا فقد أصدر الباشا أوامره المشددة إلى المسئولين فى السودان بشراء أكبر كمية منها وارسالها فورا إلى مصر ، فطلب مثلا من الحكمدار خورشيد إرسال أربعين أو خمسين ألف جلد سنويا . وعندما علمت حكومة الباشا أن كثيرا من الجلود المستوردة من السودان قد تعفن نسبة لعدم توفر « المواد الدباغية » كالملح الأبيض والجير الجيد ولقلة معرفة الأهلين بنظام تمليحها، قررت تجميعها كلها فى ثلاث أو خمس مراكز ، وأرسلت عددا من الصناع الماهرين لدبغها على أن يصحب كل واحد منهم « عشرين أو ثلاثين شخصا من

---

(١) الوقائع المصرية ، العدد ١٢٧ بتاريخ الأحد ٢٣ شعبان سنة ١٢٦٢ .

(٢) دفتر رقم ٤٧ معيه تركى ، ملخص الوثيقة التركية رقم ١٤ بتاريخ ١٦ شوال سنة ١٢٤٨ .

الأهلين ليتعلموا صناعة التمليح (١) » . ولما علم الباشا فى سنة ١٨٣٢ أن بعضا من الجلود تلفت لإهمال مأمور سنار إذ أنه أرسلها « طرية دون أن تجفف» (٢)، أمر بعزله وإرساله إلى مصر ليحاكم بالنفى إلى أبى قير ليكون عظة وعبرة لغيره .

وقد إعتنى الباشا بصوف الماشية المستورد من السودان لتجربته فى صناعة الجوخ (٣) وفى نسج العباءات والأحزمة فى مصر (٤) . فعندما إتضح للباشا أن صوف الغنم السودانية قصير لا يصلح للانتفاع به ، أمر بارسال مائة وخمسين كبشا من الأقاليم القبلية والوسطى إلى الحكمدار خورشيد باشا لتحسين نسلها حتى تنجب ذرية طويلة الصوف (٥) . ولقص صوف الماشية قصا جيدا أرسل الباشا إلى خورشيد ثلاثة من « جزازى شعور الماشية البارعين » (٦) مع مائة وخمسين مقصا .

بعد أن رأينا حرص الباشا الشديد على الحصول على أكبر كمية من واردات السودان ومنتجاته ، لا بد لنا أن نتساءل عن الطريقة التى إتبعها الباشا للحصول عليها . وهذا سيقودنا إلى مناقشة سياسة الاحتكار التى إتبعها الباشا فى السودان كما إتبعها من قبل فى مصر .

---

(١) دفتر رقم ٧٠٤٢ ديوان الخديوى تركى ، ترجمة الأمر ١٨٥ بتاريخ ٢٧ ربيع الأول سنة ١٢٤٣ .
بما أن الصناع المصريين الذين أرسلوا لدبغ الجلود السودانية قد كلفوا الباشا تكاليف كبيرة دون أن يأتوا بفائدة تذكر ، فقد قرر إرجاعهم إلى مصر والاكتفاء بالصناعة المحلية من الجلود المدبوغة لسد احتياجات الجند .
شكرى : الحكم المصرى فى السودان ، ترجمة صورة مجلس المشورة ، ص ٣٢٣ .
(٢) دفتر رقم ٥٤ معيه تركى ، ترجمة الوثيقة رقم ٧٤ بتاريخ ١١ رجب سنة ١٢٤٨ .
(٣) دفتر ٦٢ معيه تركى ، ترجمة الأمر رقم ١٧٨ بتاريخ ١٥ جمادى الاولى سنة ١٢٥٠ .
(٤) دفتر ٦٦ معيه تركى ، ترجمة الأمر رقم ٤٤٧ بتاريخ ٧ جمادى الاولى سنة ١٢٥١ .
(٥) دفتر ٦٧ معيه تركى ، ترجمة الأمر ٤٩٤ بتاريخ ٧ رمضان سنة ١٢٥١ .
(٦) دفتر ٥٧ معيه تركى ، ترجمة الأمر ١٥٦ بتاريخ ٢٧ محرم سنة ١٢٥٠ .

قضت سياسة الامبراطور العثمانى بحرية التجارة فى كل أجزاء إمبراطوريته، كما عارضت الدول الأوربية خاصة إنجلترا سياسة محمد على الإحتكارية معتمدة فى ذلك على المادة الثالثة والخمسين من قانون الإمتيازات الأجنبية التى خولت للأجانب فى كل إجراء الإمبراطورية العثمانية « الحق فى جلب المتاجر وشراء ما يريدون من السلع وتصديره دون أن يمنعهم أحد من ذلك أو يتعرض لهم بسوء يعطل نشاطهم التجارى (١) » .

الا أن محمد على أصر على إحتكار معظم منتجات السودان ووارداته فأمر فى سنة ١٨٢٤ عثمان بك جركس باحتكار تجارة سن الفيل وريش النعام والصمغ ، كما إنفردت الحكومة بشراء الجلود والسنامكى وغيرها من منتجات البلاد (٢) . وقد كانت الحجة التى برر بها الباشا هذه السياسة هى أن الحكومة زرعت فى السودان أراضى واسعة لم يكن لها مالك من قبل وبذلك صارت هذه الأراضى وما تنتجه ملكا للدولة (٣) . أما الصمغ فقد إحتكره الباشا زاعماً أنه نبت فى الأراضى بالطبيعة دون أن تعمل فيه يد الإنسان شيء يذكر .(٤)

لضمان نجاح هذه السياسة الإحتكارية فرضت الحكومة ضرائب باهظة على نقل المحصولات من مكان لآخر حتى يصعب على أصحابها ترحيلها فيضطروا لبيعها لوكلاءالحكومةبأسعار زهيدة تحددها الحكومة(٥).

---

(١) شكرى : بناء دولة ، ص ٥٨ .

(٢) سمح محمد على لأحد التجار الفرنسيين ، فيسير Vaissiere ، بأن يشترى بماله الخاص ما قيمته عشرة الا ف ريال من سن الفيل والريش والصمغ فى كردفان لا نه ، كما قال الباشا فى رسالة إلى سليمان بك قائمقام الا لا ى الا ول ومأمور كردفان ، « رافق عطوفة نجلنا الباشا فى زحفه على الدرعية وهو يعد من المعارف القدماء » .
دفتر ١٦ معيه تركى ، ترجمة الوثيقة رقم ١٥٤ بتاريخ ٢٧ رمضان سنة ١٢٥٤ .

(٣) شكرى : بناء دولة ، ص ٦١ .

(٤) شبيكه : السودان فى قرن ، ص ٤٩ .

(٥) شكرى : بناء دولة ، ص ٥٥ .

تذمر الا هالى من هذه السياسة الا حتكارية وامتنعوا أحيانا من إحضار منتجاتهم إلى الأسواق .

وقد إهتم الباشا بالحصول عليها فهو قد حث خورشيد باشا على عدم التردد فى طلب المال من مصر لشرائها ، كما أرسل فى سنة ١٨٢٨ إلى قاسم اغا حاكم دنقلا مبلغ خمسة عشر ألف فرانسه لشراء الصمغ من مديريته (١) . وقد أرسل الباشا أحيانا وكلاء مزودين بالمال الكافى لشراء المنتجات السودانية . ففى سنة ١٨٢٥ مثلا أرسل « إثنين من الجلابة لمشترى الصمغ والريش وأرسل معهما ألف كيس نقدية إلى حاكم سنار وطلب كشوف بالأشياء التى تشترى مبينا بها الوزن والكمية والعدد وإرسال المشترى إلى على كاشف ناظر إسوان(٢). وبجانب هؤلاء الوكلاء فقد بعث الباشا فى بعض الأوقات القوافل المحملة بالبضائع المصرية لتباع فى السودان وتشترى الواردات السودانية بأثمانها كما حدث فى سنة ١٨٢٩ عندما أرسل كلا من الحاج سليمان وعلى القراشى مزودين بالمنسوجات والروائح لبيعها فى السودان وشراء الصمغ وسن الفيل وريش النعام من هناك (٣) . وقد تسهلت مهمة أولئك الوكلاء وإستطاعوا الإتصال بصغار التجار فى المدن الكبيرة عن طريق « سر التجار » (٤) .

ترحيل منتجات السودان الى مصر :

خضعت البلاد بعد الفتح المصرى لقوة سياسية موحدة، فهدأت الأحوال إلى حد كبير وقل الخطر على المسافرين وعلى القوافل التجارية . وقد شهد بذلك قنصل فرنسا فى مصر الكونت « بنديتى » الذى ذكر المؤرخ عبد الله حسين أنه قال : « إن الأهالى والأجانب على السواء يستطيعون السير فى أى بلد من البلاد التى يحكمها محمد على فى وادى النيل إلى أقاصى السودان ... فالسودان قد ساده الأمن كما ساد غيره وقد إستطاع الرحالة بالم أن يجتاز

(١) دفتر ٢٦ معيه تركى ، ملخص الوثيقة التركية رقم ٢٥٠ بتاريخ ٢٦ رجب سنة ١٢٤٣ .
(٢) دفتر ٢٠ معيه تركى ، ملخص الوثيقة التركية رقم ٣١ بتاريخ ٢٨ شوال سنة ١٢٤٠ .
(٣) دفتر ٧٥٨ ديوان الخديوى ، ترجمة القرار ٤٦ بتاريخ ١٦ جمادى الاول سنة ١٢٤٥ .
(4) Hill : Egypt in the Sudan, P. 49.
من التقاليد التجارية التى كانت وما زالت معروفه فى السودان وجود مجتمع تجارى فى كل المدن الكبيرة بزعامة تاجر محترم اعطى لقب « سر التجار » .

كردفان مع خادم واحد »(١). هذا لا يعني أن الأمن قد استتب نهائيا في البلاد، إذ أن المنازعات القبليه إندلعت من وقت لآخر، كما أن القوافل التجارية تعرضت أحيانا لخطر اللصوص وقطاع الطرق .

وبينما ساعد هدوء الأحوال على إزدهار التجارة بين مصر والسودان بعد الفتح المصرى . فقد عمل الباشا وحكومته على تطوير المواصلات البرية والنيلية مع السودان حتى يسهل نقل وارداته دون أن يصيبها أى تلف إلى مصر .

سلكت القوافل التجارية التى كانت منذ وقت بعيد أهم وسيلة لنقل التجارة بين مصر والسودان طريقين رئيسيين : طريق بدأ من سنار فشندى وبربر ثم إخترق صحراء العتمور حتى وصل إلى مصر ، وطريق آخر بدأ من سنار أو شندى أو بربر إلى سواكن على البحر الأحمر ومنها إلى مصر(٢). وقد تبادلت مصر التجارة مع دارفور عن طريق درب الأربعين المشهور الذى إستخدم منذ أيام قدماء المصريين (٣) . ولنقل واردات السودان عن طريق القوافل ، إهتم الباشا وحكومته بتوفير الجمال اللازمة لهــا أما بشرائها أو بتأجيرها من أصحابها. وقد صرف على شرائها معظم دخل الحكومة فى دنقلا (٤) . وعندما علم الديوان الخديوى أن كميات كبيرة من الصمغ وسن الفيل والعاج (٥) قد تأخر نقلها فى سنار لعدم وجود المال الكافى لإعداد الجمال ، أمر بارسال المبالغ التالية للحكمدار خورشيد ليدفع منها أجور

(١) حسين : تاريخ السودان ، جـ ١ ص ٩٢ .
(٢) شبيكه : السودان فى قرن ، ص ٧ .
(3) Arkell, A History of the Sudan, P. 214.
(4) Hoskins : Travels in Ethopia, P. 178.
(٥) دفتر ٧٥١ ديوان الخديوى ، وثيقة رقم ٤٧ بتاريخ غرة ذى الحجة سنة ١٢٤٥ . فى هذه المكاتبة قال خورشيد للديوان الخديوى « إنه موجود حتى اليوم من الصمغ الحاصل من ولاية كردفان سبعة الاف ومائة رحل جمل والباقى منه السنة الماضية من جزيرة سنار أربعة الاف وستمائة رحل جمل وأنه موجود من ريش النعام ومن العاج ما يزيد عن خمسين قنطارا » .
الوثيقة السابقة .

الجمال لنقل هذه الواردات المتأخرة : ستمائة كيس من محمود أفندى حاكم دنقلا وأربعمائة كيس من أبراهيم اغا مأمور سنار ومائتى كيس من خزينة القاهرة (١) . وقد أرسل الديوان الخديوى أيضا مبلغ خمسة وعشرين ألف فرانسه إلى رستم بك حاكم كردفان ليؤجر بها الجمال اللازمة لنقل الصمغ من هناك إلى مصر (٢) .

وقد إستعانت الحكومة ببعض القبائل السودانية لمدها بالإبل ومساعدتها فى نقل الواردات السودانية تارة ولحراسة القوافل التجارية من خطر اللصوص وقطاع الطرق تارة أخرى . فالكبابيش ، الذين إمتازوا بخبرة دقيقة بجميع الطرق الصحراوية ومقدرة فائقة على تحمل متاعب السفر ، أمدوا الحكومة بالإبل وساعدوها فى نقل البضائع من كردفان وسنار ودنقله إلى مصر مقابل أجور معينة(٣).وعندما تم فتح السودان وافق إسماعيل باشا على ترك مهمة حماية طريق عتمور أبى حمد من كرسكو من قطاع الطرق لشيخ قبيلة العبابده على أن يأخذ مقابل هذه الحماية « قيمة عشر ما يمر فيه من بضائع وسلع وغيرها (٤) » .

لم تكن للملاحة النهرية قبل الفتح المصرى أهمية كبيرة فى النقل التجارى بين مصر والسودان وذلك للشلالات فى بعض إجزاء النيل وجهل السودانيين بصناعة المراكب ، كما أن نقل البضائع عن طريق النيل جعلها أكثر تعرضا للرسوم والضرائب من جهة وللسلب والنهب من جهة أخرى . وقد أوقفت الرحلات النهرية الطويلة نهائيا فى أواخر عهد سلطنة سنار نسبة للفوضى وعدم استتباب الأمن . كذلك قل إستعمال البحر الأحمر فى نقل التجارة بين البلدين إذ أن الملاحة فيه لم تكن منظمة فالسفن التى إستعملت كانت قليلة رديئة الصناعة وربانها وملاحيها عرفوا بعدم الخبرة والكفاءة .

(١) الوثيقة السابقة .

(٢) ديوان الخديوى بدون رقم وبدون تاريخ محدد (سنة ١٢٤٥) .

(3) Pallme, Travels in Kordofan, pp. 132–33.

(٤) العبادى : من زوايا التاريخ ، ص ٥ .

وفوق هذا كله فقد خشى السودانيون ركوب البحر (١).

إلا أن الملاحة النهرية نالت إهتماما كبيرا فى عهد محمد على لإستعمالها كوسيلة رخيصة للمواصلات بين السودان والموانىء المصرية ولترحيل واردات السودان إلى مصر . فقد بنيت فى عهد الحكمدار خورشيد ترسانة لصنع القوارب فى منجاره بالقرب من ود شلعى على النيل الأبيض وأخرى فى الكاملين (٢) ، كما شيدت ترسانتين أخريتين فى سنار (٣) وبربر (٤) . وقد إهتم عاهل مصر بارسال جميع مسلتزمات صناعة المراكب من مهندسين وخبراء . وبينما أصر الباشا على دفع أثمان المعدات الحربية التى أرسلت للسودان من مصر كالجبخانة وغيرها نقدا ، قبل الصرف على المعدات التى أرسلت لصناعة القوارب فى السودان على أن لا تدفع أثمانها نقدا بل تسجل فى وصولات ترسل إلى خزينة القاهرة (٥) .

وجه بعض النقد للمراكب المصنوعة فى السودان، فأرسل الباشا فى سنة ١٨٣٢ سعيد أفندى للتحقيق فى أسباب رداءة صناعتها (٦) . إلا أنها تحسنت بمرور الزمن، حتى أن معظم واردات السودان أرسلت عن طريق النيل . وبينما لم يعرف قبل الفتح المصرى إلا قوارب صغيرة مصنوعة من خشب السنط ، أدخل المصريون أنواعا كثيرة من القوارب كالقياسه « حاملة بضائع » والذهبية « ناقلة مسافرين » والخانجه (٧) .

---

(٢) مقار : أحوال السودان الإقتصادية ، ص ٣٥٣ - ٥٤ .

(2) Hill : Egypt in the Sudan, P. 61.

(٣) دفتر ٧٨٥ ديوان الخديوى تركى ، وثيقة رقم ٣٠٤ ص ١٩١ بتاريخ ٢١ رجب سنة ١٢٤٨.

(٤) دفتر ٣٤٥٨/٢٥ مديرية بربر والجعليين (عربى) صادر ، وثيقة ص ٢٢٢ بتاريخ ٢٤ ذى القعده سنة ١٢٦١ .

(٥) دفتر ٨٩ معيه تركى ، ترجمة الأمر رقم ٨ بتاريخ ٢ محرم سنة ١٢٥٣ .

(٦) دفتر ٧٨٠ ديوان الخديوى ، وثيقة رقم ٣١ بتاريخ غرة رمضان سنة ١٢٤٧ .

(7) Hill : Egypt in the Sudan, P. 60

وقد عملت حكومة الباشا على تنظيم وتسهيل الملاحة فى الشلالات بأن عينت فى كل منها لجنة كونت من مشرف عام « وريس » مع بعض البحارة وأهالى المنطقة . وقد عين أيضا فى كل المدن النهرية الهامة شخص ليكون مسئولا عن الإشراف وضمان سلامة الواردات السودانية المرسلة إلى مصر (1) ولكن إلى أى حد نجح الباشا فى استغلال منتجات السودان ووارداته ؟

لا شك أن الباشا قد أحرز شيئا من النجاح وعادت عليه بعض الفوائد من التجارة فى منتجات السودان ووارداته . فعلى الرغم من معارضة بعض القبائل السودانية (2) ومشاق الطريق فقد أرسلت بعض المواشي السودانية إلى مصر ،ووصل منها فى سنتى ١٨٢٨ و ١٨٣٥ — ١٨٣٦ أربعة آلاف ثور(3) وسبعة الاف رأس من البقر (4) على التوالى، كما وصلت فى سنة ١٨٣٧ كمية أخرى من الجمال والثيران (5). أما منتجات الماشية كالجلود والصوف فقد وصلت كميات منها إلى مصر من وقت لآخر . ففى سنة ١٨٣٦— ١٨٣٧ مثلا أرسلت حوالى ٢٥ر٠٠٠ جلد بقرى و ٦ر٤٠٠ جلد ما عز و ١٩ر٦٠٠ جلد ماشية (6) .

وفى مجال الزراعة حاول الباشا إدخال زراعة بعض المحاصيل السودانية فى مصر . فعندما رأى الباشا فى سنة ١٨٢١ حنا الطويل لابسا « الفردة » السودانية أعجب بها وقرر إدخال زراعة ذلك القطن الذى صنعت منه .

---

(1) المصدر السابق ، ص ٦١ .

(2) أرسل خورشيد باشا الكاشف محمد الخريطولى إلى عرب البشاريين لجمع خمسمائة جمل منهم ، إلا أنهم هجموا عليه وقتلوا ثلاثة وعشرين من رجاله مما إضطر الحكومة لا رسال حملة أخرى مكونة من مائة وعشرين فارسا لإخضاعهم وجمع تلك الجمال منهم .
دفتر ٧٨ معيه تركى ، ترجمة الامر رقم ٣٥٠ بتاريخ ١٢ ربيع الاخر سنة ١٢٥٢ .

(3) دفتر ٣٠ معيه تركى ، ترجمة الأمر رقم ١٢٣ بتاريخ غرة ذى القعده سنة ١٢٤٣ .

(4) دفتر ٧١ صادر المعيه ، وثيقة رقم ٢٤٥ بتاريخ ٢٧ شوال سنة ١٢٥١ .

(5) دفتر ٧٩ معيه تركى ، ترجمة الأمر ٧٧٧ بتاريخ ٢٣ ذى القعده سنة ١٢٥٢ .

(6) Hill : Egypt in the Sudan, P. 56.

وبالفعل طلب من عثمان بك جركس – حاكم سنار – إرسال عينة منه مع كمية من بذوره من مكاده ، أحد الأقاليم الحبشية الذى إشتهر بذلك النوع من القطن وبعد خمسة عشر مرحلة من سنار (١) . وقد أرسل محو بك – خليفة عثمان – تلك العينة مع البذرة المطلوبه ، التى عرفت باسم « بذرة محو بك » (٢) . وقد كانت النيلة أيضا من المحاصيل السودانية التى جربت زراعتها فى مصر ، فقد أمر محمد على عثمان بك بارسال حوالى عشرة آلاف أردب من بذرتها (٣) ، كما أصدر توجيهاته إلى كل من محو بك وحاكم كردفان فى عهده بان يرسل كل منهما إلى مصر « ألفى أردب من النيلة الجبلى (٤) » .

والنيلة من أهم المحاصيل التى نجحت زراعتها فى السودان . وقد لاحظ الرحالة هوسكنس خلال زيارته للسودان أنه قد خصص لريها فى مديرية دنقلا العرضى خمسة آلاف ساقية (٥) ، وفى أرقو وحدها حوالى خمسمائة ساقية (٦).وقد انشأت الحكومة لصناعتها خمسة مصانع فى السودان فى مروى وحنك وحفير ودنقلا العجوز ودنقلا العرضى ، كان الواحد منها ينتج مالا يقل عن ١٨٤٦ أقة سنويا (٧) . ونتيجة لسياسة الإحتكار فقد إستفادت الحكومة فائدة كبيرة من هذا المحصول إذ أنها كانت تشترى القنطار الواحد منه باثنى عشر قرشا فى السودان (٨) وتبيع الاقه الواحدة فى القاهرة بحوالى خمسة عشر دولارا (٩) .

---

(١) دفتر رقم ١٤ معيه تركى ، ترجمة الوثيقة رقم ٦١٧ بتاريخ ١٦ ربيع الثانى سنة ١٢٤٠
(2) Hill : Egypt in the Sudan, P. 52.
(٣) دفتر ١٦ معيه تركى ، ترجمة الوثيقة رقم ٤٧٥ بتاريخ ٣ شعبان سنة ١٢٤٠ .
(٤) دفتر ٢٠ معيه تركى ، ملخص الوثيقة رقم ٣٣ بتاريخ ٢٨ شعبان سنة ١٢٤٠ .
(5) Hoskins : Travels in Ethopia, P. 177.
(٦) المصدر السابق ، ص ٢١٥ .
(٧) المصدر السابق ، ص ١٦٢ .
(٨) المصدر السابق ، ص ١٦٢ .
(٩) المصدر السابق ، ص ٥٣ .

والصمغ أيضا من الواردات السودانية الهامة التى صدرت إلى مصر ، فكردفان وحدها أرسلت سنويا ألفين وخمسمائة جمل محملة بالصمغ . وقد إشترت حكومة الباشا القنطار الواحد منه من المزارعين فى كردفان بحوالى ١⅔ دولار وباعته فى القاهرة بعشرين دولارا (١) .

وفى عهد حكومة محمد على تطورت تجارة الريش (٢) بينما كان الوارد من سن الفيل إلى مصر قليلا لبدائية الطرق التى إتبعت فى صيده ، فالشلك فعلوا ذلك باحد طريقتين « احدهما إنهم يحفرون حفرة فى البحر ويسترون فيها بالقش ، فعند مروره عليها يقع فيها فيقتلونه ويأخذون لحمه وأسنانه . والطريقة الثانية ان الفيل ينزل فى البحر ليعبر إلى الجانب الآخر فيهجمون عليه وهو فى وسط البحر ويركبه رجلان أو ثلاثة ويجرون خرطومه إلى الماء حتى لا يتنفس منه وكلما أخرجه جذبوه إلى الماء ولا يزالون يفعلون به هكذا حتى يموت غرقا » (٣). أما البقاره فقد اعتادوا صيده بان « يركب منهم خمسة أو ستة رجال على أفراسهم ويذهبوا إلى الفيل ويحيطو به ويجيء أحدهم أمامه فيشتغل به الفيل ويهجم عليه وعند ذلك يذهب أحد المشاة ويضرب أرجل الفيل بالحربة حتى تنقطع عروقه وأعصابه فيقع على الأرض فيهجمون عليه ويقتلوه » (٤) . رغم ذلك فقد عادت تجارة السن على حكومة الباشا بدخل لا بأس به ، إذ أنها اشترت القنطار الواحد منه فى كردفان بستة عشر دولارا وباعته فى القاهرة بما لا يقل عن ثمانين دولارا (٥) .

وقد صدرت إلى مصر الأخشاب السودانية بأنواعها المختلفة كالأبنوس واللبخ والسنط خاصة فى عهد خورشيد باشا الذى أرسل فى سنة ١٨٣٢ الفا

---

(١) المصدر السابق ، ص ١٧٨ .

(2) Hill: Egypt in the Sudan, P. 52.

(٣) الوقائع المصرية ، العدد ٦٢٦ بتاريخ الأحد ٦ صفر سنة ١٢٦٠ .

(٤) المصدر السابق .

(5) Hoskins : Travels in Ethopia, P. 178.

وستمائة وخمسين قطعة من خشب الأبنوس محمولة فى بعض القوارب المصنوعة فى سنار (١) . وعندما علم الباشا أنه قد صنع من شجر العشر السودانى بارود جيد وحبال قوية متينة (٢) ، أصدر أوامره بجلب ثلاثمائة أقة من اليافة لتجربتها فى هاتين الصناعتين فى مصر (٣) .

ولكن يبدو أن الباشا لم ينجح نجاحا تاما فى دفع التقدم الإقتصادى فى السودان وبالتالى لم يستفد الإستفادة الكاملة التى كان يتوقعها من منتجات السودان ووارداته وربما عاد ذلك للأسباب التالية :

أولا : الضرائب :

لم يعرف السودانيون قبل الفتح المصرى الضرائب بالطريقة التى كانت عليها فى مصر آنذاك ،فبعضهم « لا يدفع ضريبة مطلقا وبعض عربان البادية يأخذ منهم الملوك ضريبة غير باهظة فى فترات متقطعة غير منتظمة . فالملوك أنفسهم سواء كانوا ملوك الفونج والعبدلاب أو ملوك ومشائخ القبائل يطلبون المساهمة من رعيتهم لتجهيز حرب فى بعض الأحيان،ولكنهم يعتمدون فى الغالب على ثروتهم الشخصية من مزارع ورقيق أو مكوس وجمارك يجبونها من القوافل والأسواق (٤) » .

وعندما إستولى محمد على على حكم البلاد فرضت على الأهالى ضرائب منتظمة تحتم عليهم دفعها فى أوقات معلومة . فبعد أن تم الفتح كونت لجنة من المعلم حنا الطويل وديوان أفندى بالاشتراك مع الأرباب محمد دفع الله ود أحمد لوضع التنظيمات الضريبية . وقد كانت التقديرات التى وضعتها تلك اللجنة كالآتى :

---

(١) دفتر ٥١ معيه تركى ، ملخص الوثيقة التركية رقم ١٣٧ بتاريخ ١٧ رجب سنة ١٢٤٨.

(٢) الوقائع المصرية ، العدد ٥٤٨ بتاريخ الخميس ٢ ربيع الاخر سنة ١٢٤٩ .

(٣) دفتر ٧٩٧ خديوى تركى ، ملخص الوثيقة ١١٩ ص ٨٦ بتاريخ ١٨ رجب سنة ١٢٤٩.

(٤) شبيكه : السودان فى قرن ، ص ٦ .

سنار	۱۱٫۱۰۰ كيس
حلفا	۲۹٤ كيس
العرب بجهة النيل الأبيض	۳۱٤ كيس
	۱۱٫۷۰۸ (۱)

أما الضرائب على السواقى فقد قدرت على حسب الأراضى التى ترويها الساقية فكلما إتسعت زادت الضريبة المفروضة عليها (۲) . وقد زعم الرحالة هوسكنس أن الضريبة المفروضة على الساقية الواحدة فى مروى بلغت عشرين دولارا (۳) بينما زادت فى دنقلا من دولار واحد مع رأس من الماشية وقطعتين من قماش التيل قيمة كل واحدة منها ستة قروش قبل الفتح المصرى إلى عشرين دولارا دفعت منها خمسة عشر نقدا والخمسة الباقية عيناً بعد الفتح . هذا يعنى – فى رأى هوسكنس – أن الضريبة المفروضة على الساقية الواحدة قبل الفتح ساوت فى جملتها حوالى عشر الضريبة التى فرضت بعد الفتح (٤) .

وقد فرضت تلك الضرائب دون النظر لإمكانيات البلاد الإقتصادية ودون إعتبار للأحوال الجغرافية ، فقد يقل المحصول لقلة الأمطار فى سنة من السنين أو قد يتلف بفعل الآفات مثل الجراد، وقد تتعرض الماشية لأمراض وبائية تفتك بها (٥) . وبجانب هذا فقد كانت الطريقة التى جمع بها الجنود هذه الضرائب طريقة وحشية ،فكثيرا ما تعرض الأهالى لأقسى أنواع العقاب إن تأخروا فى تسديدها (٦) . وفى بعض الأحيان هاجمت قوات الحكومة

(١) شكرى : الحكم المصرى فى السودان ، ترجمة صورة مجلس المشورة ص ٣٢٨ .

(2) Hill : Egypt in the Sudan, P. 41.

(3) Hoskins : Travels in Ethopia, P. 162.

(٤) المصدر السابق ، ص ١٧٨ .

(5) Pallme : Travels in Kordofan, P. 38.

(6) Hoskins : Travels in Ethopia, P. 234.

الجهات التى تأخرت فى دفع الضرائب والحقت بأهلها إضرارا بالغة . فقد تجول مثلا رستم بك فى بعض جهات كردفان مع جماعة من عساكره « لاجل تحصيل بقايا الفرده (١) » . ومما زاد الطين بلة أن المسئولين طلبوا أحيانا دفع هذه الضرائب نقدا فى وقت كانت فيه كمية النقد محدودة حتى ان الناس إستعملوا الذرة والدمور فى معاملاتهم التجارية (٢) .

لقد كانت هذه الضرائب عبئا ثقيلا على كاهل المواطنين الذين تفادوها أحيانا باخفاء ما عندهم من محاصيل وأموال (٣) . أما الذين عجزوا عن دفعها فلم يجدوا طريقا سوى الفرار وترك أراضيهم وديارهم خاصة إلى دار عطيش الواقعة على نهر الدندر . فعلى أثر الضرائب الباهظة التى فرضها حنا الطويل عقب الفتح مباشرة هرب « سكان نحو خمسمائة قرية من القرى بين حلفاية وبين فازوغلى شرقا وغربا وفر بعضهم إلى الحبشة وآخرون إلى جهات أخرى » (٤) .

وتفاديا لها درجت قبائل البقارة على الهروب فى فصل الصيف من كردفان إلى الغابات النائية الوعرة المسالك فى جهات شيبون ورونجا وقولا ؛ حيث عجزت قوات الحكومة عن اللحاق بهم هناك . غير أنهم إضطروا للعودة إلى داخل حدود كردفان فى فصل الخريف إذ إنتشرت آنذاك فى تلك الجهات حشرة صغيرة خطيرة على حياة الماشية إسمها يوهاره Yohara (٥). وفى دنقلا عانى الأهالى الكثير من الفقر والحرمان حتى أن كثيرين منهم هجروا ديارهم وفروا إلى كردفان وسنار (٦) .

---

(١) دفتر ٧٣٦ ديوان الخديوى ، وثيقة رقم ٢٩٥ بتاريخ ٢٩ ذى الحجة سنة ١٢٤٢ .
(٢) شبيكه : السودان فى قرن ، ص ٣٢ .
(3) Hoskins : Travels in Ethopia, P. 43.
(٤) محفظة ١٩ بحر برا ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٢١ بتاريخ غرة رجب سنة ١٢٣٧ .
(5) Pallme : Travels in Kordofan, PP. 119–20.
(6) Hoskins : Egypt in Ethiopia, P. 172.

والضرائب الفادحة التى فرضت على السواقى أجبرت الكثيرين من أصحابها إلى تركها ، ففى مديرية بربر تقلص عددها من ثمانمائة قبل الفتح إلى خمسمائة عند زيارة هوسكنس للسودان (١) . وفى سنة ١٨٢٧ كان عدد السواقى المسجلة فى سجلات الضرائب فى مديرية بربر ٢٤٣٧ إلا أن التى عملت فى الواقع باشراف الجعليين بلغت ٧٠٦ فقط (٢) .

لم يكتف الأهالى بترك أراضيهم وهجران سواقيهم لتفادى هذه الضرائب بل أنهم كثيرا ما تمردوا وثاروا على الحكومة إحتجاجا عليها . فالبشارين رفضوا دفعها أحيانا وقتلوا الجنود الذين أرسلوا لجمعها منهم (٣). وفى سنة ١٨٣٤ شهدت بلاد المحس بقيادة الملك بخيت ثورة عارمة ضد الضرائب تسببت فى تلف الكثير من السواقى وموت الكثير من الثيران التى استخدمت فيها . وأهم من هذا فقد عرضت هذه الثورة الطريق إلى مصر لإخطار بالغة ،حتى أن الرحالة هوسكنس – الذى كان آنذاك فى طريق عودته إلى مصر – إضطر إلى الرجوع من أرقو إلى دنقلا ولم يستطع مواصلة سيره شمالا الا بعد أن قضت قوات الحكومة على هذه الثورة . وفى الواقع أن الحملة الأولى التى أعدها كاشف حفير فشلت فى إخمادها ولم تتمكن الحكومة من القضاء عليها الا بعد الحملة الثانية التى أرسلها حاكم دنقلا العرضى والتى قتلت حوالى مائة وسبعين من الثوار بينما هرب بخيت وبعض أعوانه (٤) .

أما عيسى شيخ قبيلة القراريش – التى سكنت على شواطىء النيل من الدر فى صعيد مصر حتى المحس ودنقلا(٥) – فقد تمرد على الحكومةعلى

---

(١) المصدر السابق ، ص ٥٢ .

(2) Hill : Egypt in the Sudan, P. 411.

(3) Hoskins : Travels in Ethopia, P. 55.

(٤) المصدر السابق ، ص ٢٣٩ – ٤٢ .

(5) Burckhardt : Travels in Nubia, P. 28.

أثر المطالب الإستبدادية التى طلبتها منه وهرب مع بعض أعوانه إلى الصحراء حيث شكلوا خطرا على طريق القوافل بين أبى حمد و كورسكو لمدة خمس سنوات،وإعترضوا سير كل القوافل التى سارت عبره ولم يسمحوا لها بالتقدم إلا بعد الاستجابة لمطالبهم . وقد ركزوا نشاطهم بوجه خاص ضد قوافل الحكومة، فاستولوا على كثير مما بها من بضائع وأسلحة وذخيرة (١) . إهتم محمـد على بامر هذا التمرد ووجه قاسم اغا حاكم دنقلا إلى الإهتمام باعدام قائده « ذلك الحرامى المتسلط » (٢) . وقد تمكنت الحكومة أخيرا من سحق هذا التمرد بعد أن خدع أحد شيوخ العرب الشيخ عيسى فقبض عليه وسلمه للحكومة (٣) .

وهكذا فإننا نلاحظ أن تلك الضرائب الفادحة أدت إلى فرار كثير من الاهالى من أراضيهم وهجرانهم لسواقيهم مما قلل الإنتاج ، كما أنها سببت بعض الثورات وحركات التمرد التى هددت سلامة الطريق بين مصر والسودان . كل هذا أدى إلى تقليل حجم التجارة بين البلدين وبالتالى نقصت الفائدة العائدة على الباشا من منتجات السودان ووارداته .

ثانيا : سوء وفساد وكلاء موظفى محمد على فى السودان :

أظهر كثير من الفلاحين الذين أرسلهم الباشا للسودان لتحسين وتطوير الزراعة فيه عدم رغبتهم فى العمل هناك . فعندما كلف مثلا الشيخ محمد دماطى بالذهاب إلى سنار لتعليم أهلها طرق الزراعة الحديثة ، هرب فى الطريق فقبض عليه وأرسل إلى سجن الإسكندرية،الا أنه فر قبل الوصول اليه (٤) . أما الوكلاء الذين أرسلتهم حكومة الباشا إلى السودان لشراء

(1) Hoskins : Travels in Ethopia, P. 275.

(٢) دفتر ٢٦ معيه تركى ، ترجمة المكاتبة رقم ١٣٣ بتاريخ ١٠ محرم سنة ١٢٤٣ .

(3) Hoskins : Travels in Ethopia, PP. 275–76.

(٤) دفتر ٣٧ معيه تركى ، ملخص الوثيقة التركية رقم ١٥٦ بتاريخ ٦ ربيع الاول سنة ١٢٤٤ .

منتجاته ، فقد إنتهزوا هذه الفرصة للثراء عن طريق الفساد . فقد ثبت أن الحاج على الفراش قد إختلس أموال الحكومة فاصدر الديوان الخديوى قرارا عاجلا بتحصيلها منه والا فيقبض عليه ويرسل إلى مصر (١) . وقد تعرضت مشتروات الحكومة أيضا للسرقة ، فقد إستولى بعض العساكر فى سنار على كميات من الصمغ وسن الفيل وريش النعام (٢) ، كما درج وكلاء الحكومة فى شونة كرسكو على إختلاس بعض صمغ الحكومة هناك (٣) .

أما الإداريون والموظفون فى السودان فقد كان لجهلهم وعدم كفاءتهم وإنشغالهم بالحروب أثر كبير فى تأخير دفع التقدم الإقتصادى فى السودان (٤). فقد كان لإهمالهم وعدم إعتنائهم بالماشية السودانية المرسلة إلى مصر أثر كبير فى هلاك كميات كبيرة منها حتى أن الباشا إضطر فى بعض الأحيان لإصدار أوامره ببيعها حتى ولو بأقل من ثمن شرائها بدلا من أن تهلك فى الطريق (٥).

وقد تعطل أحيانا نقل الواردات السودانية إلى مصر نسبة لمعاملة الإداريين القاسية لبعض القبائل السودانية التى ساعدت الحكومة فى ترحيلها . فعندما أشيع أن الكبابيش ربحوا أموالا طائلة بمدهم للحكومة بالإبل اللازمة لنقل المحاصيل ، أخذت السلطات تتحايل عليهم لابتزاز أموالهم . فمن المعروف أن الصمغ الذى تعهدوا بنقله من كردفان لدنقله نقص فى وزنه بتأثير الحرارة والرياح خلال تلك الرحلة التى إستغرقت حوالى عشرين يوما . إلا أن الحكومة أجبرتهم على تعويض هذا النقص ودفعه بالسعر الذى باعت به للأوربيين فى الإسكندرية . وقد خصمت الحكومة قيمة هذا التعويض من الأجرة التى إتفقت بها مع شيخ الكبابيش . أما بقية الأجرة فلم

---

(١) دفتر ٧٥٨ ديوان الخديوى ، ترجمة القرار ٤٦ بتاريخ ٦ جمادى الاولى سنة ١٢٤٥ .
(٢) دفتر ١٦ معيه تركى ، ترجمة الوثيقة ٣٩٨ بتاريخ ٩ ربيع الاول سنة ١٢٤٠ .
(٣) دفتر ٧٧٤ ديوان الخديوى ، وثيقة رقم ٩٢ بتاريخ ١١ رجب سنة ١٢٤٦ .
(4) Hill : Egypt in the Sudan, P. 58.
(٥) دفتر ٣٠ معيه تركى ، ملخص ترجمة الوثيقة رقم ٩٠ بتاريخ ٨ شوال سنة ١٢٤٣ .

تسلم له نقدا وإنما أجبر على أخذ ما يعادلها من المنسوجات القطنية التى صنعت فى دنقله باعتبار القطعة عشرين قرشا فى الوقت الذى باعها فى نفس المكان باثنى عشر قرشا (١) . تحت هذه الظروف القاسية ونسبة لهذا الظلم الفادح إمتنع الكبابيش أحيانا من التعاون مع الحكومة ، فقد رفض جماعة منهم فى سنة ١٨٣٨ إمـــداد الحكومة بالإبل وهربوا إلى دارفور . وقـــد حاول محمد على خلال زيارته للسودان مصالحة الكبابيش فاستدعى زعيمهم الشيخ صالح وإتفق معه على رفع إجرة الشحن للجمل الواحد من خمسة وأربعين قرشا إلى ثمانين قرشا (٢) .

أما قبيلة العبابده فقد إستكثر عليها عباس اغا الجندى ، مدير بربر فى عهد الحكمدار خورشيد باشا ، القثات التى أخذتها نظير حمايتها لطريق عتمور – أبى حمد – كرسكو– فامر شيخها،الشيخ خليفة بن الحاج محمد العبادى ، « بأنيتنازل عن أخذ العشر ويأخذ بدله ثلاثة ريالات عن كل جمل يمر بالعتمور – ريال من الحكومة وريال من التاجر وريال من صاحب الجمل » (٣) . ورفض خليفة الإستجابة لهذه الأوامر وأصر على قفل الطريق التجارى إذا لم تسحب الحكومة قرارها الجديد مما عطل سير القوافل إلى مصر . الا أن عباس اغا الجندى غدر به وحرقه مع مائة وإثنين وثلاثين من رجاله .

ثالثا : تهريب بعض الواردات السودانية :

رغم توجيهات محمد على للمسئولين فى السودان ببذل كل جهدهم لإيقاف تهريب المنتجات السودانية التى إحتكرتها الحكومة ، فقد هرب بعض منها كالصمغ والسنامكى والعاج إلى سواكن حيث صدرت من هناك

---

(1) Pallme : Travels in Kordofan, P. 138.

(٢) المصدر السابق ، ص ١٣٨ .

(٣) العبادى : من زوايا التاريخ ، ص ٥ .

إلى الخارج بدلا من إرسالها إلى مصر (١) . ولعل السبب الرئيسى لإزياد حركة التهريب هذه أن التجار فى سواكن دفعوا لشراء تلك المنتجات أسعارا أعلى بكثير من تلك التى حددتها الحكومة . وقد زعم نسيم مقار أن رغبة الباشا فى إيقاف هذا التهريب كانت من العوامل الرئيسية التى دفعته ليطلب من السلطان العثمانى ضم مينائى سواكن ومصوع للإدارة المصرية فى السودان(٢).

بما أن استتباب الأمن شرط ضرورى لجمع المكوس فقد كانت حلفا المكان الوحيد الذى تمتعت فيه الحكومة بسلطة فعلية لفرض الجمارك على الصادرات السودانية بينما لم تتمكن من ذلك فى حدود الحبشة ودارفور وفى القلابات (٣) . وحتى فى حلفا نفسها تمكن بعض التجار من تفاديها . فقد حاول مثلا تاجر أجنبى إسمه « قبسان » تهريب ثلاثمائة قنطار من البن السودانى إلى مصر مما إضطر الباشا إلى إصدار أوامره إلى على رضا أفندى ناظر الأصناف بوضع « جواسيس فى المناطق المناسبة بمداخل المحروسة لمصادرة ذلك البن فى سبيل إستيفاء الرسم الجمركى منه (٤) » .

---

(١) دفتر ٦٢ معيه تركى ، ترجمة الامر ٥٢ بتاريخ ١٣ ربيع الاخر سنة ١٢٥٠ .
(٢) مقار : الرحالة بالم ، ص ٤٦ .
(3) Hill : Egypt in the Sudan, P. 41.
(٤) دفتر ٦٢ معيه تركى ، ترجمة الأمر ٥٢ بتاريخ ١٣ ربيع الآخر سنة ١٢٥٠ .

خاتمـــة

تمكن محمد على من تحقيق بعض الأغراض التى فتح السودان من أجلها . فقد هلك كثير من الجنود الارناؤد الذين أرسلوا لفتح السودان نتيجة لسوء طقس البلاد وعدم ملاءمته لهم ، وبهذا فقد إستطاع الباشا الخلاص منهم . والمماليك الذين هربوا من مصر للسودان إتضح لبعضهم عدم جدوى العناد والحرب فاضطروا للتسليم لقوات جيش الفتح فى شندى . أما الباقون منهم فقد إتجهت غالبيتهم بخيولهم البيضاء وبقيادة زعيمهم عبد الرحمن بك نحو كردفان وفضلت شرذمة أخرى الإتجاه شرقا نحو الحجاز . وفى ميدان التجارة مع السودان إستطاع الباشا تحقيق شيئا من النجاح ، غير أنه فشل فى تحقيق غرضيه الرئيسيين من الفتح : العبيد والمعادن ــ خاصة الذهب . ونسبة لخيبة الأمل هذه مع تقدم سن الباشا وتدهور صحته فإننا نلاحظ أن إهتمامه بشئون السودان قد قل كثيرا فى أواخر عهده ، وربما دل على ذلك قلة الرسائل المتبادلة آنذاك بينه وبين موظفيه فى السودان .

وخليفتى محمد على ــ عباس باشا بن طوسون « ١٨٤٨ ــ ١٨٥٤ » ومحمد سعيد باشا « ١٨٥٤ ــ ١٨٦٣ » ــ لم يوليا السودان إهتمامهما حتى قيل أن الأخير فكر جديا فى إخلاء السودان . غير أن السودان قد نال إهتماما كثيرا فى عهد الخديوى إسماعيل « ١٨٦٣ ــ ١٨٧٩ » الذى عمل على توسيع ممتلكاته جنوبا وقمع الرق وتجارة الرقيق هناك .

ملحــق (أ)

المصــادر

أ ــ الوثائق الخاصة بعهد محمد علي والموجودة بدار الوثائق التاريخية القومية بالقاهرة فى المراجع التالية :

١ ــ دفاتر معيه تركى

٢ ــ دفاتر ديوان الخديوى تركى

٣ ــ دفاتر عابدين تركى

٤ ــ دفاتر ديوان شورى المعاونه تركى

٥ ــ دفاتر المعية السنية عربى صادر ووارد

٦ ــ دفاتر ديوان الخديوى عربى صادر ووارد

٧ ــ دفاتر مديرية بربر والجعليين عربى صادر ووارد

٨ ــ محافظ بحر برا تركى

٩ ــ محافظ عابدين تركى

١٠ ــ محافظ أوامر لديوان الجهادية تركى

١١ ــ محافظ مجلس ملكية تركى

١٢ ــ محافظ أوامر للمعاونة تركى

بعض هذه الوثائق مكتوب باللغة العربية كالوثائق الموجودة فى سجلات المعية السنية عربى صادر ووارد [1] وسجلات ديوان الجهـــادية عربى والسجلات العربية الخاصة بكل من مديرية بربر والجعليين وحكمدارية السودان . إلا أن الملاحظ أن معظم هذه السجلات لا تحتوى على أوامر خاصة بالسودان ، وحتى التى وجد فيها فإن أغلبها مختص باواخر عهد محمد على خاصة منذ سنة ١٢٦٠ « ١٨٤٤ » .

ويلاحظ الباحث بعض الأخطاء فى هذه السجلات العربية كالأخطاء النحوية والهجائية ، كما إستعملت بعض الكلمات التركية والفارسية مثل « ماه » بمعنى شهر و « دركاه » بمعنى مقام أو ساحة . وقد كتبت أحيانا كلمتان فى كلمة واحدة فبدلا من « من طرفكم » كتبت « منطرفكم » وبدلا من « من مدة » كتبت « منمده » .

أما الشهور العربية فقد أعطيت لها رموز خاصة فى هذه السجلات العربية هى : «م» لمحرم ، و«ص» لصفر ، و «را» لربيع أول و«ر» لربيع ثانى ، و«جا» لجماد أول ، و«ج» لجماد ثانى ، و«ب» لرجب و «ش» لشعبان ، و« ن» لرمضان ، و «ل» لشوال ، و« ذا» لذو القعدة ، و «ذ» لذو الحجة .

---

(١) ديوان المعية السنية اسم اطلق على ديوان الوالى أى حاشية الوالى ، كما اطلق عليه أيضا اسم « شورى المعاونة » . وبعد مرض محمد على سنة ١٢٦٤ (١٨٤٨) قام هذا الديوان بمهمة مجلس خاص سمى « المجلس الخصوصى » وكانت لقراراته قوة قرار الوالى. وقد اطلق على هذا الديوان بعض زوال نظام الخديوية فى مصر اسمى « الديوان السلطانى » و « الديوان الملكى » . وعند نهاية الملكية فى مصر اطلق عليه اسم « ديوان الجمهورية المصرية » بينما سمى فى أول فبراير ١٩٥٨ « ديوان رئاسة الجمهورية العربية المتحدة » .

مطبوعات دار الوثائق التاريخية القومية المعية السنية ، السجل الأول من ٦ محرم ١٢٤٥ إلى ٨ رجب ١٢٤٦ ، فى المقدمة .

الا أن معظم الوثائق الخاصة بعهد محمد على فى السودان مكتوبة أصلا باللغة التركية وترجمت الغالبية العظمى منها إلى اللغة العربية ترجمة كاملة بينما أعطى القليل منها ملخصا وافيا .

(ب) بعض تقارير المعاصرين :

إختار مؤلفو بناء دولة محمد على بعض تقارير المعاصرين عن أحوال مصر فى عهد محمد على وترجموها إلى اللغة العربية . وقد إستفدت فى بحثى هذا من بعض منها هى :

١ ـ تقرير الدكتور جون بورنج :

قدم بورنج إلى مصر فى سنة ١٨٣٧ موفدا من الحكومة البريطانية ليضع تقريرا عن حالة مصر آنذاك وما ينتظر أن تكون عليه فى المستقبل. لم يتحدث بورنج فى تقريره هذا عن الحبشة ، إلا أنه نسبة للمصالح الإنجليزية فى الحبشة ، يميل مؤلفو بناء دولة محمد على إلى الإعتقـــاد بأن محاولة التاثير على الباشا حتى ينصرف عن فتح هذه البلاد كانت من الأغراض التى أوفد من أجلها بورنج إلى مصر .

رجع بورنج إلى بلاده فى مارس سنة ١٨٣٨ ورفع تقريرا وافيا عن مصر وكريت إلى حكومته فى مارس سنة ١٨٣٩ . وقد تحدث بورنج باسهاب عن الرق وتجارة الرقيق خاصة فى الســـودان معتمدا إلى درجة كبيرة على المعلومات التى أعطاها له الرحالة آرثر هو لرويد عقب عودته من رحلته الطويله إلى السودان .

٢ ـ تقريران للبارون دى بوالكمت :

بعد إنتصارات أبراهيم باشا الرائعة وتقهقر الجيوش العثمانية إبان الحرب السورية الأولى ، تأزم الموقف بين محمد على والسلطان العثمانى. فى هذه الظروف الدقيقة أرادت فرنسا أن تنهى هذه الحرب باتفاق بين محمد

على والسلطان دون وساطة الدول الأوربية حتى لا تجد روسيا عذرا للتدخل . لضمان نجاح مفاوضات الصلح بين الباشا والباب العالى رأت فرنسا أن لابد من سحب جيوش أبراهيم باشا من بلاد الأناضول . لذلك أرسلت الحكومة الفرنسية بوالكمت إلى مصر فى سنة ١٨٣٣ ليقنع الباشا بهذا الرأى . وصل بوالكمت إلى مصر فى سنة ١٨٣٣ وإستطاع أن يقنع الباشا بسحب جيوشه من آسيا الصغرى ، بعد نجاح مهمته بقى بوالكمت مدة من الزمن زار فيها طنطا ودمياط ورشيد وعرف الكثير عن أحوال البلاد الداخلية .

فى الفترة ما بين ٢٩ يونيو و٣ يوليو سنة ١٨٣٣ بعث بوالكمت إلى حكومته بعشرة تقارير عن أحوال مصر الداخلية وعلاقاتها الخارجية . إختار مؤلفو بناء دولة محمد على تقريرين من هذه التقارير : الأول بتاريخ ٢٩ يوليو سنة ١٨٣٣ عالج فيه بوالكمت الأنظمة التى قام عليها صرح البلاد الإقتصادى، والثانى بتاريخ أول يوليو سنة ١٨٣٣ تناول فيه موضوع السكان.

٣ ــ تقرير الكونت دوهاميل :

عندما غزا أبراهيم باشا بلاد الشام قطعت روسيا علاقاتها السياسية مع محمد على إذ أنها كانت فى وفاق مع الباب العالى منذ عقدت معاهدة أدرنه فى ١٤ سبتمبر سنة ١٨٢٩ . الا أن روسيا شعرت بعد نهاية الحرب بضرورة إستئناف علاقاتها مع مصر ،فعين دوهاميل قنصلا لبلاده فى مصر سنة ١٨٣٤ .

كان دوهاميل دبلوماسيا محنكا إمتاز بالمرونة ودماثة الخلق مما مكنه من كسب صداقة وتقدير الباشا . وكان من أثر هذه الصلات الحسنة مع الباشا أن إستطاع دوهاميل أن يبعث إلى حكومته بعدد من التقارير وكثير من الرسائل العادية . ومن أهم هذه التقارير ذلك التقرير الوافى الذى كتبه عن أحوال مصر بتاريخ ٦ يوليو سنة ١٨٣٧ .

ج ـ ترجمة جرنال رحلة محمد على للسودان :

صدر هذا الجرنال المحتوى على تقرير وافى عن رحلة محمد على

السودان باللغة التركية فى ٦ صفر سنة ١٢٥٥ « ٢١ أبريل سنة ١٨٣٩ » ملحقا بالعدد نمرة ٦١٨ من جريدة الوقائع المصرية . وقد نشر كل من مانجان Mengin وجومار Jomard ترجمة موجزة لجرنال هذه الرحلة . إلا أن الدكتور محمد فؤاد شكرى عثر ضمن الوثائق النمساوية بوزارة الخارجية على ترجمة كاملة باللغة الفرنسية لملحق الوقائع المصرية السالف الذكر فقام بترجمته إلى اللغة العربية فى مجلة كلية الآداب ، العدد الثامن ، المجلد الثانى ديسمبر سنة ١٩٤٦ تحت عنوان « صفحة من تاريخ السودان الحديث ، رحلة محمد على باشا إلى فازوغلى ١٨٣٨ — ١٨٣٩ ونشر جرنال الرحلة » . وقد إعترف شكرى بان ترجمته لهذا الجرنال تختلف فى بعض أجزائها عن تلك الترجمة التى نشرها كل من مانجان وجومار .

د — جريدة الوقائع المصرية :

رجعت إلى المجلدات التالية من جريدة الوقائع المصرية الخاصة بعهد محمد على والموجودة بدار الكتب بالقاهرة :

١ — المجلد الخاص بعام ١٢٤٥ هـ : مكتوب باللغة العربية والتركية معا.
٢ — المجلد الخاص بعام ١٢٤٦ هـ : مكتوب باللغة العربية والتركية معا.
٣ — المجلد الخاص بعام ١٢٤٧ هـ : مكتوب باللغة العربية والتركية معا.
٤ — المجلد الخاص بعام ١٢٤٨ هـ : مكتوب باللغة العربية والتركية معا.
٥ — المجلد الخاص بعام ١٢٤٩ هـ : مكتوب باللغة العربية والتركية معا.
٦ — المجلد الخاص بالأعوام من ١٢٥٦ — ١٢٦٣ هـ : مكتوب باللغة العربية والتركية معا.
٧ — المجلد الخاص بعامى ١٢٦٣ — ١٢٦٤ هـ : مكتوب باللغة العربية والتركية معا .

أما المجلدات الخاصة بالفترة ما بين سنة ١٢٥٠ — ١٢٥٥ هـ فبكل أسف لم أجدها فى دار الكتب .

ﻫ ـ المراجع العربية :

أبو على ، أحمد بن الحاج ، تحقيق البصيلى ، الشاطر : مخطوطة كاتب الشونة فى تاريخ السلطنة السنارية والإدارة المصرية (القاهرة ١٩٦١) .

البصيلى ، الشاطر : معالم تاريخ سودان وادى النيل (الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٥٥) .

الجابرى ، محمد أحمد : فى شأن الله (القاهرة ، بلا تاريخ) .

الجبرتى ، عبد الرحمن : فى التاريخ المسمى عجائب الآثار فى التراجم والأخبار ، ج (٤) (القاهرة ١٢٣٦ ﻫ).

الطهطاوى ، رفاعة بك رافع : مناهج الألباب المصرية فى مباهج الآداب العصرية (الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩١٢) .

الرافعى ، عبد الرحمن : الثورة العرابية والاحتلال الإنجليزى (الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٤٩) .

الرافعى ، عبد الرحمن : تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم فى مصر ، ج (١) (الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٤٨)

الرافعى، عبد الرحمن : تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم فى مصر ، ج (٢) (القاهرة ١٩٢٩) .

الرافعى، عبد الرحمن : تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم فى مصر ، ج (٣) ، عصر محمد على (القاهرة ١٩٣٠)

جوان ، إدوارد ، تعريب: مسعود ، محمد : مصر فى القرن التاسع عشر (القاهرة ١٩٢١) .

زكى ، عبدالرحمن : أعلام الجيش والبحرية فى مصر أثناء القرن التاسع عشر ، ج (١) (القاهرة ١٩٤٧) .

زكى ، عبد الرحمن : الجيش المصرى فى عهد محمد على (القاهرة ١٩٣٩) .

زكى ، عبد الرحمن : التاريخ الحربى لعصر محمد على الكبير (القاهرة ١٩٥٠) .

حسين ، أنيس أحمد : تطور السودان السياسى (القاهرة ١٩٤٦)

حسين ، حسين أحمد : من زوايا التاريخ السودانى فى القرن التاسع عشر (القاهرة ١٩٤١) .

حسين ، عبد الله : السودان من التاريخ القديم إلى رحلة البعثة المصرية ، ثلاثة أجزاء (القاهرة ١٩٣٥) .

طوسون ، عمر : صفحة من تاريخ مصر فى عهد محمد على (القاهرة ١٩٤٠) .

مرى ، شارلس ، : صفحة من تاريخ محمد على (القاهرة ١٣٣٧هـ) .
تعريب سليم حسن وطه السباعى

محمد ، محمد عوض : السودان الشمالى ، سكانه وقبائله (القاهرة ١٩٤٧) .

مسعد ، مصطفى محمد : الإسلام والنوبه فى العصور الوسطى(القاهرة ١٩٦٠) .

مقار ، نسيم : الرحالة بالم (القاهرة ١٩٦١) .

مقار ، نسيم : الرحالة جون بتريك (القاهرة ١٩٦١)

مقار ، نسيم : أحوال السودان الإقتصادية قبل الفتح المصرى (رسالة ماجستير ، القاهرة ١٩٥٦) .

نكولز ، تعريب عابدين عبد المجيد : الشايقية (الخرطوم بلا تاريخ)

سامار كو ، أنجلو ؛ : رحلة محمد على للسودان (القاهرة ١٩٤١) .
تعريب فوزى ، طه

سعيد ، محمد الامين : سياسة محمد على فى السودان (رساله ماجستير ، القاهره بلا تاريخ)

شبيكه ، مكى : السودان عبر القرون . (القاهرة ١٩٦٤)

شبيكه ، مكى : السودان فى قرن (الطبعة الثانية القاهرة ١٩٥٧)

شقير ، نعوم : تاريخ السودان القديم والحديث وجغرافيته ، ثلاثة أجزاء (القاهرة بلا تاريخ)

شكرى ، محمد فؤاد : مصر والسيادة على السودان . (القاهرة ١٩٤٦)

شكرى، محمد فؤاد : الحكم المصرى فى السودان ١٨٢٠ — ١٨٨٥ (القاهرة ١٩٤٨)

شكرى ، محمد فؤاد ، : بناء دولة محمد على (القاهرة ١٩٤٨) .
والعنانى ، عبدالمقصود ،
وخليل ، سيد محمد

و ـ المراجع الافرنجية

أ ـ الكتب

Burckhardt, J.L. : Travels in Nubia. (2nd ed., London 1822).

Crawford, O.G.S. : The Fung Kingdom of Sennar. (Gloucester 1951)

Dodwell, H. : The Founder of Modern Egypt, A study of Mohamed Ali. (2nd ed., Cambridge 1967)

Douin, G. : Histore du Soudan Egyptien. (Cairo 1944).

Deleon, E. : Egypt under its Khedives.

Hill, R. : Egypt in the Sudan. (London, 1959)

Hill, R. : On the Frontiers of Islam (Oxford. 1970)

Hoskins, G.A. : Travels in Ethopia above the 2nd Cataract. (London, 1835)

MacMichael, H.A. : A History of the Arabs in the Sudan, 2 vols. (Cambridge 1922)

Pallme, I. : Travels in Kordofan, (London 1844)

Petherick, J. : Egypt, the Sudan and Central Africa. (London 1861)

Shukry, M.F. : Khedive Ismail and Slavery in the Sudan, 1863–1879. (Cairo 1937)

Waddington and Hanbury : Journal of a Visit to some parts of Ethopia (John Murray 1822)

Werne, F., translated by Williams, Charles : Expedition to Discover the Sources of the White Nile in the Years 1840-1841, Vol. I. (Berlin 1848).

Werne, F., translated by Johnston, J.R. : African Wanderings, or an Expedition from Sennar, Taka, Basa and Beni Amer (London 1852)

ب ـ المقالات

Bell, G.W. : Shaibun Gold, SNR, Vol 20, 1937

Chiros, J., edited and translated by Hill, R. : An Unpublished Intinerary to Kordofan, 1824-1825, SNR Vol. 29, 1948.

Prudhoe : Extracts from a Private Memorandum on a Journey from Cairo to Sennar 1829, JRGS, Vol. 5.

Robinson, A.E. : The Mamelukes in the Sudan, SNR, Vol. 5, 1922

ملحـــق (ب)

نموذج لوثائق عهد محمد على

دفتر ١٠ معية تركى

ترجمة المكاتبة ٤٨ بتاريخ ١٥ ربيع الأول سنة ١٢٣٧ ص ٣٠ ، ٣١
من الجناب العالى إلى حضرة البك سر عسكر كردفان .

« أطلعت على رسائلكم الثلاث التى وردت فى تاريخ اليوم عن يد تابعكم وقد علمت مضمونها ومالها . ولقد أنهيتم الينا فى إحدى هذه الرسائل قائلين « إن اقليم كردفان طوله سبعة أيام وعرضه خمسة أيام وأن الجبال المتلاصقة ببعضها فى حواليه كثيرة ومعمورة وأن القيام بالعمل وأخذ الأسرى السودانيين وإرسالهم على الوجه المطلوب منوطه كلها بأن يوجد بمعيتنا رئيسان أو ثلاثة رؤساء » ورجوتم منا فيها ارسال جنود من الفرسان والمشاة . فبناء على هذا قد رتبنا من قواد جنودنا المشاة طويال حسن اغا وأبراهيم اغا الكورجهلى ومن قواد فرساننا حسن اغا القبريسلى وكتبنا إلى متصرف جرجا ولدنا أحمد باشا ليخرج حسن اغا الطويال هذا ويرسله فى هذه الأيام وصممنا على إخراج الآخرين وإرسالهما فى عقبه . لقد يتراءى ان حسن اغا هذا بعيد عليه أن يقوم لحسابكم بهذه الخدمة ولكن بالنظر لأنه فضلا عن كونه بشوشا ظريف المنادمة ذا معرفة ووقوف بكل شىء فإن عسكره بمثابة عسكركم ومن ثم يمكنكم أن تستخدموه كيفما تتمنون وتعاملوه كما ترغبون وتريدون ولقد قمتم جنابكم بمهمة الحكومة فى الأقاليم الصعيدية مدة مديدة من الزمان وهذا من شأنه أن يجعلكم عالمين بمقدار الموجود من الإبل وبمقدار مانفق منها فى مصالح السودان وكوردفان والحجاز وما بقى منها فيها . على أن قلة الجمال فى هذه السنة المباركة قد كان من جرائها أن الغلال للحرمين الشريفين لم يمكن حملها فبقيت من غير نقل ومع هذا فإن فى الإستطاعة إرسال ما ذكر

من المشاه والفرسان إلى دنقله بما سيق من الإبل من جهتكم . فالمطلوب إعدادكم ما يكفى من الجمال المذكورين وتهيئة هنالك ثم إرسال الإبل إلى دنقله حتى اذا وصل هؤلاء القواد إلى دنقله جلبتموهم وإستخدمتوهم . وبناء على ما علمنا من مدلول رسالتكم المذكورة من لزوم إرسال الجبخانة الخاصة بكم المتخلفة فى وادى حلفا فقد صممنا على إرسالها هى الأخرى إلى دنقله . غير أنه لما كان جلبها لجنابكم محولا كذلك على غيرتكم وحميتكم فارسلوا القدر اللازم من الإبل لأخذها اليكم . وبناء على ما جاء فى الرسالة المذكورة خاصا بان القاطنين بتلك الحوامى من القبائل العظيمة مثل قبائل البقارة والحبابين والمجانين والكبابيش على الرغم من أن شيوخهم خضعوا لحكمكم ونعموا بامانكم فإنه نظرا لكون تأمين الطرق التى سينحدر منها إلى البحر وإعداد الإبل اللازمة للعبيد والجوارى الذين سيصير إنزالهم متوقفين على إستمالة قبيلة الكبابيش المذكورة فلو منحتم ورقة أمان من طرفنا إلى الشيخ سالم الآمر عليهم لكان ذلك نافعا مقيدا للعمل، فقد حررنا لأجله رسالة عربية أرسلناها طى هذا فنطلب إعطاءكم الشيخ المذكور إياها وإغراءكم وتشويقكم اياه بابراز طيب الخدمة . وإذ أن المأمول أن يكون حفتانينا (يعنى صاحب الخلع) سليم اغا الذى سبق إيفاده اليكم قد وصل الآن إلى جنابكم وان المنتظر أن يكون كتابنا الذى يحمله قد وصل إلى فهمكم وحفظ مضمونه فى ذهنكم المتوقد نشاطا فإن مطلوبنا هو أن تنفذوا ما يقتضيه فتعنوا أعظم العناية بان ترسلوا السودانيين الذين هم غاية المقصود وترحلوهم قسما فقسما فى أثر بعضهم . وقد حررنا هذه الرسالة إنباء بما تقدم وسيرناها مع أحد قواصينا فيمنه تعالى لدى وصلها وعملكم بما فيها فلتهتموا بالعمل على الوجه المحرر ولتبادروا إلى إشعارنا وإفادتنا بما يلزم إنهاؤه .

حاشية :

أشعرتمونا بان هنالك جبلا قدام كردفان بعيدا عنها بخمسة أيام يخرج منه الذهب . فامروا بجس هذا الجبل وبحثه لتفهموا ما اذا كان هذا الذهب

الحاصل ظاهرا من بطن الجبل فى حالة منجم أم ناتجا من غير ذلك كجمعه وتكوينه من فيض ماء السيل عند نزول مياه المطر فى الجبال التى وراء هذا الجبل واتيانها منها إلى ولاياتنا هذا . فإذا ظهر أنه من بطن الجبل فنطلب أن تنظروا فى شأنه وتبتوا في أمره بحسن تدبير كم وأن تعلمونا بالكيفية .

محفظة ٧ بحر برا

ترجمة الوثيقة ٧٤ بتاريخ ١٤ صفر سنة ١٢٣٦

من إسماعيل باشا إلى الجناب العالى

« .... وقد قال لى مشائخ قبيلة العبادى بعد مرور يوم على الحرب التى وقعت بيننا وبين الشايقية قبل بضع أيام إن اخوين من الكبابيش حضرا بشنده وأنهم وجدوا رجلا يمكنه الإتصال بهما . فكتبت ما ينبغى أن يكتب وأرسلته اليهما فقدما على عبدكم يوم تاريخ هذه العريضة فقالا إنهما سمعا ملك الشرق بشنده يقول إنه لا يريد قتال عبدكم هذا وأنه يقول إنى سأذهب اليه (أى إلى إسماعيل باشا) وأقابله لو حضر إلى هذه الديار وأنه وصى أتباعه بهذا (أى بالجنوح إلى السلم) . ومما قالا إن ملك العرب متفق مع ملك سنار وإنهما يقولا نحن نريد القتال وأن ملك الإقليم الذى يقال له حلفاية الواقع بين سنار وشنده متفق معهما أيضا وأنهم أجمعوا على القتال . وحرصوا المماليك على قتالنا فاجابوهم قائلين : نحن نعلم (أى جربنا) قتالهم ونارهم (المقصود بالنار هو الرمى) فلسنا بقادرين على القتال حتى إذا دنا (أى إسماعيل باشا) من هذه الديار فإننا نلجأ إلى الفرار مسرعين من جهة الشرق وأما المماليك ، كما يؤخذ مما قال بكواتهم وكشافهم لبعض الناس وللجواسيس فقد أجمعوا أمرهم على أن يذهبوا إلى الموضع الذى يقال له « بحر أتبره » لقربه من مصوع طامعين فى الذهاب إلى جهة الهند بالقوارب التى تقلهم . وقد علم من رواية الجواسيس أن عبيد المماليك الناشئين بتّربيتهم قد أخذوا بعير سادتهم وفروا لاجئين إلى عربان الكبابيش . وقد ظل الشايقون حيث كانوا لما شجر بين أكابرهم من نزاع ولعدم إجتماع كلمتهم .. » .

محفظة ١٩ بحربرا

ترجمة الوثيقة ٣٤ بتاريخ ٥ ربيع الأول سنة ١٢٦٠

من الميرميران أحمد المنكلى إلى ولى النعم

حضرة صاحب الدولة والعناية سيدى ولى النعم

لقد بينت فى عريضتى المؤرخة فى ١٥ ذى الحجة ١٢٥٩ لأنه بينما كنا فى طريقنا إلى جبل دول ظهر طغيان أشقياء التاكه فصرفنا النظر عن السفر إلى الجبل المذكور وأننا سنأخذ سبيلنا بمن معنا من الجند إلى التاكه .

وفى ١٢ محرم ١٢٦٠ ، على نحو ما جاء بعريضتى المقدمة ردا على الارادة العلية المؤرخة فى ١٥ ذى الحجة ١٢٥٩ المرسلة مع البكباشى حسين أفندى قمنا من دامر وقطعنا المراحل والمنازل ووصلنا يوم ٢٦ محرم ١٢٦٠ إلى أبواب همالاتيب الواقعة فى مقابلة الغابة المواجهة لعربان سقولابلو وكلولى ، وفى يوم وصولنا إلى هذه الجهة جعلنا الجيش فى شكل قلعة وأقمنا حول الجيش سياجا (زريبة) من الأشواك على نحو ما يفعله السودانيون اذ يقيمون مثل هذه السياج حول جيوشهم وقد بيتنا تلك الليلة داخل هذه السياج .

وفى اليوم التالى جاء عربان الهدندوه وعربان كلولى وطلبوا الأمان ، فاعطى لهم ، بيد أن عربان سقولابلو وعربان متكناب لم يتقدموا إلى طلب ذلك ، فسرنا إلى داخل الغابه التى ياوون اليها ببعض الخياله والمشاة من الباشبوزق (المرتزقة) بقصد التنكيل بهم فقتلوا منهم نحو ٣٥٠ نفرا ولم يقو بقيتهم على البقاء فى الغابة تلك الليلة ، واتصل لنا أنهم فروا إلى غابة متكناب التى تبعد عنا مسافة ١٤ ساعة فأرسلنا خلفهم إلى الغابة التى لجاوا اليها جميع خيالة الجيش وعينا لقيادة هؤلاء الخيالة موسى بك معاون الداعى الذى كان قبلا مديرا لجزيرة سنار .

وبما أن عدد الجمال التى حُملت بموؤنة الجند تكفيهم لمدة ١٥ يوما من مأكول ومشروب ومهمات وجبخانة قد بلغ نحو خمسة آلاف جمل. وحيث أن هذه الجمال لا يمكنها أن تسلك الطريق الذى سلــكه الخيالة فقد رايت أن يسير الخيالة إلى كسلا عاصمة المديرية المذكورة وأن يرجعوا منها إلى الغابة الآنفة الذكر بعد أن يتركوا فيها أثقالهم .

وقد قمت عبدكم أيضا إلى كسلا بعساكر الجهادية . أما الجهادية الذين سيروا خلف العصاة فقد تلافوا بهم عند أبواب متكناب و إلى ان تمكن العصاة من دخول الغابة كان قد قتل منهم نحو ٢٥٠ رجلا . وبعد ذلك عاد الخيالة إلى كسلا وتلاقوا بي فاستراح الخيالة فى كسلا ذلك اليوم .

وفى اليوم التالى بينما كانوا على وشك الزحف على العصاة أخذ الخيالة يفتكون بالعصاة على أبواب الغابة ، فلم يستطيع الخيالة البقاء فى هذه الغابة أيضا ولما وصل الينا أنهم ارتدوا منها إلى غابة الجهة المسماة « كليته » ودخلوا هذه الغابة تركت الأثقال فى كسلا وزحف عليهم باحمال خفيفة وفى ضحى اليوم التالى وصلنا إلى الغابة التى أوى اليها العصاة وإستولينا على آبار الماء ولم يبد العصاة أى حركة إلا أننا لغاية نصب الخيام وإقامة السياج سيرنا بعض الخيالة إلى داخل الغابة فقتلوا من العصاة نحو ١٠و١٥. ولما كنا نعد أربعة أورط من عساكر الجهادية لتسير خلف الخيالة إلى الغابة حضر العصاة لطلب الأمان ومعهم قاضيهم وخليفتهم والفقهاء من شيوخهم .

وبما أن الجناب العالى لا يضن على رعاياه بالشفقة والحنان قد أعطينا لهم الأمان على شرط أن يبرحوا الغابة ويقيموا فى صحراء همالاتيب حيث يقيم عربان هندوه ومكلولى، فقبلوا بهذا الشرط ، وفى خلال ذلك اليوم وليلته وضحى اليوم التالى خرجوا من الغابة بعيالهم وأولادهم وحيواناتهم ، فارسلناهم برفقة مخمد اغا أخى الملك محمود أحد قواد الشايقية إلى الجهة التى خصصت لإقامتهم ، وقد عاد عبدكم أيضا مع الجيش إلى كسلا ، وقد جمعت الحيوانات

المدموغة التى نهبت فى هذه الفتنة وأكمل ما نقص منها ووزعت على قرى حلنقه للعناية بها .

وبعد ذلك قمنا بالجيش لتحصيل الأموال وفى ١٣ صفر ١٢٦٠ وصلنا إلى محطنا القديم « هما لاتيب » الكائن فى وسط منازل أولئك العربان وفى هذا اليوم أرسل لنا « فرهاد باشا » مكاتبة ذكر فيها أنه وصل إلى قوز رجب وأنه بالنظر للفتنة التى حدثت لا يمكنه الوصول الينا بدون خياله ترافقه، فارسلنا له « سيبه اغا » رئيس الهواره وقد وصل الينا سعادته وبعد بضعة أيام يؤشر تحصيل الأموال والبقايا وعقب أن حصلت الأموال والبقايا والمواشى التى سترسل إلى المحروسة كما هو مبين بالكشف المرفق طيه ، أخذنا نطالب بأثمان الأسلحة والمهمات التى أتلفوها فى أثناء الفتنة وجعلنا دية كل ضابط قتلوه ١٢٥٠ قرشا ودية كل جندى ٥٠٠ قرشا، وقد أخذت منهم على هذا الحساب ديات الضباط وعساكر الجهادية الذين قتلوهم .

ونظراً لأن عربان متكاب لا يستطيعون دفع ديات الضباط والجنود الذين قتلوهم فقد إكتفى بأخذ ديات الضباط فقط . وبدلا عن ال ١٢٠ عسكريا الذين قتلوهم أخذ منهم ١٢٠ رجلا الحقوا بالاى المشاة الثامن .

هذا وقد القى القبض على نحو ٣٠ رجلا من شيوخهم وفقائهم وعلى قاضيهم وخليفتهم الذين كانوا يشجعون العربان المذكورين على الفتنة ويقولون لهم أن قتل العساكر حلال ووضعت الأغلال فى أعناقهم وأرسلوا إلى الخرطوم ليلاقوا الجزاء الذى يستحقونه . أما الباقون فقد عفى عنهم عملا بالامان المعطى لهم حيث عاد كل منهم إلى مكانه آمنا مستريحا فى ظل الجناب العالى .

ثم إستحضرنا الشيخ سليمان شيخ عربان « مصيلح » وولد موسى شيخ عربان « بنى عامر » وتعهدوا بتسديد الأموال المطلوبة من عربانهما وعلى أثر ذلك منحوا الخلعة اللازمة . وقد تركنا ٢٠٠ من خيالة الشايقية وأورطة من

العساكر الجهادية لترافق الشيوخ فى تحصيل الأموال وسلمنا هذه القوة إلى الباشا مدير المديرية المذكورة .

ونظرا لأننـــا علمنا ان المكادين فى جـــهات القلابات قـــد أخذوا يعتدون على الجهات فمع أنه لدينا فى الجيش نحو ٢٥٠ نفرا من عساكر السكيان ونحو ألف خيال و ٣٥٠٠ من عساكر الجهادية وثلاثة مدافع الا أننـــا إخترنا من بينهم نحو ٥٠٠ من أشداء الخيالة وسلمنا ما تبقى من المشاة والخياله والمدافع إلى عثمان بك ميرلاى المشاه الثامن الذى قام بهذه القوة عن طريق نهر أدبره . كما قام الداعى أيضا بالحيالة الـ ٥٠٠ إلى قضارف وراشد وبركه، فنرجو أن تتفضلوا بعرض ذلك على أعتاب الجناب العالى مفضلا .

الإمضاء
الميرميران أحمد المنكلى
٥ربيع الأول ١٢٦٠ هـ عن التاكه .

محتويات الكتاب

فهرست

أ

جامعـــة الخرطـــوم

مطبـوعـــات دار التـأليـــف والترجمة والنشر

الكتب العربية التى صدرت

الكتاب	المؤلف
«١» دراسات فى الأدب والنقد	الاستاذ معاوية محمد نور
«٢» قصص وخواطر (الجزء الثانى)	الاستاذ معاوية محمد نور
«٣» الحركة الفكرية فى المهدية	د . محمد ابراهيم أبو سليم
«٤» الضرائب فى السودان	د . على أحمد سليمان
«٥» معجم المصطلحات القانونية	د . سعيد محمد أحمد المهدى
«٦» اجراءات تحرير الاقتصاد السودانى	د . عثمان حسن سعيد د . عبد الرحمن الطيب على طه
«٧» تاريخ دارفور السياسى	الاستاذ موسى المبارك
«٨» البحر القديم « شعر »	الاستاذ مصطفى سند
«٩» سالى فو حمر « قصص »	الاستاذ جمال محمد أحمد
«١٠» نماذج من الأدب الزنجى	الاستاذ على الملك
«١١» تأميم المصارف فى السودان	لجنة الدراسات الاقتصادية بنك السودان
«١٢» دبلوماسية محمد	د . عون الشريف قاسم
«١٣» الصهيونية وعداء السامية	د . محمد ابراهيم الحردلو
«١٤» كوبا الجزيرة التى احببت	د . يوسف بشارة
«١٥» طبقات ود ضيف الله « تحقيق »	د . يوسف فضل حسن
«١٦» أعمال الليل والبلدة	الاستاذ ابراهيم اسحق
«١٧» الصحافة السودانية فى نصف قرن	الاستاذ محجوب محمد صالح
«١٨» الأرض الآثمة « مترجمة »	الاستاذان: صلاح أحمد ابراهيم وعلى الملك
«١٩» الشعر الحديث فى السودان	د. محمد ابراهيم الشوش
«٢٠» مصادر الدراسات السودانية	الاستاذ قاسم عثمان نور
«٢١» بمانجى « مترجمة »	د . متوكل أحمد أمين
«٢٢» الجريمة والعقوبات	د . سعيد محمد أحمد المهدى
«٢٣» ظلال شاردة	الاستاذ محمد محمد على

«٢٤» دراســات ســودانية	د. عبد المجيد عابدين
«٢٥» خواطر طبيب	د. محمد سليمان شاهين
«٢٦، ٢٧» الفكر الاسلامى والفلسفات المعارضة (جزءان)	د. عبد القادر محمود
«٢٨، ٣١» أفق وشفق «٤ اجزاء» «تحقيق»	الشاعر توفيق صالح جبريل د. محمد ابراهيم أبوسليم ومحمد صالح حسن
«٣٢» نحو الغد	محمد احمد محجوب
«٣٣» القصة الحديثة فى السودان	الاستاذ مختار عجوبة
«٣٤» نماذج من القصة القصيرة فى السودان	الاستاذ مختار عجوبة
«٣٥» مبـادئ الكونيات	الاستاذ الامين محمد احمد كمورة
«٣٦» صحو الكلمات المنسيه	النور عثمان ابكر
«٣٧» مسائل فى الابداع	الاستاد جمال عبد الملك (ابن خلدون)
«٣٨» اطفالنا غذاؤهم وصحتهم	دكتور حافظ الشاذلى
«٣٩» حصار وسقوط الخرطوم	ميمونه ميرغنى حمزه
«٤٠» أدب وأدباء	دكتور محمد ابراهيم الشوش
«٤١» التربية من اجل الاعتماد على النفس ترجمة	الاستاذ على النصرى حمزه
«٤٢» اتجاهات وميول الطلاب	د. السمانى عبدالله يعقوب د. عزيزحنا داؤود
«٤٣» محمد على فى السودان	دكتور حسن احمد ابراهيم

دوريات عربية :–


مجلة كلية الآداب

كتب تصدر قريباً :

«١» نداء المسافة «شــعر»	تيراب الشريف
«٢» العوده الى سنار	محمد عبد الحى
«٣» تصدع وقصص اخرى	الفائزون فى مسابقة المجلس القومى للآداب و الفنون
«٤» مقدمة فى الرياضيات الحديثة	الاستاذ عبدالله صالح حامد
«٥» الرحيل فى الليل	الاستاذ عبد الرحيم ابوذكرى
«٦» غربة الروح	الاستاذ ابراهيم الحاردلو

الكتب الانجليزية التى صدرت

1 SUDAN IN AFRICA	edited with an introduction by: **Dr. Yusuf Fadl Hasan**
2 THE SOUTHERN SUDAN: BACKGROUND TO CONFLICT	**Mohamed Omer Beshir** (reprint)
3 THE BRITISH, THE SLAVE TRADE AND SLAVERY IN THE SUDAN, 1820–1881	**Dr. Abbas Ibrahim Muhammad Ali**
4 THE STUDENTS' MOVEMENT IN THE SUDAN 1940–1970	**Salah el Din el Zein el Tayeb**



السودان المصرى سنة ١٨٣٨
البحر الأحمر
عبابدة
البشاريين
دنقلا
بيوضة
الحسانية
البطانة
تاكا
كردفان
الحبشة
سنار
الخرطوم
الأبيض

دار البستاني للنشر والتوزيع
٢٩ ش الفجالة ١١٢٧١ القاهرة



المؤلف

* ولد الدكتور حسن أحمد ابراهيم بالدويم مديرية النيل الأزرق
* تخرج فى كلية الآداب ، جامعة الخرطوم بدرجة الشرف فى التاريخ
* نال درجة الماجستير فى التاريخ من جامعة الخرطوم
* نال درجة الدكتوراه فى التاريخ من جامعة لندن ١٩٧٠
* يعمل الآن محاضراً بقسم التاريخ بجامعة الخرطوم